منهج الدكتور فضل عباس في دراسته لمسائل

علوم القرآن الكريم (دراسة تحليلية نقدية)

إعداد

دعاء أمين محمد الناطور

المشرف

الدكتور سليمان الدقور

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في

التفسير وعلوم القرآن

كلية الدراسات العليا

الجامعة الاردنية

شباط، ٢٠١٤

نموذج ترخيص

أنا الطالب : دعاء أيمن محمد الناطور أمنح الجامعة الأردنية و/ أو من تفوضه ترخيصاً غير حصري دون مقابل بنشر و / أو استعمال و / أو استغلال و / أو ترجمة و / أو تصوير و / أو إعادة إنتاج بأي طريقة كانت سواء ورقية و / أو إلكترونية أو غير ذلك رسالة الماجستير / الدكتوراه المقدمة من قبلي وعنوانها.

منهج الدكتور فضل عباس في دراسته لمسائل علوم القرآن الكريم (دراسة تحليلية نقدية)

وذلك لغايات البحث العلمي و / أو التبادل مع المؤسسات التعليمية والجامعات و / أو لأي غاية أخرى تراها الجامعة الأردنية مناسبة، وأمنح الجامعة الحق بالترخيص للغير بجميع أو بعض ما رخصته لها.

اسم الطالب: دعاء الناطور

التوقيع: دعاء

التاريخ: ٢/٢/٢٠١٤م

قرار لجنة المناقشة

نوقشت هذه الرسالة (منهج الدكتور فضل عباس في دراسته لمسائل علوم القرآن الكريم دراسة تحليلية نقدية) وأجيزت بتاريخ ٢٠١٣/١٢/٣١

أعضاء لجنة المناقشة	التوقيع
الدكتور سليمان محمد الدقور، مشرفاً أستاذ مشارك - التفسير وعلوم القرآن	....
الدكتور محمد خازر المجالي، عضواً أستاذ التفسير وعلوم القرآن	....
الدكتور عبد الله أحمد الزيوت، عضواً أستاذ مساعد التفسير وعلوم القرآن	....
الدكتور أحمد سليمان البشايرة، عضواً أستاذ التفسير وعلوم القرآن(جامعة العلوم الإسلامية)	....

الإهداء

إلى من أسهم في إخراج هذا العمل إلى النور،إلى من ساندني وشجعني ووقف بجانبي، أهدي هذه الرسالة لكم،أبي وأمي وأخوتي .

شكر وتقدير

بعد شكر الله عز وجل، أتقدم بجزيل الشكر لأستاذي المشرف الدكتور سليمان الدقورعلى كل ما قدم، وأسأل الله أن يؤجره، وأشكر اللجنة المناقشة، وكل من أسهم معي في إخراج هذا العمل .

فهرس المحتويات

الموضوع الصفحة

الموضوع الصفحة

منهج الدكتور فضل عباس في دراسته لمسائل علوم القرآن الكريم (دراسة تحليلية نقدية)

إعداد

دعاءأمين محمد الناطور

المشرف

الدكتور سليمان الدقور

الملخص

تناولت هذه الدراسة المنهج الذي اتبعه الأستاذ الدكتور فضل عباس في تناوله لمسائل علوم القرآن الكريم بشكل عام، وبعضها الآخرالتي أفردها في التأليف، وذلك بإبراز أهم المناهج المتبعة وإلحاقها بأمثلة من كتبه رحمه الله والتعليق عليها بطريقة تحليلية نقدية، بتمهيد وفصلين .

أما الفصل التمهيدي تناولت فيه حياته، وأهم مؤلفاته، والمصادر التي اعتمد عليها في بحثه في علوم القرآن.

أما الفصل الأول فخصصته للحديث عن منهجه في علوم القرآن مجتمعة في كتابه إتقان البرهان في علوم القرآن، حيث قمت بدراسته من النواحي التالية: من ناحية مقارنة موضوعات الكتاب بموضوعات كتاب الإتقان للسيوطي الذي يُعد المصدرالأول لمن أراد الكتابة في علوم القرآن، وكتاب مناهل العرفان للزرقاني؛لأنه من أشمل الكتب التي كتبت في علوم القرآن في العصرالحديث، ومنهجه في ترتيبه لقضايا علوم القرآن في كتابه، ثم تحدثت عن منهجه في التحقيق والذي تمحور حول تعامله مع المفاهيم المكونة للموضوع ومن ثم تعامله مع مخالفيه، وإيراد المسائل الخلافية، وتعامله مع الأحاديث سنداً ومتناً، ورده للشبهات المتعلقة بالمستشرقين والحداثيين وغيرهم .

وفي الفصل الثاني تحدثت عن منهجيته فيما أفرده بتأليف مستقل في علوم القرآن، فعرّفت بالكتب وتحدثت عن منهجه فيها، وهي كتابه إعجازالقرآن، وكتابيه في مناهج المفسرين "التفسيرأساسياته وإتجاهاته " و "المفسرون مدارسهم ومناهجهم "،وكتاب هالقراءات القرآنية وما يتعلق بها، وكتابيه في القصص القرآني، تناولت فيها دراسة منهجه، والتعليق عليه، وذكر أمثلة من الكتب لتسليط الضوء على أسلوبه في دراسته لعلوم القرآن وأبرزما تميز به هذا المنهج.

وتوصلت إلى أن منهجيته رحمهالله تتجلى في جوانب ثلاثة:

الجانب الأسلوبي: ويظهر ذلك في ناحيتين: الناحية الأولى: الأسلوب السهل الواضح والذي لا يخلو من الجدة، وتقسيماته التي اتبعها في دراسة الموضوعات التي تدل على سعة اطلاعه وبحثه الدقيق، والسهولة التي يعطيها للقارئ فيفهم ما أراد،أما الناحية الثاني: في تمثل في أسلوب الطرح الذي يتصف بالتحقيق والنقد والمعالجة، فهو لا يكتفي بذكر المسائل دون تحقيقها كما نراها عند أغلب من كتب في علوم القرآن، وقد طرح مسائل علوم القرآن بطريقة نقدية؛ فجميع المسائل تقع تحت التحقيق والنقد البناء لتنقيح وتقريرما كثر فيه الاختلاف .

الجانب المنهجي: يتمثل في اتباعه للمناهج التالية في دراسته:

المنهج التأصيلي: الذي يتمثل في التأصيل لهذه العلوم وما تحتويه من مصطلحات ومفاهيم، والحديث عن تاريخها بتناول أهم المراحل التي مرت بها وأهم المؤلفات وأبرز ما طرح فيها .

المنهج االتحليلي: والذي يبرز في تحليلهل لقضايا وذكر آراء العلماء فيها، وتحليلها بذكرأدلتها ومناقشتها والرد عليها .

المنهج النقدي: ويظهرفي الرد والترجيح والإتيان بالأدلة النقلية والعقلية لما رجحه، ويتميز رده بأنه علمي فلا يرجح ويرد إلا بعد الأخذ بالأدلة الصحيحة من نقل وعقل، ودائماً ماتكون الأدلة النقلية الصحيحة موافقة للأدلة العقلية للمسألة المطروحة، ويظهر كذلك منهجه النقدي فيردّه للشبهات الواردة في علوم القرآن، فنرى دفاعاً لا تخلو منه أيٌّ من تفاصيل هذه العلوم، دفاعاً يتصف بالقوة والموضوعية والرد العلمي البحت الذي لا ينظر إلى الأشخاص بقدر نظره للأفكار.

الجانب التطبيقي: والذي يظهر جلياً في كتبه وهو من أبرز مميزات منهجه، فلا يأتي رحمه الله بقضية إلا وجاء بنموذج توضيحيّ لها، وكذلك في استدراكاته على العلماء فإنه يأتي بأمثلة من كتبهم تؤيد ما طرحه، كذلك في ردّه و ترجيحه.

المقدمـــة

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على نبيه الذي اصطفى، وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه واهتدى بهديه وبعد:

فإن علوم القرآن وما ينطوي تحتها من مضامين - يشكل كل واحد منها علماً قائماً بذاته - جديرة بالدراسة استحقاقاً لقدْرها، والحاجة الدائمة لفهمها، في شتى مناحي الحياة، وعلى كافة الصعد والمجالات؛ إذ إن القرآن الكريم معجزة خاتم الأنبياء والمرسلين جاء دستور حياة، ورسالة من الله، وحجة رسوله الذي اصطفاه، فلا أعظم من شرف دراسته، والاجتهاد في بيان فصاحته، ووجوه إعجازه في قراءته وحكايته، وأخباره وعلومه، وقد جهد لذلك علماءُ بذلوا دون هذه الغاية أنفس ما لديهم، ونذروا أنفسهم لدراسته مقدرين عظيم عوائده عليهم، ومنهم الأستاذ الدكتور فضل حسن عباس رحمه الله الذي نتشرف بدراسة جهوده الجليلة في هذه العلوم، خلال هذه الدراسة التي أفردت لها، والذي عرفته من وفاء تلاميذه له وحديثهم لي عنه ومنهم أساتذتي في كلية الشريعة، الذين ما انفكوا يذكروا جهود أستاذهم ويتمثلوا صفاته وتوجيهاته، وهذا من وفاء التلميذ لأستاذه، آملة أن أكون كما كانوا في الوفاء، وأن يرتقي هذا الجهد ليليق بمقام علم عالم مثله رحمه الله، وإنني أهدي ثوابها لروحه الطاهرة.

منهجية البحث: اعتمدت فيها المنهج الاستقرائي التحليلي النقدي؛ إذ قمت باستقراء كتبه المختصة بعلوم القرآن، واستخلصت سمات منهجه المتبع فيها وبينت ذلك خلال أمثلة سقتها في ثنايا فصول هذه الدراسة، وقد عمدت إلى نقدها وتحليلها وإبداء الآراء فيها، مستندةً إلى ما سبق من دراسات.

الدراسات السابقة:

أولاً: الأستاذ الدكتور فضل عباس وجهوده في التفسير وعلوم القرآن لمحمد يوسف إسماعيل الهبيل الجوراني رسالة دكتوراة، جامعة العلوم الإسلامية ٢٠١١-٢٠١٢م .

ثانياً: جهود الأمة في علوم القرآن في العصر الحديث للدكتور محمد يوسف شربجي.

ثالثاً: بحث التجديد في التفسير مادةً ومنهجاً للدكتور جمال أبو حسان.

وتكمن مشكلة الدراسة في أنها تحاول أن تجيب عن التساؤلات الآتية:

أولاً: ما المناهج التي اتبعها الدكتور فضل عباس - رحمه الله- عند تأليفه في علوم القرآن الكريم؟

ثانياً: ما أهم قضايا التي عرض لها الدكتور فضل عباس في دراسته علوم القرآن الكريم ؟

ثالثاً: ما القيمة العلمية التي أضافها الدكتور فضل عباس- رحمه الله- عند دراسته لقضايا علوم القرآن الكريم؟

وتبرز أهمية الدراسة من مكانة موضوعها، فهي تحاول أن تقدم صورة مفصلة عن منهج الأستاذ الدكتور فضل حسن عباس في دراسته علوم القرآن، وهو الموضوع الذي لم يلقَ بعدُ حظّاً من الاهتمام سوى إشارات متقطعة أو مجزوءة في ثنايا دراسات قليلة بعضها تخصص في ما قدمه رحمه الله وبعضها ذكره على هامشها، والأهمية تكمن في:

أولاً: في إظهار معالم المنهجية التي اتبعها الدكتور فضل عباس –رحمه الله- في دراسته لعلوم القرآن الكريم.

ثانياً: في بيان أهم القضايا التي ذكرها الدكتور فضل عباس –رحمه الله- عند تناوله قضايا علوم القرآن الكريم.

ثالثاً: إبراز القيمة العلمية للقضايا التي تناولها الدكتور فضل عباس رحمه الله.

رابعاً: الجدة في الطرح، وعدم التقليد، واستقلالية الرأي .

خامساً: كثرة مؤلفاته التي تختص بالدراسات القرآنية.

تهدف الدراسة إلى تحقيق ما ياتي:

أولاً: التعريف بالقضايا التي تناولها الدكتور فضل –رحمه الله- في علوم القرآن مجتمعة ومنفردة.

ثانياً: الكشف عن منهج الدكتور فضل عباس - رحمه الله- في دراسته لمسائل علوم القرآن الكريم.

ثالثاً: إبراز القيمة العلمية من خلال الإضافات التي أضافها الدكتور فضل عباس رحمه الله في علوم القرآن.

هيكلية الدراسة:

جاءت هذه الدراسة في تمهيد وفصلين، في التمهيد تناولت حياته وأهم مؤلفاته ومصادره التي اعتمدها في دراسته علوم القرآن، وقد كانت مراجع هذا الجزء من الدراسة من الدراسات السابقة وكلام تلاميذه وأهله، الفصل الأول من الدراسة فقد كان حول منهجه في كتابه إتقان البرهان في علوم القرآن، وقد درسته دراسة مقارنة مع كتاب الإتقان للسيوطي وكتاب مناهل العرفان

للزرقاني من حيث ترتيب الموضوعات، ثم عرضت لمنهجه في التحقيق والذي تبرز فيه طريقته في معالجة المفاهيم المكونة للموضوع، وإيراده المسائل الخلافية ومنهجه في التعامل مع مخالفيه، فضلاً عن منهجه في الرد على الشبهات.

وفي الفصل الثاني من الدراسة تناولت معالم منهجه في ما أفرده في التأليف في علوم القرآن، وقد جاء في تمهيد وأربعة مباحث: منهجه في تناوله لمباحث إعجاز القرآن الكريم، منهجه في علم التفسير، منهجه في القراءات القرآنية، والمبحث الرابع منهجه في القصص القرآني.

واتبعت فيه ما اتبعته في دراسة الفصل الأول من تعريف بالكتب ودراسة للمنهج الذي مضى فيه خلال عرضه هذه الكتب.

وبعد هذا العرض لما ضمنته هذه الدراسة فإني أسأل الله العلي القدير أن يحتسب عملي هذا خالصاً لوجهه سبحانه، وأن يتجاوز عني تقصيري بحق كتابه العزيز، فما كانت دراسة أحرفه إلا ممزوجةً بجلال قدره، وأحمده أن سخّرني لعملٍ يتّصل بكتابه، فإن أحسنت فمنه وحده وبتوفيقه، وإن قصّرت فإني أستغفره، على أني جهدت في أن أفِيَ فصول هذه الدراسة وأبوابها حقّها من البحث والإمعان والمراجعة، وأعلم أني لا أضيف إلى علمٍ يتعلق بكتاب الله زيادةً، بل أزيد أنا من علم يتعلق به شرفاً، وأجمل اعتذاري لكل من ستطرق كلمات هذه الدراسة أذنيه أو تحرك لسانه وشفتيه، عن كل هفوة قد يجدها، ممتنّةً لكلّ من علّمني حرفاً، ومن تحمّل من أجلي جهداً أدركته أم لم أدركه، وأحسست به أم لم أحس، والله ولي التوفيق.

الفصل التمهيدي

التعريف بالدكتور فضل حسن عباس وجهوده في علوم القرآن

المبحث الأول : حياة الدكتور فضل عباس .

المبحث الثاني : مؤلفاته .

المبحث الثالث : منهجه في اعتماد المصادر والمراجع للتأليف .

المبحث الأول

حياة الدكتور فضل عباس ومؤلفاته

المطلب الأول: اسمه ومولده ونشأته.

المطلب الثاني: معالم شخصيته.

المطلب الثالث: حياته العلمية والعملية.

المطلب االرابع: وفاته.

المطلب الخامس: شيوخه وتلاميذه.

المطلب السادس: مكانته العلمية وأقوال بعض العلماء والتلاميذ فيه.

المطلب الأول : مولده و نشأته

أولاً اسمه: هو الشيخ العلامة المفسر الأستاذ الدكتور أبو محمد فضل بن حسن بن أحمد آل عباس الصفوري، أشعري العقيدة شافعي المذهب.

ثانياً مولده ونشأته: ولد الشيخ فضل حسن عباس، في شهر كانون الثاني عام ألف وتسعمائة واثنين وثلاثين ميلادية (١٩٣٢م) في قرية من قرى فلسطين العزيزة تسمى صفورية[١]، وقد ولد كفيفا في بيت علم. يقول الشيخ :" كان والدي حريصين كل الحرص على أن أحفظ كتاب الله، وأدرس العلم "[٢] ، اذ كان خال الشيخ يوسف المشهدي من أئمة الأزهر وعلمائه الأفذاذ ، ودائما ما يذكر الشيخ خاله ويعتز به فكان بيت والد الشيخ فضل عبارة عن محطة لإلتقاء علماء الأزهر الذين كانوا يأتون إلى فلسطين للقاء أهل القرية والقرى المجاورة للدعوة الى الله ، كان الشيخ يستمع إليهم فيحفظ عنهم ويأخذ العلم من أفواه جهابذة العلم فيا لها من نشأة. ومن طفولة ملهمة وواعدة أسست في داخله حب التعلم والعلم ، فحفظ كتاب الله تعالى وهو في العاشرة من عمره وحفظ من المتون العلمية متن الغاية والتقريب من الفقه الشافعي ، ومتن الرحبية في الفرائض ، والجوهرة في علم التوحيد ، والألفية لابن مالك[٣].

---

[١]قرية تقع على بعد سبعة أكيال شمال الناصرة كانت تسمى أيام الرومان "صفوريس" ،جعلها الفرنجة قاعدة للدفاع ونقطة لحشد جيوشهم أيام جيوش صلاح الدين ،وبنى فيها الشيخ ظاهر العمر عام ١٧٤٥م قلعة فوق تل صفورية .ترتفع القرية (٢٧٥)متر ووصل عدد السكان سنة١٩٤٥م (٤٣٣٠) نسمة.اسمها من الكلمة السريانية "صافراية" نسبة الى الصباح .فتحها العرب المسلمون ١٣ه على يد شرحبيل بن حسنة .وينسب الى صفورية من العلماء:الشيخ جلال الدين الصفوري ،الشيخ احمد بن محمد الصفوري الاصل الدمشقي المولد، أبو البقاء محمد بن الوهاب بن عبد الرحمن الصفوري ،عبد القادر بن مصطفى الصفوري الفقيه الكبير .المصدر : انظر **معجم بلدان فلسطين** ، محمد الشراب (١٩٨٧م)،دار المأمون:دمشق، ج٢ ،ص٤٨٧.

[٢] جمال ابو حسان (٢٠٠٣م)، **دراسات إسلامية وعربية مهداة إلى العلامة الدكتور فضل عباس** ، دار الرازي :الاردن ،ط ١ ،ص٥

[٣] بتصرف - جمال ابو حسان ، دراسات إسلامية وعربية مهداة الى العلامة الدكتور فضل عباس ، ص٥-٦

المطلب الثاني

معالم شخصيته

كثيرة هي الخصال الحميدة التي اتصف بها شيخنا الجليل، ويكفيك في ذلك أن تسأل تلميذاً من تلاميذه أو شخصاً عرفه فلن تسمع غير جليل الصفات وعظيم الأخلاق ومحبة الخلق فضلاً عن غزير العلم والذكاء والفطنة وسرعة البديهة، ولن تستعجب الحديث عن كرمه ووفائه لمن أحسن إليه ومودته لطلبة العلم ومخالفيه فكان ممن يتعنت لرأيه إذا ثبت رأي المخالف، علاوة على سعة صدره التي جعلته مثالاً على أدب العلماء وحلمهم، وقد كان رحمه الله مرهف الحس، قريب الدمعة، فما تراه يذكر موقفاً مؤثراً إلا وتسمع اختناق عبرته، ولم يكن إلا صدّاعاً بالحق، لا يخشى في الله لومة لائم، عزيز النفس،لا يحب الشهرة ويبتعد عنها قدر الإمكان؛ إذ كان يكره تِلك التكريمات التي تعقدها الجامعات والمؤسسات ويفر منها، كثير العبادة صواماً قواماً كثير العمرة والحج[١]. تقول إحدى بناته: "كان يقوم الليل ويطيل السجود، فقد تستغرق السجدة معه ربع ساعة أو أكثر، وإذا صلّى التراويح أطال في الصلاة، أذكر ونحن في الصغر وقد كنا في (أبو ظبي) أنه كان يصلي التراويح في المسجد، ثم يرجع إلى البيت ومعه جماعة من الرجال، ويكملون الصلاة في البيت إلى ما بعد الثانيةِ فجراً... ".[٢]

ومما تلمح في شخصيته – رحمه الله - وفاءه لعلمائه، ومشايخه، وأهل الفضل عليه يقول الدكتور جمال أبو حسان في هذا: "....لم يذكر الشيخ يوماً أستاذاً من أساتذته إلا أثنى عليه، أو ترحّم عليه إن كان ميتاً وأخذ في الدعاء له، وما أتذكر على الإطلاق أنه ذكر أحداً من أهل الفضل عليه إلا كان له من الثناء في نفسه ما يستحقه، وقد يخالفه بعض أساتذته في المذهب أو في بعض الآراء، فلا والله ما رأيته قطّ عرّض بصاحب رأي من أهل الفضل عليه؛ بل رأيته يلتمس له العذر حتى لو كان متكلفاً، ولله درُّ هذا الأستاذ العظيم.."[٣] وهذا والله للحق، فقد درست أغلب مؤلفاته فلم أجد إلا الاحترام لمن خالفه والموضوعية في نقل الأدلة من دون مزاودة أو تجريح، وهذا دليل على احترام المخالف والقدرة على التعامل معه بموضوعية. وكان الشيخ ممن يعتنون عناية خاصة

---

١ بتصرف، الجوراني، محمد الهبيل، **جهود الدكتور فضل عباس في التفسير وعلوم القرآن**، رسالة دكتوراه مقدمة لجامعة العلوم الإسلامية، الأردن، ص٢٨
وانظر : جمال أبو حسان، دراسات عربية وإسلامية مهداة للعلامة الدكتور فضل عباس ،ص١٥-١٨.
٢الجوراني، محمد الهبيل، جهود الدكتور فضل عباس في التفسير وعلوم القرآن، ص٣٠.
٣ نفسه، ص٣١.

بمكتبته التي تحوي كتباً نادرةً، ويقول من كان يرافق الشيخ أو يلاقيه: إنه كان يفخر بما عنده من الكتب لجودتها وندرتها وعظم كتابها، وفي هذه المكتبة تعقد الدروس العلمية التي يلقيها الشيخ على طلبة العلم، وكان مما يميزه أنّه جعل يوماً للنساء، ويوماً للعامة فجز الله الشيخ خير الجزاء.[١]

---

١ نفسه، ص٣٢.

المطلب الثالث

حياته العلمية والعملية

أولاً:حياته العلمية

كانت بداية الرحلة في طلب العلم من كتاتيب القرية إلى عكا؛ حيث مدرسة الأحمدية بجامع الجزار، مكث فيها عامين ينهل من العلم، وكان ذلك بين عامي ١٩٤٦-١٩٤٧م .ثم انتقل من عكا فلسطين إلى مصر؛ حيث العلم والعلماء وخاله الشيخ يوسف الذي اعتنى به عنايةً فائقةً جعلته يتفوق على أقرانه، ويبدع أيّما إبداع، وسأذكر هنا حادثةً ذكرها الدكتور جمال أبو حسان ممّا سمعه من الشيخ الدكتور رحمه الله تعالى، وخلاصتها: أنه في يوم من الأيام كان الشيخ يوسف يعد لمحاضرة في أصول الفقه ويقرأ بصوت مرتفع، وكان الدكتور فضل جالساً إلى جواره يستمع بإنصات، وعندما انتهى الشيخ من المراجعة والحفظ قال الدكتور فضل: يا خالُ هل تأذن لي أن أعيد عليك ما قرأتَه كلّه، فدهش الخال، واستمع بإنصات إلى هذا التلميذ يردد مادة أصول الفقه في أصعب مستوياتها، فأدهشه ما فعل هذا الصبي، ووعده أن يصنع منه بمشيئة الله رجلاً عظيماً والحمد لله حصل المراد[١].

ثم انتقل من فلسطين إلى مصر فأكمل الدراسة الثانوية، ودخل كلية أصول الدين بالأزهر الشريف، بعد اجتيازه لامتحان الكلية سنة ١٩٤٨م، وأنهى الدراسة للمرحلة الجامعية الأولى عام ١٩٥٢م، وكان عمره آنذاك عشرين عاماً. وبعد الانتهاء من الدراسة جاءه خبر وفاة والده في لبنان، فانطلق سائراً إلى لبنان تاركاً الأزهر الشريف[٢].

في لبنان واجهته بعض الصعاب للحصول على عمل، إلى أن عمل في الأوقاف في صيدا مدة سنتين، ثم عمل مع المفتي الشيخ المجاهد أمين الحسيني بين عامي ١٩٥٦- ١٩٦٥م، واكتسب خلال هذه الفترة الكثير من الخبرات التي أثرته بالكثير من المعارف. [٣]

ثانياً: حياته العملية

عندما جاءه الخبر بتعيينه واعظاً في الاردن انطلق الشيخ من لبنان إلى الأردن، وعمل واعظاً فيها لمدة سنة، بعدها عُيّن مدرساً في كلية الشريعة في جبل الويبدة في عام ١٩٦٦م، درّس فيها التفسير والحديث والتوحيد واللغة العربية وتلاوة القرآن الكريم، وحصل الشيخ خلال مدة تدريسه

---

١ جمال أبو حسان ،السابق ، ص٧.

٢ نفسه، ص٦-٨.

٣ نفسه، ص٩.

في الكلية على الماجستير من الأزهر الشريف عام ١٩٦٧م، وانتهت مدة كونه مدرساً في كلية الشريعة في عام ١٩٧١م، وبعدها حصل على الدكتوراة من الأزهرالشريف عام ١٩٧٢م، برسالة عنوانها (اتجاهات التفسير في مصر والشام) وفي آخر هذا العام عُيّن في المعهد الشرعي لتأهيل الوُعّاظ بعمّان، واستمر في ذلك إلى عام ١٩٧٤م. [١]

ثم انتقل إلى دولة الإمارات العربية ليعمل في تأهيل الوعاظ. إلى أن حطت الرحال به في الجامعة الأردنية عام ١٩٧٨مدرساً للشريعة، وعُين رئيساً لقسم أصول الدين في الكلية من عام (١٩٩٤-١٩٩٧م) وحصل خلال مدة تدريسه في الجامعة على الأستاذية في علم التفسير.[٢]

وبعد الانتهاء من العمل في الجامعة الأردنية عام ٢٠٠٢ م، واصل طريقه في العطاء في جامعة اليرموك مدرساً بين عامي ٢٠٠٢-٢٠٠٧م، ثم انتقل إلى جامعة العلوم الإسلامية العالمية سنة ٢٠٠٨م وظل فيها إلى أن توفاه الله. ومع العمل الرسمي في الجامعات ظل الشيخ محافظاً على طريقه الدعوي الذي اختطه لنفسه والتزم به، فكان يلقي الدروس في بيته بشكل منتظم، ويأتيه طلاب العلم لينهلوا من هذا البحر إلى أن توفاه الله تعالى. [٣]

ومن الأشخاص الذين أثروا على الدكتور فضل عباس، وأسهموا في مواصلة مسيرته العلمية الدكتور ربحي البشتاوي الذي كان يصفه الدكتور فضل بأنه شيخه، وهو الذي أخذ على عاتقه أن يقرأ للدكتور فضل ويكتب له في رحلته في مصر .[٤]

---

١ نفسه، ص١٠.
٢ نفسه، ص١١.
٣ الجوراني، السابق، ص٢٧.
٤ في مقابلة مع الأستاذ الدكتور محمد المجالي

المطلب الرابع

وفاته

توفي الشيخ فضل عباس رحمه الله في يوم الأربعاء ٩ شباط ٢٠١١م الموافق السادس من ربيع الأول عام ألف وأربعمائة واثنين وثلاثين للهجرة، عن عمر يناهز التاسعة والسبعين، وكان في طريقه إلى الأراضي المقدسة لأداء مناسك العمرة فوافته المنية في عمان قبل ذهابه إلى المطار.[١] وصُلّي عليه في مسجد الزميلي في منطقة الشمساني عمان بعد صلاة ظهر الخميس الموافق العاشر من شباط، ودفن في المقبرة الإسلامية بعد ان شيعه آلاف المصلين، وقد ترك خلفه هذا الإنجاز العظيم الذي أفاد به عموم المسلمين والعلماء في علوم القرآن والتفسير، نسأل الله أن يرزقه السكن في الفردوس الأعلى بصحبة النبي عليه السلام، وكفى بدفاعه عن الإسلام وما قدمه لذلك شفيعاً.

---

[١] جمال أبو حسان (٢٠١١م)،**سلسلة تراجم علماء الأردن** ، رابطة علماء الاردن ،الاردن ،ص١٩.

المطلب الخامس

شيوخه وتلاميذه

تتلمذ الشيخ الدكتور رحمه الله تعالى على ثلة من العلماء البارزين في عصرهم، من الذين أثمروا طلاباً أفادوا العلوم الإسلامية وأثروا فيها، وكانوا مبرزين، فجزاهم الله كل خير، ورحمهم الله جميعا، فهم فخرٌ للأمة، وكان الدكتور يفخر ويباهي بشيوخه ويذكر فضلهم عليه كلما سنحت له الفرصة، وهذه المجموعة جزء من شيوخ الدكتور الموثقة في مؤلفاته ومن ألف عنه رحمه الله.

خاله العالم الجليل الشيخ يوسف عبد الرزاق المشهدي، العلامة الشيخ محمد عبد الله دراز، الشيخ محمد يوسف موسى، العلامة محمد الأودن، الشيخ محمد عبد الرحمن البيصار، الدكتور عبد الحليم محمود، الدكتور سليمان دنيا، الدكتور محمد البهي. [١]

تلاميذه [٢]

تتلمذ على الشيخ عدد من العلماء البارزين في علوم الشريعة يُرى أثرهم بشكل بارز ولهم يد طولى في الدعوة إلى الله، وهم في أرجاء العالم وهذا من فضل العالم على تلاميذه .

الدكتور أحمد إسماعيل نوفل، أستاذ التفسير في الجامعة الأردنية.

الدكتور صلاح الخالدي، أستاذ التفسير في جامعة اليرموك .

الأستاذ الدكتور مصطفى المشني ،أستاذ التفسير في الجامعة الأردنية.

الأستاذ الدكتور عبد الناصر أبو البصل، رئيس جامعة العلوم الإسلامية العالمية .

الأستاذ الدكتور شحادة العمري، مدير المعهد العالي للقراءات القرآنية بجامعة العلوم الإسلامية العالمية

الأستاذ الدكتور احمد البشايرة، أستاذ في جامعة العلوم الإسلامية العالمية.

الدكتور محمد الجمل، أستاذ جامعي في جامعة اليرموك.

الأستاذ الدكتور محمد خازر المجالي، أستاذ التفسير وعلوم القرآن، عميد كلية الشريعة في الجامعة الأردنية سابقا.

الدكتور جمال أبو حسان، رئيس قسم أصول الدين في الجامعة الإسلامية العالمية .

الدكتور جهاد نصيرات، أستاذ التفسير وعلوم القرآن ، رئيس قسم أصول الدين بالجامعة الأردنية سابقا.

الدكتور سليمان الدقور، أستاذ التفسير وعلوم القرآن ، رئيس قسم أصول الدين في الجامعة الأردنية سابقا.

---

[١] الجوراني، السابق، ص ٣٨-٤٣.

[٢] الجوراني، السابق، ص٤٤.

الدكتور محمد ريان، أستاذ التفسير وعلوم القرآن، في الجامعة الأردنية.

الأستاذ الدكتور محمد أحمد الخطيب، أستاذ العقيدة ، وعميد كلية الشريعة في الجامعة الأردنية.

الأستاذ الدكتور راجح الكردي، أستاذ العقيدة في الجامعة الأردنية.

الدكتر محمد نبيل العمري ،أستاذ العقيدة في الجامعة الأردنية .

المطلب السادس

مكانته العلمية

تبوأ شيخنا الجليل مكانة علمية لا يختلف عليها اثنان، كان يأتيه الطلاب من كل بقاع العالم ليأخذوا عنه العلوم الشرعية، وقد كان له الفضل في إثراء المكتبة الإسلامية بشكل عام ومكتبة التفسير وعلوم القرآن بشكل خاص بمؤلفاته المختلفة التي تخدم القرآن في جميع مجالاته، فهو عالم أزهري من جهابذة هذا العصر لعلمه المشار إليه بالبنان، له من الفضل والمكانة ما بوأه أن يكون ممن أخلصوا لله فرفعهم الله في قلوب الناس، يجلسون في مجلسه يأخذون العلم منه ويتتلمذون على يده، وكفانا في ذلك يوم وفاته إذ انتفض العالم بموت هذا البحرالذي قل مثيله في هذا العصر، رحم الله الشيخ وتقبل منه ما كان من جهد قدمه لهذا الدين وأعظم دليل على ما قدمه أقوال العلماء فيه رحمه الله تعالى وجزاه الله عنا وعن المسلمين كل خير[١] .

أقوال بعض من العلماء والتلاميذ :

شهد له بالعلم غير واحد من العلماء الذين عرفوه، وصرح غير واحد من تلاميذه بمكانته العلمية،فمن أقوال العلماء وشهادتهم له بالعلم :

الشيخ السيد أحمد الكومي رحمه الله تعالى – شيخ الأزهر الشريف - قال : الشيخ فضل أمين على العلم، وأثنى عليه الثناء الحسن.[٢]

الأستاذ الدكتور نور الدين عتر – رئيس قسم علوم القرآن الكريم والسنة – جامعة دمشق قال: قد جمعتني بفضيلته رحم العلم، لم أحظ بلقياه، لكن كتبه التي ترد كتاباً بعد كتاب يثلج كل واحد منها الصدر، ثم المكالمات الهاتفية المطولة بيننا زادت شعوري بفضله، وسماحة نفسه وخلقه بارك الله للأمة به. [٣]

الدكتور صلاح الخالدي - الأردن : الشيخ فضل من كبار العلماء، وهو عالم التفسير رقم واحد في الأردن وبلاد الشام، وله من اسمه نصيب فله فضل كبير على الطلاب، والأساتذة، والجامعات،

---

[١] نفسه، ص٤٥.
[٢] جمال أبو حسان، السابق، ص ٧.
[٣] الجوراني، السابق، ص٤٩.

والعلماء، والدعاة. كان رجلاً قرآنياً عاش مع القران تلاوة، وتفسيراً، وتعلماً، وتعليماً، لقد كان يحمل دعوة القرآن.[١]

أقوال بعض من تلاميذه:

كثير هم تلاميذة الشيخ والقائمة تطول ولكن هذه بعض المناذج للتمثيل لا للحصر.

الدكتور سليمان الدقور: رئيس قسم أصول الدين - كلية الشريعة - الجامعة الأردنية:

إن شيخنا رحمه الله ظاهرة علمية تحتاج إلى دراسة متعمقة، تكشف عن عاطفته الدينية الفريدة ثم تكشف عن تمكنه العلمي في تخصصه ، كما تكشف عن موسوعيته العلمية في العلوم الشرعية، ثم تكشف عن منهجه وأسلوبه التعليمي، والتربوي على حد سواء، ظاهرة تحتاج أن تدرس بالمجهر لا بالعين المجردة.[٢]

الدكتور جهاد نصيرات: رئيس قسم أصول الدين- كلية الشريعة - الجامعة الأردنية سابقا : لقد كان صوّاماً قوّاماً شفافاً رقراقاً دمعته فياضةٌ، إن شئت وصفَه قلت: كتلةٌ من الحنان قد اتخذت قشرةً من الصلب؛ لشدة ما لقيت من عقوق الأقربين، وغدر الغادرين، وعزوف العازفين، فإذا اطمأن لك ذابت هذه القشرة، وأغرقك في بحر ليس له شاطئ أبداً.[٣]

الدكتور محمد ريان: أستاذ التفسير وعلوم القرآن في الجامعة الاردنية : شكل أستاذنا العلامة الدكتور فضل عباس مرحلةً تاريخيةً جديدةً، ومنعطفاً في تاريخ العلوم الشرعية، وتحديداً علوم القرآن في كل مستوياتها، ومثّل أنموذجاً حيّاً لمفهوم التجديد المؤصّل، والمنهج النقدي والبعد الأكاديميّ مع الحفاظ على حبّه للتراث وتمسّكه بمنهج العلماء [٤].

---

[١] نفسه، ص ٤٨ .
[٢] جمال أبو حسان ،سلسلة تراجم علماء الأردن ، ص٢٩.
[٣] نفسه، ص٢٦-٢٧.
[٤] في مقابلة مع الدكتور محمد ريان.

المبحث الثاني

مؤلفات الدكتور فضل عباس رحمه الله تعالى

المطلب الأول: مؤلفاته في علوم القرآن والمباحث المتعلقة به.

المطلب الثاني :مؤلفاته في التفسير والمباحث المتعلقة به.

المطلب الثالث : مؤلفاته في علوم البلاغة والمباحث المتعلقة بها.

المطلب الرابع : مؤلفاته في الفقه الإسلامي و الرقائق.

المطلب الخامس : المؤلفات التي لم تنجز.

مؤلفات الدكتور فضل عباس رحمه الله تعالى

قدم الشيخ الجليل مجموعة من المؤلفات التي أثرت المكتبة الإسلامية والتي حَرصت على إحقاق الحق وإظهاره، ويتبين ذلك لكل من يقرأ في مؤلفات الشيخ؛ فهو حريص على الدفاع عن القرآن الكريم وعلومه وإزالة كل شبهة ألصقت ظلماً بهذا الكتاب العظيم، وهذه لمحة اصطفيتها في معظمها من مؤلفاته المذكورة ومقدماتها، ومن النظر في هذه المؤلفات .

المطلب الأول: مؤلفاته في علوم القرآن الكريم

أولاً: إتقان البرهان في علوم القرآن

هذا الكتاب عن علوم القرآن الكريم، طبع مرتين المرة الأولى: طبع في مجلدين في مكتبة الفرقان في عمان، واتسمت الطبعة الأولى بكثير من الأخطاء لذلك جاءت الطبعة الثانية أكثر تنقيحاً وزيدت موضوعاتها، وهو عبارة عن مجلدين طبع في دار النفائس في عمان، والمزيد عن هذا الكتاب سيأتي لاحقاً. وهناك كتاب جديد مختصر عن إتقان البرهان لطلبة العلم من المرحلة الأولى، سماه "غذاء الجنان بثمر الجنان محاضرات في علوم القرآن " [1].

ثانياً: إعجاز القرآن الكريم بالاشتراك مع ابنته سناء فضل عباس

كتاب يتحدث عن إعجاز القرآن وأنواعه بصورة مفصلة، هدف الكتاب كما قال رحمه الله تعالى أنه جاء تلبية لحاجة طلبة الجامعات والمعاهد والكليات العلمية إلى كتاب يجمع بين حسن العرض، ويسر الأسلوب، وجدة المادة، وسهولة العبارة، كما ذكر في مقدمته لهذا الكتاب.[2]

- له كتاب آخر يتحدث عن علوم القرآن الكريم بمشاركة ثلة من العلماء قُدّم مقرراً دراسياً يدرس في جامعة القدس المفتوحة.[3]

ثالثاً: له كتابان في القصص الأول: قصص القرآن الكريم صدْق حدث وسموّ هدف، إرهافُ حسٍّ وتهذيبُ نفسٍ،والثاني: القَصَصُ القرآنيّ إيحاؤه ونفحاته تحدث في الكتاب الأول عن القصة القرآنية من حيث التأصيل لها، وأبرز ما قرره فيه أن لا تكرار في القرآن الكريم، وفي كتابه القَصَصُ القرآنيّ إيحاؤه ونفحاته أعاد النظر فوجد أن القصص القرآني بحاجة إلى بحث معمق ، وقد زاد عليه الكثير من المباحث والمسائل التي لم يطرقها في كتابه الأول، يتحدث الكتاب

---

[1] عباس، فضل حسن(٢٠١٠م)، **إتقان البرهان في علوم القرآن** ،دار النفائس : عمان، ط٢ .
[2] عباس، فضل حسن(٢٠٠٩م)، **إعجاز القرآن** ،دار النفائس :عمان،ط٧،،ص٥-٦.
[3] عباس، فضل حسن(١٩٩٣م)، **علوم القرآن** ،جامعة القدس المفتوحة ،ط١.

عن قصص القرآن الكريم بشكل موسع وأكثر ما يميز هذا الكتاب عن غيره من الكتب الأخرى في هذا المجال أنه خالٍ من الإسرائيليات في عرضه للقصص[١].

رابعاً: قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية، نقدُ مطاعِن، وردُّ الشّبهات الهدف من الكتاب هو الرد على الافتراءات الموجودة في الموسوعة البريطانية المتعلقة بالقرآن الكريم ودحض هذه الشبهات بالحجة والبرهان .[٢]

خامساً: القراءات القرآنية وما يتعلق بها يتحدث فيه عن القراءات وما يتصل بها من مسائل وشبهات، وما يحتاج إليه الطالب ليلم بموضوع القراءات.[٣]

سادساً: التلاوة والتجويد (١-٢) ألّفه بالاشتراك مع ثلةٍ من الأساتذة مقرراً دراسياً قُدّم لجامعة القدس المفتوحة.[٤]

الأبحاث المنشورة، والتي ضُمّنت في مؤلفات الدكتور المتعلقة بعلوم القرآن: [٥]

- بيان القرآن للإمام الخطابي، تحليل ومقارنة ونقد.
- إعجاز القرآن للإمام الباقلاني، تحليل ومقارنة ونقد.
- النكت في إعجاز القرآن للرماني، تحليل ونقد.
- قضية التكرار في كتاب الله.
- مفردات القرآن الكريم مظهر من مظاهر إعجازه.
- الكلمة القرآنية وأثرها في الدراسات اللغوية.
- القراءات القرآنية من الوجهة البلاغية.
- شبهات حول القراءات القرآنية.

---

[١] عباس، فضل حسن(٢٠٠٧م)،**قصص القرآن الكريم** صدق حدث وسمو هدف،إرهاف حس وتهذيب نفس دار النفائس :عمان،ط٢.
[٢] عباس،فضل حسن(١٩٨٨م)،**قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية** ، نقد مطاعن ، ورد الشبهات ،دار البشير :عمان،ط١.
[٣] عباس،فضل حسن(٢٠٠٨م)،**القراءات القرآنية وما يتعلق بها**، دار النفائس،الأردن، ط١.
[٤] عباس،فضل حسن(١٩٩٣م)،**التلاوة التجويد** (١-٢)،مجموعة من العلماء ، جامعة القدس المفتوحه،ط١.
[٥] الجوراني، السابق، ص٥٥.

المطلب الثاني

مؤلفاته في التفسير وعلومه

أولاً: القرآن الكريم المفسر: تفسير إذاعيٌّ كاملٌ قام به رحمه الله، امتاز بالتوسع والإجادة، وهناك جهد قامت به جمعية المحافظة على القرآن الكريم بالتعاون مع إذاعة حياة إف إم لإعداد التفسير وطباعته وهو في المرحلة النهائية[1].

ثانياً: التفسير المنهجي: هو تفسير مدرسيّ للقرآن الكريم أعدّه مع ثلة من أهل العلم.

ثالثاً: التفسير أساسياته واتجاهاته: يتحدث الكتاب عن نشأة التفسير والمراحل التي مر بها، وأقسامه والإسرائيليات، ثمّ تحدّث عن أسباب اختلاف المفسرين، وعن اتجاهات التفسير بشكل مفصل.

رابعاً: المفسرون مدارسهم ومناهجهم: تحدث فيه عن المفسرين، ومدارسهم، وكان هذا الكتاب وكتاب التفسير أساسياته واتجاهاته جزءاً من أطروحته في الدكتوراة. [2]

الأبحاث المنشورة المتضمنة كتابه " أساسيات التفسير وعلوم القرآن "[3]:

أولاً: شبهات حول نشأة التفسير وتطوره.

ثانياً: أثر اللغة العربية في تذوق معاني القرآن الكريم وفهمه.

---

[1] الجوراني، السابق، ص٥٦.
[2] عباس،فضل حسن(٢٠٠٧م)، **المفسرون مدارسهم ومناهجهم**،دار النفائس :عمان ،ط١.
[3] الجوراني، السابق، ص٥٦-٥٧.

المطلب الثالث

في علوم البلاغة

أولاً: البلاغة فنونها وأفنانها في مجلدين الأول في علم المعاني والثاني في علم البيان والبديع:

كان الهدف منه جعل القارئ على صلة بالتراث البلاغي، ووصله بالإعجاز في القرآن الكريم، وإسقاط الضوء على قضايا لم يكترث بها كثيرون[١]. ويُعد هذا الكتاب في جزئه الأول البلاغة فنونها وأفنانها في علم المعاني أول ما كتب في سلسلة بلاغتنا ولغتنا، وتلاه الجزء الثاني منه في علم البيان والبديع الذي احتل المرتبة الثانية في هذه السلسلة [٢].

ثانياً: أساليب البيان هو عبارة عن مختصر لكتاب البلاغة فنونها وأفنانها، ليناسب الطلاب في المرحلة الجامعية الأولى.

ثالثاً: بلاغتنا المفترى عليها بين الأصالة والتبعية جاء هذا الكتاب للردّ على الافتراءات المزعومة بالتبعية والتي تنتقص من لغتنا وتمس بلاغتنا.

رابعاً: لطائف المنان وروائع البيان في دعوى الزيادة في القرآن هذا الكتاب جاء ردا على من قال بالزيادة في القرآن الكريم والحذف

الأبحاث المنشورة المضمنة في مؤلفاته في البلاغة [٣]:

أولاً: الدكتورة بنت الشاطئ والبيان القرآني .

ثانياً: لكلمة القرآنية وأثرها في الدراسات اللغوية .

ثالثاً: قضية الزوائد في كتاب الله تعالى .

رابعاً: سلامة الحرف من الزيادة والحذف.

---

[١] عباس، فضل حسن(١٩٨٩م)، **البلاغة فنونها وأفنانها** ،علم المعاني ،دار الفرقان :عمان ،ط٢.
[٢] عباس، فضل حسن(١٩٩٨م)، **البلاغة فنونها وأفنانها**،علم البيان والبديع ،دار الفرقان :عمان ،ط٣ .
[٣] الجوراني،السابق، ص٥٩.

المطلب الرابع

في الفقه الإسلامي والرقائق

الكتب التي ألفها في الفقه الإسلامي كانت عبارة عن سلسلة سماها رحمه الله: (ليتفقهوا في الدين)، يقول رحمه الله: "السلسلة المباركة إن شاء الله (ليتفقهوا في الدين) حيث مَنّ الله علي بإصدار ثلاثة كتب: "التوضيح في صلاتي التراويح والتسابيح" و"التبيان والإتحاف في أحكام الصيام والاعتكاف" و"أنوار المشكاة في أحكام الزكاة " وقريبا إن شاء الله: "أحكام الحج والعمرة"،[١] وكان السبب وراء تأليف هذه المجموعة هو الأسئلة الكثيرة التي توجه للشيخ في الأحكام الفقهية [٢].

أولاً: التوضيح في صلاتي التراويح والتسابيح.
ثانياً: أنوار المشكاة في أحكام الزكاة.
ثالثاً: التبيان والإتحاف في أحكام الصيام والاعتكاف.
رابعاً: فقهنا بين التسلط والتوسط.
خامساً: الإسراء والمعراج دروس ونفحات.

مؤلفاته في الرقائق:

أولاً: خماسيات مختارة في تهذيب النفس الأمارة هذا الكتاب يدخل في سلسلة سمّاها: (روضة التائبين)، وهو خلاصة دروس قالها في رمضان خلال صلاة التراويح، يتحدث عن آية أو حديث أو قول مأثور، فيه خمس خصال تسهم في تهذيب النفس وإصلاحها، وسيجد فيه القارئ كما يقول رحمه الله في مقدمة هذا الكتاب آداباً وأحكاماً وأمثالاً وحكماً ومواعظ فيها صلاح دنياه وزاد آخرته وتهذيب نفسه وتصحيح فكره.[٣]

ثانياً: مجالس التراويح وهو الكتاب الثاني من سلسلة (روضة التائبين) كما يقول رحمه الله تعالى في الخماسيات المختارة في تهذيب النفس الأمارة، وهذا الكتاب هو عبارة عن مقالات كتبها

---

[١] عباس،فضل حسن(٢٠٠٨م)،**فقهنا بين التسلط والتوسط** ،دار النفائس:عمان،ط١ ، ص٦.
[٢] أعباس،فضل حسن(١٩٨٨م)،**أنوار المشكاة في أحكام الصيام** ،دار الفرقان :عمان،ط١، ص٧.
[٣] عباس،فضل حسن(٢٠١١م)**خماسيات في تهذيب النفس الأمارة** ،دار النفائس :عمان،ط١، ص٦.

الدكتور فضل لجريدة الاتحاد الصادرة في أبوظبي، خلال إقامة الدكتور في دولة الإمارات العربية المتحدة، وهذه المقالات غير موجودة، ويصعب الحصول عليها.[١]

المطلب الخامس

الكتب التي لم تنجز

أولاً: كشف اللثام عن نحو ابن هشام وكان الهدف منه تسهيل علم النحو على الطلاب، وصل فيه للمبتدأ والخبر، لكنّه فُقد ولم يُعثر عليه.[٢]

ثانياً: إعجاز القرآن المجيد، عرض ونقد وتجديد هو كتاب كبير أنجز فيه الكثير من المباحث، وكان شغله الشاغل يريد أن يتمّه، لكن وافته المنية قبل إنجازه رحمه الله تعالى، وقد أخذت الدكتور سناء ابنة الدكتور فضل على عاتقها إنجاز الكتاب، فنسأل الله لها العون.[٣]

ثالثاً: المتشابه اللفظي في القرآن الكريم هو جهد مشترك بينه وبين مجموعة من طلبته عددهم أربعة كل واحد منهم أخذ ربع القرآن، وكانوا يُعِدّون المادة العلمية ثم يعرضونها مجتمعين على الشيخ فيضيف ويعدل ويناقش، وكانت النية معقودة على إصداره في كتاب بعد إعادة صياغته، وتحريره، الطلبة هم د.محمد الجمل، د.علي علان، د.المثنى عبد الفتاح ، د.سليمان الدقور.[٤]

رابعاً: المفسرون مدارسهم ومناهجهم الجزء الرابع من سلسلة التفسير في العصر الحديث وقد تحدث عنه في مقدمة الجزء الثالث من هذه السلسة؛ لكنه لم ير النور ولو أن الدكتور أنهى هذه الدراسة لكانت من أشمل الدراسات الحديثة في مناهج المفسرين في العصر الحديث؛ لاشتمالها على أغلب الكتب التفسيرية في العصر الحديث، ودراستها دراسة مستفيضة.[٥]

---

[١] نفسه، ص٦.
[٢] الجوراني، السابق، ص٦٥-٦٦.
[٣] نفسه، ص٦٥-٦٦.
[٤] في مقابلة أجريتها مع الدكتور سليمان الدقور.
[٥] المفسرون مدارسهم ومناهجهم، ص٩.

المبحث الثالث

منهجه في اعتماد المصادر والمراجع للتأليف

المصادر التي صقلت شخصية الدكتور فضل حسن عباس:

نلمس من خلال دراسة الشيخ أنه تأثّر كثيراً بالبيئة المحيطة به منذ الصغر، بيئة تتميز بجوها العلميّ العالي؛ فالبيت الذي نشأ فيه بيت محافظ يهتم بالعلم والعلماء، حيث كان بيت والده ملتقى يُستضاف فيه علماء من الأزهر للدعوة في فلسطين، وهذا ما حرص عليه خاله الشيخ يوسف عبد الرزاق المشهدي الأزهري من خلال وصول العلم وحمله إلى وطنه فلسطين، وتنشئة جيل متعلم يحمل هموم الأمة، وكثيراً ما نلحظ في كتابات الدكتور فضل ذكره لفضل خاله عليه في حب العلم والعلماء، وبعد هذه الطفولة التي ترعرعت على كلام العلماء، واهتماماتهم، شق طريقه إلى الأزهر الشريف، ومن لطيف القدر أنّ خاله كان أستاذاً في الأزهر ممّا سهّل عليه الوصول إلى هذه المرحلة، مرحلة التعلم وتشكل الشخصية العلمية الرزينة على يد ثلة من أعلام هذه الأمة، والذين سبق ذكرهم في المبحث الأول، وقد تنوعت معرفته بتنوع اتجاهات العلماء الذين أخذ عنهم وهو ما أثرى حافظته العلمية وميزها.

حظي رحمه الله بالعناية والرعاية فترة تعلمه في الأزهر الشريف، وقد أفاد من العلم الكثير وهو ما يتجلى في كتاباته وحديثه عن تلك المرحلة في مصر وفضل علمائها؛ فهي حاضرة الأمة ومنبع العلم والعلماء، وقد أخذ رحمه الله عن علماء ينسبون إلى مناهج بين التقليدي أمثال الشيخ محمد حسين الذهبي، والمحدث أمثال الدكتور محمد عبد الله دراز الذي اطلع على ثقافات أخرى وله معالم واضحة في العلم الذي يختص به، وهكذا تشكلت معالم شخصيته العلمية.

وفي تلك المرحلة اضطرت عائلته للسفر إلى لبنان؛ بسبب الاحتلال الصهيوني لفلسطين فذهب مسرعاً بعد وفاة والده كي يلأم جرح العائلة، وفي أثناء ذلك عمل مع الشيخ محمد أمين الحسيني، وأخذ منه ما أخذ من الشدة والرسوخ على الرأي الصحيح المدعم بالدليل، وبعد ذلك انتقل إلى عمان حيث بدأت الحياة العملية الفعلية[١].

اعتمد الشيخ في تأليف كتبه على مجموعة من المصادر والمراجع المتخصصة في البحث الذي ينشده، ففي كتابه (إتقان البرهان) اعتمد بشكل أساسي على كل من البرهان في علوم القرآن للزركشي، والإتقان للسيوطي، وهذا ما ذكره في مقدمة الكتاب،[٢] وكتب أخرى من مستلزمات

---

[١] انظر: الفصل التمهيدي، ص٩

[٢] عباس، فضل حسن ،إتقان البرهان، ص٨

البحث، واعتمد على كتب الحديث وعلله بسبب كثرة التحقيق والتمحيص للروايات في الكتاب، وهذا من الأهداف التي ألّف من أجلها الكتاب، والذي سنذكره في حديثنا عن منهج الدكتور فيه، وكذلك الكتب الحديثة التي كان لها دور في علوم القرآن مثل: (مناهل العرفان) للزرقاني، وهذا الكتاب من أبرزها.

ومن الكتب البارزة للشيخ كتاب التفسير أساسياته واتجاهاته، والمفسرون مناهجهم ومدارسهم، وكذلك الكتب التي اختصت في البلاغة والبيان القرآني، وكتب الفقه والرقائق، حيث اعتمد فيها على أهم وأوسع المصادر المختصة، وهذا جليٌّ في كتاباته[١] .والشيء المهم في الحديث السابق أن الشيخ كان منفتحا ومطلعا على كل جديد، ويؤلف للحاجة الملحة للتأليف في الموضوعات المطروحة، فسعة اطلاعه وموسوعيته ساعدته كثيراً في إحداث فرقٍ بما ألّف من حيث: التنوع، والجدة، والإضافة النوعية.

ولا يفوتني هنا أن أذكر نقطة رئيسة اعتمد عليها في مؤلفاته وهي الإطلاع على التراث وجعله المقدم في أي بحثٍ يطرقه، فنلحظ دائماً تقديمه للسابقين وكتبهم، وذكره فضلهم وافتخاره بفهمهم الذي ورثناه فأسأنا استخدامه في معظم الأوقات.

[١] انظر: إتقان البرهان ، ج٢ ص٨١-٩٦
انظر: إعجاز القرآن ،ص ٣٥-٨٢

الفصل الأول

معالم منهجه في كتابته لقضايا علوم القرآن مجتمعة في

"كتابه إتقان البرهان في علوم القرآن ، وكتابه غذاء الجنان[١] "

التمهيد: التطور التاريخي لعلوم القرآن الكريم.

المبحث الأول: منهجه في ترتيبه لقضايا علوم القرآن.

المبحث الثاني: منهجه في تحقيق المسائل العلمية.

[١] كتابه غذاء الجنان هو عبارة عن محاضرات في علوم القرآن تتناسب مع طلبة العلم في مرحلة البكالوريوس

التطور التاريخي للتأليف في علوم القرآن الكريم

كانت بداية الحديث في علوم القرآن مع بدايات نزول الوحي والظروف التاريخية التي أحاطت بنزوله منها أسباب النزول والناسخ والمنسوخ، والأحرف السبعة وما شابهها، وهي مرحلة ابتدأت من عهد النبي عليه السلام إلى عهد الصحابة؛ حيث نقلوا لمن بعدهم مجريات هذه الأحداث،عن طريق الرواية ولم تتعدَّ منهج الرواية إلاّ في قضايا يسيرة من بيان لمعاني بعض الآيات، وكذلك ما يتصل بالدلالات اللغوية.

ومع مرور الزمن انتقل هذا العلم إلى طور جديد حيث صار جزءاً من علم الرواية، وجُمعت الروايات المتعلقة بالتفسير وعلوم القرآن في كتب الحديث تحت أبواب متخصصة، كما في صحيح البخاري ومسلم، ثم أفردت بعض الموضوعات بمؤلفات خاصة، ومثل كتاب أسباب النزول لشيخ الإمام البخاري ابن المديني وكتاب مجاز القرآن لأبي عبيدة.

وفي مرحلة لاحقة اتجه التأليف في علوم القرآن إلى منحى جديد؛ حيث ضُمّنت علوم القرآن مقدمات التفاسير، فأصبح التعامل معه ضرورة من الضرورات التي يجب أن تُعرف عند الخوض في غمار التفسير وفهم القرآن الكريم، وهذا الطور كان في كل من القرنين الثاني والثالث الهجري، والملقب (عصر التدوين)، وكان الشكل القائم لعلوم القرآن هو وجوده في كتب التفسير كمقدمة للتفسير، والأمثلة كثيرة على ذلك أبرزها: تفسير شيخ المفسرين الإمام الطبري، فقد ضمّن التفسير بعضاً من موضوعات علوم القرآن مثل الأحرف السبعة، وغيرها من الموضوعات الأساسية في علوم القرآن، ومن ثم نشطت حركة التدوين وتوالت المؤلفات، فوجدنا مؤلفات كثيرة تحدثت عن موضوع من موضوعات علوم القرآن دون الجمع مثل: كتاب إعجاز القرآن لأبي بكر الباقلاني ت٤٠٣هـ، وكتاب علم القراءات لعلم الدين السخاوي ت٦٤٣هـ.

وفي القرن السادس الهجري ابتدأت مرحلة جديدة في علوم القرآن اتّسمت بالشمول والجمع، فبعد أن كانت علوم القرآن متفرقة بين الكتب لم تجمع، بدأ تحديد المصطلحات وجمع المفردات الخاصة بعلوم القرآن في تصنيف واحد، وكان تحديد المصطلح متصلاً اتصالاً تاماً مع هذه الكتب، والذي يترجح من كلام العلماء أن ابن الجوزي ت ٥٩٧ هـ هو أول من كتب كتاباً شاملاً سمّاه: (فنون الأفنان)[١]، ثم جاء الإمام الزركشي ت ٧٩٤هـ في كتابه: (البرهان في علوم القرآن) الذي امتاز بالشمول والاتساع[٢]، وكان الأشهر بين أقرانه كما يقول الإمام السيوطي، وتواصل مجده

---

[١] عباس، فضل حسن، إتقان البرهان ،ج١ص٣٦.

[٢] السيوطي ،جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (٢٠٠٧م)،**الإتقان في علوم القرآن** ، تحقيق محمد متولي منصور ،مكتبة دار التراث :القاهرة ،ط١، ج١ ،ص١٠٠.

ولمع صيته إلى أن أتحفنا الإمام السيوطي ت ٩١١هـ بكتابه (الإتقان في علوم القرآن)، وقد ذكر السيوطي في مقدمته بعض العلماء الذين أسهموا في النهضة في علوم القرآن،[١] غير أنه اعتمد في أكثر ما ذكره على الزركشي، مع وجود إضافات في بعض المباحث والموضوعات، ومع ذلك فإن السيوطي لم يخرج عن البرهان إلا في مواضع يسيرة، واشتهر كتاب السيوطي وذاعت شهرته، فهو كتاب كثير الفوائد عظيم في سربه، نقل عنه الكتّاب إلى يومنا هذا فهو المرجع الرئيس لأي موضوع من موضوعات علوم القرآن.

وبعد الإمام السيوطي وكتابه الإتقان نلحظ ظهور مرحلة جديدة من الركود والجمود لم تنكسر إلا في القرن الرابع عشر على يد ثلة من العلماء الذين أضافوا مسائل جدّت في علوم القرآن، ومنهم: الشيخ طاهر الجزائري في كتابه (التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن على طريق الإتقان)، ونلحظ من الاسم وضوح منهج المؤلف في كتابه، فقد ألّف على منوال السيوطي في إتقانه، وبطريقة أوضح، ثم توالت المؤلفات وجاء الكتاب الأشهر للشيخ الزرقاني (مناهل العرفان في علوم القرآن) وهو كتاب شامل أضاف فيه مسألة الشبهات والرد عليها؛ وذلك لمعاصرته لمرحلة الاستشراق وطغيان المذهب المادي في زمانه، وطرح بعض الموضوعات بأسلوب جديد مثل الوحي وارتباطها بالمادية التي ظهرت وذاع اسمها في ذلك العصر.

ثم جاءت مرحة التأليف على أساس المناهج الدراسية الجامعية، فصنف الشيخ عبد الوهاب عبد المجيد غزلان في كتابه: (البيان في مباحث من علوم القرآن)، وكتاب(مباحث في علوم القرآن) لمناع القطان، (منهج الفرقان في علوم القرآن) الشيخ محمد سلامة، و(مذكرة علوم القرآن) الشيخ محمد أحمد علي، ثم جاءت مرحلة جديدة شكلت فتحاً جديداً في علوم القرآن، وهي مرحلة: (إتقان البرهان في علوم القرآن) لفضل عباس، الذي لم يغيّر في الموضوعات وإنما غير في منهج الطرح والدراسة، حيث تميزت دراسته بالتمحيص والتحقيق ،والنقد المنهجي[٢].

---

[١] السيوطي،السابق، ص٩٤-١٠٣.

[٢] انظر : فضل عباس ،إتقان البرهان ، ص٦ ،مأخوذ مما قاله الدكتور جمال أبو حسان في هذا الكتاب

المبحث الأول

ترتيبه لقضايا علوم القرآن الكريم

المطلب الأول: التعريف بكتابه إتقان البرهان، و منهجه في ترتيبه لقضايا علوم القرآن فيه.

المطلب الثاني: مقارنة موضوعات الكتاب مع موضوعات كتب أخرى .

المطلب الأول

التعريف بكتابه إتقان البرهان،ومنهجيته في ترتيبه لقضايا علوم القرآن

إتقان البرهان في علوم القرآن طبع مرتين وكانت الطبعة الثانية أكثر تنقيحا وأناقة، بعدما اتصفت الطبعة الأولى بكثرة الأخطاء، طبع أول مرة في مكتبة الفرقان، والطبعة الثانية كانت في دار النفائس في مجلدين وقد زيد في الطبعة الثانية بعض الموضوعات التي لم تذكر في الطبعة الأولى مثل الوجوه والنظائر، و لغة القرآن الكريم، وإضافات جوهرية في ثنايا الموضوعات كما فعل بالنسخ .

يتكون الكتاب من ثمانية وعشرين موضوعاً، أربعة عشرَ موضوعاً منها في الجزء الأول من الكتاب، والباقي ضمّنه في الجزء الثاني، ابتدأ الفصل الأول بعنوان واجبنا نحو كتاب الله تعالى تحدث فيه عن كيفية التلاوة الصحيحة والتدبر لكتاب الله، ثم انتقل للحديث في الفصل الثاني عن جهود العلماء في علوم القرآن الكريم، وبعد هذه المقدمات تحدث في الفصل الثالث عن معنى علوم القرآن الكريم، وتناول في الفصل الرابع الحديث عن الوحي وأنواعه وصفاته، وفي الفصل الخامس تحدث عن نزول القرآن الكريم ورد بعض الشبهات الواردة عليه، وفي الفصل السادس تحدث عن لغة القرآن الكريم و تناول فيه الحديث عن المعرب، وما يتعلق باللفظ، والفصل السابع كان الحديث فيه عن إعجاز القرآن وأنواعه، وفي الفصل الثامن كان الحديث عن جمع القرآن الكريم و تناول فيه الحديث عن معنى الجمع والمراحل التي مر بها، في الفصل التاسع رد على الشبهات التي وردت على موضوع جمع القرآن الكريم، وفي الفصل العاشر تحدث عن أسباب النزول، الفصل الحادي عشر تناول فيه الحديث عن المكي والمدني، والفصل الثاني عشر تحدث عن ترتيب آي القرآن وسوره، أما الفصل الثالث عشر فتحدث فيه عن رسم المصحف، وفي الفصل الرابع تحدث عن المحكم والمتشابه.

أما في الجزء الثاني من الكتاب والذي تضمن أربعة عشر موضوعاً أكمل فيه الحديث عن موضوعات علوم القرآن، وقد ابتدأ الفصل الخامس عشر بالحديث عن الناسخ والمنسوخ، ثم في الفصل السادس عشر تحدث عن الأحرف السبعة، وفي الفصل السابع عشر تناول القراءات القرآنية، ثم في الفصل الثامن عشر تحدث عن التفسير والمفسرون، وفي الفصل التاسع عشر تحدث عن الوجوه والنظائر، الفصل العشرون تناول فيه الحديث عن مشكل القرآن الكريم، وفي الفصل الحادي والعشرين تحدث عن ترجمة القرآن الكريم، ثم في الفصل الثاني والعشرين تحدث عن علم المناسبات، الفصل الثالث والعشرون كان الحديث فيه عن أمثال القرآن، وفي الفصل

الرابع والعشرون تحدث عن القسم في القرآن، ثم في الفصل الخامس والعشرين تحدث عن حجج القرآن، وفي الفصل السادس والعشرين تحدث عن أنماط الشبهات حول القرآن وفي الفصلين السابع والثامن والعشرن تناول شبهات كلا من المستشرقين والحداثيين.

منهجيته في ترتيبه لقضايا علوم القرآن :

وأمّا عن ترتيبه لهذه الموضوعات فقد بدأ بداية مغايرة للبدايات التقليدية في علوم القران فأغلبُ من ألف في علوم القرآن ابتدأ بالحديث عن معنى القرآن، ومن ثمّ الوحي وما إلى ذلك، أمّا الدكتور فضل فقد بدأ بداية جديدة أراد من خلالها أن يلفت انتباهنا إلى شيء مختلف عمّا سبق وهو تقوية علاقتنا بالقرآن، والرابط الذي يربطنا به فبدأ بالروحانيات قبل البدء بالموضوعات التي تتصف بالجمود، وكان المبتدأ بواجبنا تجاه القرآن ليعزز الارتباط، ثم قام بمسح تاريخيٍ تحدث فيه عن النشأة والمؤلفات التي ألفت في هذا العلم في ترتيب منطقي ليبين لنا التطور الذي حصل للكتابة في علوم القرآن، وبعد هذا التمهيد كانت البداية مع الموضوعات التي ترتبط مع صلب القرآن والتي تعد من العلوم الضرورية لفهم أسرار القرآن الكريم.

بعد الحديث عن تعريف القرآن الذي يمهد للحديث عن الوحي بدأ بالتعريف فيه لغة واصطلاحاً، ثم تحدث عن أنواعه، ومن ثم انتقل للحديث عن مصدرية القرآن، وقد تأثر في حديثه عن المصدرية بالدكتور عبد الله دراز الذي تحدث عن مصدرية القرآن في النّبأ العظيم، وكان التأثر بالدكتور دراز في أن يبني تسلسلاً منطقياً في تثبيت صدقية القرآن، وأنه وحي من الله ليكون الحديث بعدها في موضوعات علوم القرآن مبنياً عند القارئ على أساس متين لا يداخله شك في أن القرآن من عند الله، ثم أدرج مبحث نزول القرآن وهو مبحث ضروري من الناحية التاريخية ليدرك القارئ كيف نزل القرآن، وفي الفصلين السادس والسابع تحدث عن لغة القرآن وإعجازه ليثبت ما سبق ذكره على ما كان عليه الأمر في زمن نزول القرآن، وليقرر حقيقة أن القرآن من عند الله، ثم انتقل للحديث عن جمع القرآن فجعل ذهن القارئ وقلبه مطمئنا إلى أن ما بين أيدينا من القرآن لا نقص فيه ولا خلل ولا شبهة من كونه من عند الله؛ بل أورد في الفصل التاسع بعض الشبهات التي اتصلت في هذا الجانب ليهيء عقل القارئ ونفسه تهيئةً تامة لما سيأتي من قضايا قرآنية؛ فلا يبقى في نفس القارئ أدنى شبهة تتعلق في قرآنية القرآن وكونه وحياً من الله.

ومن ثم تحدث عن أسباب النزول وفوائد معرفته في الاستئناس به لفهم الآيات، وكذلك لتفسير بعض القضايا الخلافية وتقرير التي التصقت بهذا الموضوع، تحدث بعد ذلك عن المكّيّ والمدنيّ وهذا الموضوع يتصل اتصالاً تامّاً بأسباب النزول؛ فمعرفتهما تعتمد في الغالب على معرفة

أسباب النزول، وقد ردّ على الشبهات التي دخلت على هذا الموضوع بسبب الروايات الموضوعة فيه، أو الروايات التي أساء العلماء استخدامها أو فهمها.

وبعدها تعمق في صلب القرآن فتحدث عن ترتيب سوره وآياته، ثم انتقل للحديث عن شيء مخصوصٍ أكثر يتعلق بشكل الآيات من حيث رسمها وما يتعلق ببيانها، حيث محكمها ومتشابهها وناسخها و منسوخها، وأوجه الاختلاف في نطق الآيات، حيث الأحرف السبعة وما ينبثق عنها من قراءات قرآنية، ثم تحدث عن الوسيلة الأكثر أهمية وهي الوسيلة التطبيقية لما يقال في علوم القرآن ألا وهو علم التفسير، إذ تحدث فيه عن نشأته ومعالمه ومدارسه واتجاهاته وأنواعه، وقد خصّه الدكتور بمؤلفات سنتحدث عنها فيما بعد.

وبعد الانتقال من الأخصّ إلى الأعمّ في حديثه عن علم التفسير ينتقل إلى موضوعات اختُلف في ضمها لعلوم القرآن وهي: الوجوه والنظائر، ومشكل القرآن، وترجمة القرآن، تحدث فيها عن الترجمة وحكمها وآراء العلماء فيها، وتحدث عن المناسبات: وهو علم اجتهادي فيه فوائد كثيرة تربطنا بالدافع الأول لوجود القرآن، وهو الإحساس بهذه القدرة التي أعجزت أعلام البشر من الإتيان بكلام شبيه لهذا القرآن العظيم، ثم تحدث عن الأمثال وحجج القرآن الكريم، وهنا آثر تسميتها بالحجج بدل جدل القرآن، ثم انتقل لأهم الموضوعات وأخطرها: الشبهات التي أثيرت على القرآن الكريم وعلومه، وأخذت ثلاثة فصول تحدث فيها عن الشبهات بأنواعها حسب المورد، كذلك تحدث عن أبرز المحدثين المنسوبة إليهم هذه الشبهات، ونجد أن أسلوبه تغير في هذه الفصول؛ فصار أكثر شدة على هؤلاء، وكان من أهم أهداف الكتاب الردّ على الشبهات، والدفاع عن القرآن العظيم، وبهذا يكون قد انتهى هذا الكتاب .

وهنا وقبل الانتهاء لابد من الإشارة إلى أن هذا الترتيب لم يشر إليه الدكتور أو إلى المنهجية المتبعة فيه، إلا أنه يتصف بالمنطقية وانسجامه الموضوعي، والذهني، وأثره في ترتيب عقل القارئ وذهنه وبناء عقله بناءً منهجياً .

المطلب الثاني

مقارنة موضوعات الكتاب مع موضوعات كتب أخرى

إن الهدف الذي من أجله ألف الدكتور فضل كتابه (إتقان البرهان) هو تصفية علوم القرآن مما علق بها مما لا يصح، وكان ذلك بالتنقيح والتمحيص والتجديد في أسلوب طرح الموضوعات ومعالجتها، وتنحصر المقارنة في هذا المطلب بالموضوعات المطروحة في الكتاب والتي لم تطرح في الكتب السابقة أو التي طرحت بالكتب السابقة ولم يتطرق لها الدكتور أو دمجها مع موضوعات أخرى.

أولاً: **الموضوعات التي كان للدكتور السبق في طرحها بشكل جديد** المقدمات التي تظهر أهمية هذا العلم وعظمه، وقد ابتدأها بعنوان: (واجبنا نحو القرآن الكريم)، طرح فيه أهمية وضرورة استشعارنا لكلام الله تعالى ومقدار تأثيره، فالبداية المعتادة التي يبتدئ فيها علماء علوم القرآن كتاباتهم هي التعريف بالقرآن الكريم وأسمائه وصفاته، لكن البداية هنا تختلف، بدأت بتأصيل وتجذير قدسية القرآن الكريم ووجوب الاستشعار بذلك، وتكون بالتدبر الصحيح للكتاب الله تعالى .

ومن الموضوعات التي طرحها الدكتور بشكل مختلف وفيها أجزاء كثيرة لم يذكرها غيره: الشبهات وردها، ففي الكتاب كان للشبهات أربعة فصول، في الفصل الثامن من الكتاب ردّ الشبهات التي وردت على جمع القرآن الكريم، ومن ثمّ وفي آخر الكتاب تحدث بالتفصيل عن الشبهات وأصّل لها؛ فذكر أنماط الشبهات وأشكالها ومحدثيها، ومن ثمّ تحدث بالتفصيل عن هذه الشبهات مع الأمثلة التطبيقية.

ثانياً: الموضوعات المشتركة بين الكتاب وكتب علوم القرآن وهي الأكثر في كتابه حديثه عن جهود العلماء في هذا العصر، وحديثه عن العلماء و مؤلفاتهم في هذا العلم، وعن نشأة هذا العلم وتطوره، والتقديم والتأخير يختلف من كاتب إلى آخر، وقد كتب السيوطي في مقدمته عن تاريخ التأليف في هذا العلم وذلك بذكر من ألف في هذا الحقل قبله،[١] أمّا في كتب العصر الحديث فقد أدرجوا نشأة العلم وتطوره في المباحث الأولى من هذه المؤلفات ومن ذلك مثلاً: (مناهل العرفان) للزرقاني، و(مباحث علوم القرآن) لمناع القطان، وكذلك ما كتبه فهد الرومي في كتابه (دراسات في علوم القرآن) وغيرهم.

---

[١] السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن ، ج١، ص٩٤-١٠٧

ثالثاً: الموضوعات التي وافق علماءَ علوم القرآن في ذكرها حديثه عن معنى علوم القرآن الكريم والوحي، مع وجود بعض التغيير في الطرح، ومن ذلك نرى أنه لم يتطرق إلى إمكانية إثبات الوحي، وما تحمله من أدلّة تثبته، وهذا ما سأتحدث عنه في المبحث الثاني عند الحديث عن منهجه في تعامله مع المفهوم والعناصر المكونة للموضوع، وقد اشترك كذلك مع العلماء في موضوع نزول القرآن، ونرى في هذا الموضوع شخصيته الناقدة التي ظهرت بقوة خصوصاً في حديثه عن أول ما نزل وآخر ما نزل، وموضوع إعجاز القرآن الكريم وجمع القرآن، وأسباب النزول، ونرى هنا خروجه قليلاً عما عرف عند العلماء، وهذا ما سنبحثه في المطلب الثاني، وحجج القرآن التي آثر تسميتها بالحجج بدل الجدل، والسبب وراء ذلك هو التعبير القرآني الذي عبر عنه بالحجج وليس الجدل، وغيرها الكثير من الموضوعات المشتركة.

وقد اتصف الدكتور بعدم خروجه عمّا ذكره العلماء في هذا العلم، إلا ما اعتبره مما حصل فيه الكفاية، ومن الأمثلة على ذلك ترجمة القرآن وما فيها من تفصيلات فقد ذكرها بشكل مختصر[١] وفي حديثه عن إثبات الوحي،[٢] أو ما ليس هناك حاجة إلى ذكره كتفصيلات النزول وصفاته،[٣] وهو بعض مما انفرد فيه السيوطي ولم يذكره أكثر علماء العصر، أو مما يخرج عن علوم القرآن ويختص بعلم آخر: كالعلوم التي تختص باللغة أكثر مما تختص بعلوم القرآن، وعلم التجويد وما فيه من تفصيلات، والرسم العثماني وما يتخلله من قواعد،[٤] وهذا مما أشار إليه في ثنايا الكتاب.

والمميز في الكتاب التمحيص والتحقيق للقضايا[٥] التي أحدثت بعض الجدل والخلاف، وردّ الشبهات التي انبثقت منها ومن سوء فهمها، وبعد التدقيق لا نراها تَمُتُّ لهذا العلم بصلة، وما يثبت ذلك وجود أربعة فصول في الكتاب ترد الشبهات التي أوردت على موضوعات علوم القرآن الكريم، فالهدف ليس فقط في النقل البحت عمّن سبق، وهذا ما فعله الأغلب، لكن في تأكيد الثوابت، وتطهير ما علق من شوائب تعكر صفو هذا النبع الصافي، وهذا ما لا نجده عند كثير من المؤلفين في هذا العلم.

---

[١] عباس،فضل حسن ،إتقان البرهان ،ج٢،ص٥.

[٢] نفسه، ج١، ص٦٥.

[٣]السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن.

[٤] انظر :فهد الرومي (١٤١٦)،**دراسات في علوم القرآن** ،مكتبة التوبة :الرياض،،ط٧– انظر :مناع القطان (٢٠٠٠م)،**مباحث في علوم القرآن** ،مكتبة المعارف:الرياض ،ط٣.

[٥] وقد أورد الدكتور بعض القضايا التي لم يتطرق لها كثير من الكتاب في هذا العصر ومنها حديثه بالتفصيل عن الآيات المكية والمدنية التي اوردها السيوطي وقام بإقرار السور المكية والمدنية التي اختلف فيها مع السيوطي ،وكذلك أسباب النزول ،وهذا مما سأتحدث عنه لاحقا في المباحث القادمة .

ومن الموضوعات التي تركها الدكتور وذكرها العلماء القصص القرآني، وبعض المباحث التي تتصل باللغة وتفصيلاتها في الكتب القديمة والحديثة مثل: كتابي (البرهان والإتقان) و(مناهل العرفان) وكتب أخرى منها موضوعات التعريف والتنكير والمطلق والمقيد والعام والخاص والأدوات التي يحتاج إليها المفسر وإعراب القرآن، وتفصيلات علم التجويد.

والموضوعات التي دمجها الدكتور في موضوع واحد أو اختصرها: لغة القرآن الكريم فقد تحدث فيها عن المعرب والمشترك اللفظي والمعنوي، والنوادر وما إلى ذلك وقد اتصفت بالاختصار مقارنة بالكتب الأخرى، ودمجها فجعل كل ما يتعلق باللغة تحت فصل سماه: لغة القرآن، وكذلك من الموضوعات ترتيب آي القرآن وسوره، فقد جمع في هذا الموضوع الحديث عن الآية القرآنية، والسورة والفاصلة، وما يتفرع من هذه الموضوعات من جزئيات.

نستنتج مما سبق ذكره في عقد المقارنة بين أبرز من ألف في علوم القرآن قديما ،وأبرز من ألف فيه حديث . أن الشيخ لم يخرج في الموضوعات عما عُرف عند العلماء لكن المختلف عنده طريقة طرحه للموضوعات ومعالجتها.

المبحث الثاني

منهجه في تحقيق المسائل العلمية

التمهيد: منهجه في تحقيقه للمسائل العلمية.

المطلب الأول: منهجه في تعامله مع المفاهيم والعناصر المكونة للموضوع.

المطلب الثاني: منهجه في تعامله مع المسائل الخلافية وإيرادها .

المطلب الثالث: منهجه في التعامل مع الأحاديث ودلالاتها.

منهجه في تحقيقه للمسائل العلمية

اعتمد منهجه رحمه الله في تحقيقه للمسائل العلمية على تعامله مع المفاهيم والعناصر المكونة للموضوعات، وكذلك في إيراده للمسائل الخلافية ومناقشة مخالفيه، وفي تعامله مع الأحاديث ودلالاتها، والمراد من التحقيق هو تنقيح علوم القرآن مما علق فيه من الشوائب، وتمثل التحقيق في طرح هذه المسائل بموضوعية ودقة كبيرة؛ حيث أنه يقوم بسرد المسألة وأدلة الترجيح لكل رأيٍ معتَبَرٍ فيها، وبعد السرد يبدأ بالمناقشة، فإذا كان الدليل آيةً قرآنيةً ينظرُ هل الاستدلال موافقٌ لسياق الآيات ومعناها،[١] ثم ينطلق بأدواته فينظر إلى اللغة والأصل اللغوي، وترجيحات النحويين في اللفظة، وهل الاستدلال بها صحيح أم لا.

وإذا كان الاستدلال براوية ما، نظر إليها من زاويتين رئيستين: السند والمتن، فينظر لهما من حيث الصحة، وتوافق النص مع الثوابت المجمع عليها، وهنا لا ينقطع عن الاستئناس بأقوال العلماء وآرائهم في تأكيد موقفه من الرواية، وتعزيز رأيه فيها؛ كي يكون عمله منهجياً قائماً على أساس علمي متين.

وقد امتاز بتحكيم العقل والاستدلال بمقتضياته، ومناقشة الأدلة وسبرها وتفنيدها، وفي حال عدم وجود مرجح نجده لا يتردد في طرح رأي جديد في المسألة، معززاً هذا الرأي بالأدلة والقرائن التي تثبت صحته، أمّا في حال وجود آراء متعارضة في المسألة فإنه يعمل على الترجيح مستفيداً ومستأنساً بالمرجّحات.

ومن أهم ما اتصف فيه المنهج المتبع في الكتاب: التدليل على الرأي الراجح بأمثلة تطبيقية، وهذا ما نجده مبثوثاً في ثناياه، فلا نجد مسألة طرحها إلا وجاء بأمثلة تطبيقية تقوّي ما ذهب إليه، والناظر في الكتاب يجد أنه استخدم أغلب المناهج المتبعة في التحقيق ودراسة المسائل، وهذه المناهج هي: المنهج التحليلي الاستنباطي ومن الأمثلة على ذلك ما نجده في حديثه عن لغة القرآن الكريم ونزول القرآن وفي الرد على الشبهات، والمنهج الوصفي التاريخي وهذا نجده جلياً في حديثه عن نشأة علوم القرآن وتطورها، وجمع القرآن،والمنهج النقدي في حديثه عن الناسخ والمنسوخ، والمكّي والمدنيّ، وأسباب النزول.

[١] عباس،فضل حسن، إتقان البرهان ، ج١ص٢٤٦ - ٢٤٨

المطلب الأول

منهجه في تعامله مع المفاهيم والعناصر المكونة للموضوع

تعامل رحمه الله في كتابه (إتقان البرهان) مع المفاهيم المكونة للموضوعات المطروحة فيه بعيداً عن الطريقة التقليدية في أغلب ما طرح في الكتاب، فكان همّه الأول: هو التأصيل للموضوعات المطروحة والبحث فيها وفي كل ما يتعلق بها، وبعد التأصيل ينتقل لإزالة ما علق فيها من شوائب، ويركز على الموضوعات التي تحتاج إلى زيادة بحث ودراسة وتحقيق، فترى أنه قد ركز عليها وأشبعها ، وهذا مما ميّز دراسته؛ إذ كان همه عند كتابته في علوم القرآن التأصيل للموضوعات والبحث في منشأها، وكيف استوت على سوقها، ومن ثم درء بعض الشوائب التي علقت بها؛ لجعل الموضوع متكاملاً يتناسق مع أصول هذا الدين وفروعه، ومن الموضوعات التي ظهر فيها خروج الدكتور عن التقليد فيما يتعلق بالمفاهيم التي أرسيت لها: الوحي، لغة القرآن الكريم، والمكيّ والمدنيّ، والأحرف السبعة، والناسخ والمنسوخ، ولتوضيح منهجه في التعامل مع المفاهيم المكونة لعناصر الموضوعات،قمت بتقسيم منهجه في ذلك إلى قسمين،

القسم الأول: منهجه في تعامله مع المصطلحات والتعريفات.

القسم الثاني: منهجه في تعامله مع الموضوع والعناصر المكونة له.

القسم الأول: منهجه في تعامله مع المصطلحات والتعريفات، ويتصف المنهج الذي سار عليه في تعامله مع المصطلحات والتعريفات بالآتي :

أولاً: إبراز الصلة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي لكل من الموضوعات المطروحة، وقد يرجح معنى لغوي على آخر؛ لأدلة موجودة في العربية، ونرى ذلك بوضوح في حديثه عن المعنىً اللغوياً للقرآن الكريم[١]، وكذلك يراعي أن يكون هناك صلة وترابط بين المعنى اللغوي والاصطلاحي وأن لا يحدث بينهما تنافر[٢].

ثانياً: إيراد أقوال العلماء وآرائهم، حتى الشاذ منها ثم الترجيح مع الأمثلة[٣]، وبعد الترجيح أو التقرير لمعنى لغوي أقرّه جمهور العلماء كما نرى في أغلب الموضوعات ينتقل إلى المعنى الاصطلاحي، وكما ذكرنا سابقاً إما أن يرجح بين آراء العلماء، أو أنه يقرر ما استقر عليه

[١] عباس، فضل حسن، إتقان البرهان ، ج١ص٥٣- ٥٩
[٢] نفسه، ج١ص٢٣٤
[٣] نفسه، ج١ ص٣٨٠ -٣٨١

العلماء، أو أنه يأتي بجديد ونرى أنه عند الترجيح يأتي بالأصل اللغوي للكلمة، ومن ثم ما يكون أكثر اتصالاً بالموضوع وحيثياته، ونجد ذلك كثيراً مثل: ما قرره في معنى النسخ بالنظر لحيثياته ومحترزاته، وكذلك ما نراه عند تحدثه عن النوادر.

ثالثاً: يهتم بكل تفاصيل الموضوع للحصول على المعنى المناسب له، فيأخذ بعين الاعتبار الزمان والمكان والمخاطبين، وكل اعتبار ممكن أن يؤثر في تحديد المفهوم وتبيانه، وهذا ما وجدناه عند حديثه عن المكيّ والمدنيّ والأحرف السبعة ومفهومها متناسباً مع الأحاديث التي قيلت فيها وحكمة نزولها وما إلى ذلك.

رابعاً: في تعامله مع المصطلحات والتعريفات نلحظ ميله إلى رأي السابقينوالأخذ بما قاله الجمهور.

خامساً: ويظهر أنه يرجح المعنى المتسق مع الأدلة التي تتحدث عن الموضوع، ففي حديثه عن المتشابه يظهر لنا أنه رد كثيراً من المعاني التي رجحها العلماء لعدم اتساقها مع ما جاء في الآية القرآنية التي تتحدث عن المتشابه والأدلة العقلية الأخرى.

- يأتي بأمثلة تطبيقية توضح ما رجحه ويجيب على التساؤلات المحتمله لما رجحه.

ومن الأمثلة على منهجه في تعامله مع المصطلحات والتعريفات حديثه عن المحكم والمتشابه:

نلحظ تقديمه لآراء السابقين والاحترام الشديد لهم وهذا يظهر بالأمثلة المساقة للتدليل ، يستدل على ما رجح بالقرآن والسنة الصحيحة وآراء العلماء، ومن ثم يقوم بمناقشة الأدلة بالأدلة النقلية والعقلية، وبعد ذكر الآراء ومناقشتها يرجح.

بدأ رحمه الله البداية المعتادة بالمعنى اللغوي لكل من المحكم والمتشابه، ولم يكن هناك حاجة للخوض في نقاش عن المعنى الاصطلاحي للمحكم لظهور معناه، وعدم الاختلاف فيه أمّا في الحديث عن المتشابهة فالأمر تبدل وبدأ النقاش والموازنة بين الأقوال للوصول إلى اصطلاح يتناسب مع القرآن وبيانه والهدف من نزوله.

وقد بين أن سبب الاختلاف في المتشابه وتضارب الآراء في معناه يتجلى في أنه من الأمور الاجتهادية التي تخرج عن التوقيف الإلهي فكثرت فيها الآراء وتعددت، وبعدها بدأ

بعرض الآراء التي قيلت في المحكم والمتشابه، وبعد عرض أحد عشر رأياً في المحكم والمتشابه خلص الدكتور إلى ردّ أغلبها مع ذكر السبب، وأذكر منها القول بأن الآيات المحكمات هن الآيات الناسخات والمتشابهات هن المنسوخات وقد رده بقوله: إن القرآن ذكر النسخ في آيات تختلف عن موضوع المحكم والمتشابه المذكور في آيات أخر، وكذلك أن بعض الأقوال تعود إلى إمام بعينه وفيها بعض التضارب وفي هذا يقول: إن هذه الروايات مردودة سنداً ومتناً وغيرها الكثير مما ردّه .[١]

وقد خلص رحمه الله في معنى المحكم والمتشابه إلى قولين ذهب إليهما أكثر العلماء وهما:

الأول : أن المحكم ما وضح معناه، والمتشابه ما لم يتضح معناه إلا بعد إجالة نظر وإعمال فكر، ويقول إن هذا القول ذهب إليه أكثر المفسرين.[٢]

الثاني : أن المحكم ما علم معناه وكان في دائرة الإمكان، والمتشابه ما استأثر الله بعلمه.

وقد ذكر أهم العلماء الذين قالوا بكل من الرأيين،[٣] والسبب الذي دفعهم للقول به.

أما القول الأول: وهو أنّ المحكم ما كان معناه واضحاً، والمتشابه ما لم يتضح معناه إلا بعد إجالة نظر وإعمال فكر، وقد دلّلوا على ذلك بأدلّة عقلية ونقلية منها قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ ۚ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ النحل: ٨٩ ، أما الدليل العقلي فبأنَّ الله لا يكلف الناس ما لا يطيقون.[٤]

أما القول الثاني: وهو أن المحكم ما علم معناه وكان في دائرة الإمكان، والمتشابه ما استأثر الله بعلمه، فقد استدلوا على ما ذهبوا إليه أنه ابتلاء من الله تعالى لعباده المؤمنين، ومن الأمثلة على أنه من المتشابه: مثل علم الساعة والروح والحروف المقطعة وآيات الصفات، فقال في

[١] عباس،فضل حسن ،إتقان البرهان، بتصرف، ج١ص٤٧٣-٤٧٤
[٢] نفسه، بتصرف، ج١ص٤٧٤
[٣] نفسه،بتصرف، ج١ص٤٧٤ -٤٧٨
[٤] نفسه،بتصرف، ج١ص٤٧٨

مناقشته لهذه الأمثلة: إنها لم تكن محل نزاع، فالآية التي تحدثت عن الساعة لا يوجد فيها متشابه؛ لأن معناه مفهوم، لكن عدم معرفة موعد قيام الساعة وفي أي وقت هو لا يدخل في فهم الآيات التي تحدثت عن الساعة، أمّا عن الحروف المقطعة فمنهم من ذهب إلى أنها أسماء للسور، ومنهم من ذهب إلى أنها أحرف تعرف معانيها لكنها وضعت في كتاب الله للتأكيد على عجزهم عن الإتيان بمثل القرآن حتى لو استخدموا المادة الأساسية التي تتكون منها وهي الأحرف العربية، أما آيات الصفات فعلل الاختلاف في فهمها هو حرص العلماء على عدم الدخول في التشبيه لقوله تعالى ﴿ فَاطِرُ ٱلسَّمَوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ أَزۡوَٰجٗاۖ يَذۡرَؤُكُمۡ فِيهِۚ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١ ﴾ الشورى: ١١.

وبعد هذا التجوال للاطلاع على آراء العلماء، وبعد حديثه عن الحكمة من ورود المتشابه، وأسباب وقوعه، وتفسير آية آل عمران التي تحدثت عن المتشابه يخلص إلى ترجيح الرأي القائل: إن المحكم ما كان معناه واضحاً، والمتشابه ما لم يتضح معناه إلا بعد إجالة نظر وإعمال فكر، ويعلّل ذلك بقوله: (لا يعقل ولا يتصور أن يتعبدنا الله بما يستحيل علينا معرفته، وأن يكون في كتابه الذي أنزله هدى للناس ، إن مما يستبعد حقاً أن يقال: إن في كتاب الله كلاماً لا يُعرف معناه ...نعم قد يكون في القرآن آيات لا يعلم معناها كثيرٌ من العلماء فضلاً عن غيرهم لاشتباه معنىً، وتارةً لشبهة في نفس الإنسان تمنعه من معرفة الحق)[1]، ثم استأنس لما رجحه بقوله تعالى وهذا في خضم تفسيره لآية آل عمرانقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٧ ﴾ آل عمران: ٧ ، يقول: الراسخون في العلم هم العارفون الحقيقيون للآيات المشتبهات فهم متمكنون في فهم الآيات، لا تعرض لهم شبهة فيها.[2]

---

[1] نفسه ، ج١ص٤٩٣
[2] نفسه ، بتصرف، ج١ص٤٩٣

وهكذا نرى أن الدكتور بحث في جميع جزئيات الموضوع ليصل إلى حقيقة معنى المحكم والمتشابه بالحجة والبرهان، وقام بالترجيح على هذا الأساس بعد عرض لآراء العلماء ومذاهبهم في المسألة، وباستخدام هذه الأساليب حقق الدكتور هذه المسألة .

ومن الأمثلة التي توضح منهجه مع المصطلحات والتعريفات: معنى الأحرف السبعة، وذلك لأنه من الموضوعات الشائكة التي تنوعت فيها الآراء قديماً وحديثاً لمحاولة الوصول إلى اصطلاح تُعرف به الأحرف السبعة.

انتهج رحمه الله في بحثه عن معنى الأحرف السبعة في ذكر أكثر الآراء صواباً، وذلك بالاستدلال بأدلة مقنعة؛ لأنه أشار في بداية حديثه عن الأحرف السبعة أن في معناها آراء كثيرة لكن سنأتي بأصحها، ومن ثم يذكر أدلة كل فريق وأهم العلماء الذين تبنوا هذا الرأي ويناقش أدلتهم وما فيها من صحة أو عدمها، ومن ثم يذكر الرأي المختار الذي ارتآه مع الأدلة المثبتة والموضحة له.

وقد نظر عند ترجيحه لهذا الرأي إلى أنه يتوافق مع الهدف من إنزال الأحرف السبعة، كما هو مذكور في الأحاديث النبوية، كذلك فإنه يحل كثيراً من الإشكالات التي ترد على معاني الأحرف، ومنها الرواية المنقولة عن عثمان -رضي الله عنه- في توجيهه لكتبة المصحف أنه في حال الاختلاف فليكتبوا بلغة قريش؛ لأن القرآن أنزل بها، فلو أنه كتاب ضامن للأحرف كلها لماذا الاختلاف، ولماذا لغة قريش لا غيرها ألأنّ القرآن نزل بها ؟.

منهجه في بيان المراد من الأحرف السبعة:

أولاً: ومن منهجه كذلك أنه لا يكتفي بالترجيح، فإنه كذلك يجيب على التساؤلات التي من ممكن أن تظهر على الرأي الراجح بنظره.

ثانياً: يُظهر الاحترام حتى مع مخالفيه خصوصاً مع العلماء السابقين.

ثالثاً: الموضوعية في طرح الآراء.

رابعاً: النظرة النقدية في تحقيقه في معنى المصطلحات واستخدامه للأدلة النقلية والعقلية.

وهنا سأنقل ما ذكره من كلام العلماء في معنى الأحرف وكيفية ترجيحه للمعنى:

القول الأول:

أن الأحرف هي سبع لغات من لغات العرب المشهورة للكلمة الواحدة، تختلف فيها الألفاظ مع اتفاق المعنى، ومع مراعاة عدم التناقض وذلك نحو: هَلُمّ، وتَعَالَ،[١] وهذا رأي جمهور أهل الفقه والحديث كما يقول، وذكر بعضاً ممن قال بذلك من العلماء منهم: الإمام الطبري، ومن المحدثين: الشيخ طاهر الجزائري.[٢]

وسأذكر بعضاً مما نقله الدكتور من أدلتهم التي استدلوا بها على ما ذهبوا إليه:

أولاً: يحدث أبو بكرة قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم - :[إن جبريل قال: يا محمد اقرأ القرآن على حرف، قال ميكائيل عليه السلام: استزده، قال: اقرأ على حرفين، قال ميكائيل: استزده فاستزاده، حتى بلغ سبعة أحرف، قال :كلها شاف كاف، ما لم تختم آية رحمة بعذاب، نحو قولك: تَعَالَ، وَأَقْبِلْ، وَهَلُمَّ، وَأَسْرِعْ، وَعَجِّلْ][٣].

ثانياً: واستدلوا كذلك بما روي عن أُبي بن كعب أنه كان يقرأ: ﴿ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ ﴾ الحديد: ١٣ ، (للذين آمنوا أمْهِلُونا ،للذين آمنوا أخِّرُونا ،للذين آمنوا ارْقُبُونا)[٤]......[٥]

القول الثاني :

القرآن نزل على سبع لغات متفرقة فيه، فبعضه نزل بلغة قريش، وبعضه نزل بلغة هذيل ...فهو ينتظم في مجموعة من لغات سبع، ثم ذكر من قال بذلك من العلماء ومنهم: أبو عبيد، وأحمد بن يحيى (ثعلب)، ثم ذكر الفرق بين هذا المعنى والمعنى الذي سبقه كالآتي يقول الدكتور فضل: "وهذا الرأي يختلف عن سابقه؛ لأن هذا الرأي معناه أن الأحرف السبعة متفرقة في القرآن،

---

[١] عباس، فضل حسن، إتقان البرهان، ج٢ص٨١
[٢] نفسه، ج٢ص٨١،٨٢
[٣] نفسه،ج٢ص ٨٢
[٤] الإمام الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله (١٩٥٧م)،**البرهان في علوم القرآن**،تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ،دار احياء الكتب العربية، ج١ ص٢٢١
[٥] عباس ،فضل عباس ،إتقان البرهان ،ج٢ ص٨٣

أما الرأي السابق فيعني: أن الأحرف السبعة لغات مختلفة في كلمة واحدة مع اتفاق المعنى في جميعها"[١].

ودليلهم على ما ذهبوا إليه: قول عثمان: إن اختلفتم أنتم وزيد في عربية من عربية القرآن فاكتبوه بلسان قريش[٢] ...فالحديث يدل على أن أغلب القرآن نزل بلغة قريش، وأن فيه من بقية لغات العرب[٣].

وقد ردّ رحمه الله على هذا القول بالآتي:

أولاً: اختلف القائلون في تحديد اللغات السبعة، فيرى بعضهم أن اللغات السبع في العرب كلها، وقيل في قريش وقيل غير ذلك، وقد رد الدكتور على هذا القول بأن الخلاف بين الصحابة في حديث عمر رضي الله عنه هو اختلافهم في تلاوة بعض السور، وذلك يرجع إلى اختلاف تلقين النبي عليه السلام لهم، لنزول القرآن على سبعة أحرف .[٤]

ثانياً :إن القول بأن الأحرف السبعة هي لغات متفرقة في القرآن الكريم يختلف عن السبب الذي من أجله نزلت الأحرف السبعة، فالخلاف كان في تعدد وجوه القراءة للكلمة الواحدة، وليس أن القرآن يحتوي على سبع لغات يتألف منها القرآن[٥].

ثالثاً: أن الحكمة من نزول الأحرف هو التخفيف والتيسير، واحتواء القرآن على لغات مختلفة يسبب التشديد وعدم الفهم؛ لأن أهل مكة لن يتمكنوا من فهم ما جاء بلغة هذيل وهكذا.

رابعاً: ردّ رحمه الله على استدلالهم بقول عثمان بتوضيح سببها وهو أن أول نزول القرآن كان بلغة قريش لذلك كان الرجوع إليها،[٦] وأنا أقول إن السبب الذي دعا عثمان رضي الله عنه إلى هذا القول: أن القرآن كتب في عهد النبي وفي عهد أبي بكر بلغة قريش، والأحرف كانت تعلم مشافهة، لهذا كانوا يرجعون للأوثق وهو المكتوب إذا اختلفوا والله أعلم.

---

[١] نفسه ،ج٢ص٨٣
[٢] البخاري، أبي عبد الله محمد بن اسماعيل(١٩٩٩م)، **صحيح البخاري**، مكتبة دار السلام :الرياض، ط٢ ، فضائل القرآن، نزل القرآن بلغة قريش، ١٩٠٦/٤
[٣] عباس، فضل حسن، إتقان البرهان، ج٢ص٨٤
[٤] نفسه، بتصرف، ج٢ص٨٤
[٥] نفسه، بتصرف، ج٢ص٨٤-٨٥
[٦] نفسه، بتصرف، ج٢ص٨٥

القول الثالث :المراد بالأحرف السبعة الأوجه التي يقع بها التغاير، وذلك باستقراء أوجه الخلاف في القراءات فاستنتجوا أنها سبعة أوجه.[١] وممن قال بذلك الباقلاني، الرازي، ابن الجزري[٢].

وقد استدلوا على ما ذهبوا إليه بالآتي:

أولاً: اعتمادهم على الاستقراء التام وهو من الأدلة المنطقية[٣].

ثانياً: فسروا كلمة الحرف بالوجه وقالوا إن هذا موافق لما جاء في القرآن الكريم في قوله تعالى ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١١﴾ ﴾ الحج: ١١ " فالمراد بالحرف هنا الوجه[٤].

ثالثاً: قالوا إن هذا الرأي ينسجم انسجاماً تاماً مع أحاديث الأحرف السبعة، ومع ما حصل بين الصحابة من خلاف[٥].

الرد :

أولاً: إن طريقة الاستقراء التي توصلوا بها إلى هذه الأوجه لا تستقيم؛ لأن لغة العرب لا يمكن إحصاؤها؛ لأن كثيراً من لغات العرب اندثرت، وقد اعتمد بعضهم على القراءات الشاذة[٦].

ثانياً: الاختلاف فيما بينهم في تحديد أوجه التغاير، وقد وصلت إلى خمسة في أغلب الأوجه، وهذا ما انتقده رحمه الله؛ لأنها لم تصل إلى سبعة وأن دراسة الأوجه التي ذكروها يبين أن بعض الأوجه ممكن دمجها لتصبح وجها واحداً[٧].

---

[١] نفسه، بتصرف، ج٢ص٨٥
[٢] نفسه، بتصرف، ج٢ص ٨٦ -٩٢
[٣] عباس، فضل حسن، إتقان البرهان، ج٢ص٩٢
[٤] نفسه، بتصرف ج٢ص٩٢
[٥] نفسه، بتصرف ج٢ص٩٣
[٦] نفسه، بتصرف ج٢ص٩٥-٩٦
[٧] نفسه، بتصرف ج٢ص٩٣

ثالثاً: أن ما وصلوا إليه في معنى الأحرف، لا يتفق مع السبب الذي من أجله نزلت الأحرف وهو التيسير والتخفيف، وهذا لأن بعض الأوجه التي ذكروها لا يعلمها ولا يدركها إلا البارعون في القراءة والكتابة[١].

رابعاً: أن الاختلاف كان في أغلبه يعتمد على النطق وليس إلى طريقة الكتابة، لأن بعض الأوجه التي ذكروها تعتمد على الكتابة مثل التقديم والتأخير والزيادة والنقصان[٢].

وبعد ذكر الآراء عنون رحمه الله للرأي الراجح في نظره حيث قال: والرأي المختار هو قول الإمام ابن جرير الطبري الذي قال فيه إن الأحرف السبعة هي سبعة لغات من لغات العرب، تجتمع في الكلمة الواحدة متفقة من حيث المعنى مختلفة من حيث اللفظ، مثل هلم وتعال وأقبل، لكن الدليل[٣] الذي استدلوا عليه لنصرة قولهم قال عنه رحمه الله أنه من الأحاديث التي ظاهرها مشكل إذ إن المخاطب لا يجوز له أن يختم الآية كما يشاء، إنما هي مثال على الاختلاف والتغاير بين الأحرف، كذلك ذكر رحمه الله أنها منسجمة مع هدف الأحرف وهو التيسير والتسهيل، كذلك مع الأحاديث التي ذكرت الخلاف بين الصحابة، وقال إن عدم معرفتنا لماهية هذه الأحرف لا يوصف بالإهدار للأحرف؛ لأنها ليست من الواجبات على المسلم وقد نزلت للحاجة.[٤]

القسم الثاني :تعامله مع الموضوع والعناصر المكونة له، ومن الأمثلة التي توضح المنهج: تحدثه عن موضوع الوحي وجمع القرآن الكريم، فنرى أن تعامله مع الوحي اختلف عن تعامله مع موضوع جمع القرآن، إذ أنه في جمع القرآن انتهج الأسلوب التقليدي في الحديث عن الجمع مع الحصر على المعالجة والتحقيق لبعض القضايا لهذا الموضوع، أما في موضوع الوحي فلم يلتزم بما طرحه العلماء في هذا الموضوع لأسباب سأذكرها عند الحديث عن الوحي فيما يلي.

ومنهجه يظهر في :

أولاً: تقديمه لآراء السابقين وتفنيدها.

ثانياً: يطرح الموضوعات التي طرحت في كتب علوم القرآن بدون حذف لأغلبها.

---

[١] نفسه، بتصرف ج٢ص٩٤

[٢] نفسه، بتصرف ج٢ص٩٤

[٣] حديث أبي بكرة قال: قال رسول الله: إن جبريل عليه السلام قال: يا محمد اقرأ القرآن على حرف، قال ميكائيل عليه السلام : استزده، فاستزاد، قال: اقرأ على حرفين، قال ميكائيل: استزده فاستزاده، حتى بلغ سبعة أحرف، قال: كلها شافٍ كافٍ، مالم تختم آية عذاب برحمة أو آية رحمة بعذاب، نحو قولك: تعال، وأقبل، وهلم، واذهب،وأسرع، وعجل.

[٤] نفسه، بتصرف ج٢ص٩٧-١٠٠

ثالثاً: من أبرز ما ميز منهجه في تعامله مع الموضوعات ومكوناته أنه ينظر إلى أجزائه نظرة نقدية حيث إنه يقوم بتحقيقها، وكذلك فإنه يرد على أي شبهة ممكن أن ترد على الموضوع.

رابعاً: يلتزم بذكر جزئيات الموضوعات التي وضعها العلماء، ويذكر السبب الذي من أجله لم يذكر هذه الجزئيات.

خامساً: تتميز الدراسة بأن أسلوب الطرح للموضوعات يختلف، فلا يكتفي بذكر ما قاله العلماء في مسائل علوم القرآن، وإنما يتناولها بطريقة نقدية، ومن الأمثلة على ذلك: حديثه عن الناسخ والمنسوخ وخصوصاً في ذكره للآيات الناسخة والمنسوخة واجتهاده في توضيح كلا منها ، وكذلك في حديثة عن أسباب النزول.

سادساً: يبحث الموضوعات المكونة بحثاً متكاملاً يقوم خلاله بذكر تاريخه ومن ثم التأصيل له، ومن ثم يطرح أهم القضايا المكونة للموضوع، ويقوم بتحليلها وتحقيقها بالأدلة النقلية والعقلية، ويأتي بنماذج تطبيقية توضيحية، لإيصال النتيجة النهائية من البحث إلى القارئ.

ومن الأمثلة على المنهج المتبع في تعامله مع مكونات الموضوعات: الوحي، وذلك لأنه لم يلتزم بما ذكره علماء العصر الحديث في معالجتهم لبعض الموضوعات المتعلقة به.

لقد قسم الموضوع إلى محاور تُؤصل له وتوضح عناصره، أولاً: تعريف الوحي لغةً وشرعاً، وهذا ما يطرحه أي دارس لتأصيل الموضوع، ومن ثم انتقل للحديث عن أنواع الوحي بصورة مختصرة ولم يفصل كثيراً، وإنما بما يتناسب مع الحديث عن علوم القرآن، وما يختص بالوحي النازل، و كان ذلك بذكرها، والتعليق البسيط عليها، مع دليل من القرآن أو السنة الشريفة.

ثم انتقل إلى الحديث عن شبهة خطيرة افتراها المستشرقون على القرآن العظيم وهي مصدرية القرآن الكريم، ومن أين جاء به النبي عليه السلام؟ ونرى تعامله مع هذه الشُّبَه وكيف ردّها على أصحابها؛ فقد جاء بما يقولون وجعل يذكر هذه الاحتمالات التي ذكروها من باب الإنصاف ويرد عليها، فمن الاحتمالات التي قيلت إن النبي عليه السلام اكتسب القرآن من غيره، فتساءل رحمه الله هنا هل الاكتساب كان في مكة أم في المدينة؟! وعلى فرض اكتسابه له كان في مكة، ممّن كان الاكتساب؟! وما هي الاحتمالات المتوفرة في مكة؟ فذكرها وردّ عليها بالمنطق والحجة السليمة، وكذلك لو كان اكتسبها في المدينة، كذلك ذكر المصادر المحتملة وردّ عليها منطقياً. وكان سبب ذكر هذه الافتراضات للإنصاف وتكلم بجميع الاحتمالات الواردة في هذا الشأن،[١] وكذلك الردّ على

---

[١] عباس، فضل عباس، إتقان البرهان، بتصرف ج١ ص٧١

الشُّبَه التي حيكت لهذا الكتاب العظيم، والحق أبلج واضح لا يحتاج إلى تفسير، لكن نرد عليهم عسى الله أن يهديهم.

ويظهر أنه تأثر كثيراً في طرحه لقضية مصدرية القرآن الكريم فيما طرحه الدكتور عبد الله دراز في كتابه النبأ العظيم،[١] وقد ذكر رحمه الله أن الموضوع شائك خصوصاً فيما يتعلق بالشبهات الواردة على الوحي، ويحتاج إلى كتاب متخصص للرد،[٢] لكن في كتابه (إتقان البرهان) كان الرد مختصراً بما يتناسب مع الكتب، وقد ردّ على هذه الافتراءات في كتابه قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية.[٣]

كان مما طرحه في موضوع الوحي لتوضيح المفهوم ما ذكرناه في السابق، أما ما طرح من علماء هذا العصر في البحث في إمكانية حدوث الوحي فقد ذكر رحمه الله أنه لا حاجة إلى طرحه؛ لأن العلم الحديث وما يشهد من تطور سريع يثبت إمكانية حدوث الوحي، وكذلك يقول رحمه الله: عصر المادية البحته ولّى "الماركسية الشيوعية " وعدم الإيمان بالمعجزات، ولا حاجة لنا لإثبات إمكانيته لعدم الحاجة.[٤]

ونجمل تعامله مع المفاهيم المكونة لموضوع الوحي كالآتي:

أصّل للموضوع وجاء بما يوضح معنى الوحي لغة واصطلاحاً، ومن ثم ذكر أنواع الوحي وأشكاله، ثم رد على الشبهة الأكبر التي التصقت بموضوع الوحي، وقد أكد على أن مصدره من الله تعالى، ومن باب الإنصاف ذكر الافتراضات الأخرى، ولتأكيد على أن مصدره إلهي، فهكذا أصّل للموضوع ونقحه مما يشوبه وأرسى قواعده.

ومن الأمثلة على كيفية تعامله مع المفاهيم المكونة للموضوعات حديثه عن لغة القرآن الكريم:

بدأ رحمه الله الموضوع بالعنونة (أُنزل القرآن بلغة قريش) وابتدأ الحديث في موضوع لغة القرآن بالتساؤل: هل لغة القرآن مقتصرة على لغة قريش؟ أم أنها احتوت من لغات العرب المختلفة ؟

وكانت معالم منهجه في التحقق تعتمد على ذكر مذاهب العلماء في المسألة، وترجيحاتهم ونقل بعض الأدلة الروائية للتدليل على ما ذهبوا إليه لكنه لم يرجح[٥]، وسنفصل هذا في حديثنا عن لغة

[١] نفسه، بتصرف ج١ص٦٦
[٢] نفسه، بتصرف ج١ص٧٠
[٣] فضل عباس، قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية، نقد مطاعن، ورد شبهات، ص ١٨٨
[٤] عباس، فضل حسن،إتقان البرهان، بتصرف ج١ص٦٥
[٥] نفسه، بتصرف ج ١ص١٤٥

القرآن لغة قريش، ثم انتقل للحديث عن وجود المعرب في القرآن، وقد تحدث فيه عن المؤلفات التي كتبت في المسألة، وبهذا اتبع المنهج الوصفي التاريخي في توصيف هذه المؤلفات وحديثها عن المعرب، ومن ثم تحدث عن آراء العلماء في المسألة، ومناقشة أدلة من ذهب للقول بوجود المعرب في القرآن الكريم بالأدلة الروائية واللغوية والعقلية، وقد رجّح القول بعدم وجود المعرب في كتاب الله، وقد دلّل على ما ذهب إليه بنماذج تطبيقية للتدليل على ما رجحه في المسألة وهذه من أقوى الأدلة التي يعتمد عليها العالم في الترجيح، وهي الإتيان بنماذج تطبيقية توضح وتظهر رأيه.[1]

ثم انتقل للحديث عن ما يتعلق بألفاظ القرآن الكريم ومعانيها، وهذه من الموضوعات التي آثر التحدث عنها لاتصالها بلغة القرآن الكريم وارتباطها بها، وقد ذكر فيها ما يتعلق باللفظ من غرابة ونوادر، وما يتعلق بالمعنى فتناول المشترك اللفظي والمعنوي وما يتصل بهما من موضوعات من الأضداد والملاحن والوجوه والأفراد، وأخيراً تحدث عن اللفظة من حيث الصيغة، وهنا يتضح لنا منهجه في تعامله مع المفاهيم المكونة لموضوع لغة القرآن فهو لم يتطرق لموضوعات كثيرة طرحها العلماء السابقون والمحدثون، وقد رأيت إسهابهم في حديثهم عن الموضوعات اللغوية المتصلة بالقرآن بتفصيلات لا داعي لوجودها في علوم القرآن، فعلوم القرآن تتحدث بالمجمل عن العلوم المتصلة بالقرآن، وأصبح لها ميدان له علماؤه المتعمقون في فيه، لكنه فضّل عدم الخوض في مثل هذه العلوم والاقتصار على ما تدعو الحاجة له، ومما ميزه في طرحه لهذا العلم: الجانب التطبيقي الذي يوضح كل ما ذهب إليه وذكره، وكان مهتماً في طرحه للموضوع في بيان تاريخ العلم، وأشهر المؤلفات التي كتبت فيه، في حال الحاجة إلى الخوض في هذه العلوم، وما وصل إليه كل عالمٍ من العلماء الذين اهتموا بعلوم اللغة وخصوصاً في الموضوعات المختصة بالقرآن الكريم، ونحن نرى الأهمية القصوى في فقه هذه العلوم لفهم القرآن الكريم.

وقد تم تحقيق المسائل المتعلقة بالغة القرآن بالمناهج الآتية: المنهج التاريخي الوصفي وذلك بالحديث عن النشأة وأهم المؤلفات وأقوال العلماء، ومن ثم العمل على تحليل ومناقشة ما قاله العلماء، ومن خلال النقد وتحري الأدلة النقلية واللغوية والعقلية يرجح رحمه الله الرأي الصحيح،[2] وقد رجح عدم وجود ألفاظ مترادفة في القرآن الكريم وفي اللغة بشكل عام[3].

---

[1] نفسه، بتصرف ج١ ص١٤٨-١٨٧

[2] عباس، فضل حسن، إتقان البرهان، بتصرف ج١ ص١٨٧-٢٣٤

[3] نفسه، بتصرف ج١ ص٢٢٤

ومن النماذج الموضحة لمنهج الدكتور في تعامله مع العناصر المكونة لموضوع لغة القرآن، ما تناوله عن نزول القرآن بلغة قريش:

المسألة إذاً هل القرآن نزل بلغة قريش فقط أم أنه نزل بأكثر من لسان من ألسنة العرب[١].

الفريق الأول الذي يقول إن القرآن نزل بلسان قريش، وممن قال بذلك ابن قتيبة والأستاذ مصطفى الرافعي و أدلتهم تتمحور حول :

أولاً: قول عثمان رضي الله عنه للصحابة الذين كلفهم بنسخ القرآن الكريم [اذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش، فإنما نزل بلسانهم][٢].

ثانياً: قول عمر إن القرآن الكريم نزل بلسان قريش [فأقرأ الناس بلغة قريش لا بلغة هذيل] ، أخرجه أبو داود.

ثالثاً: اتفاق العلماء قديماً أن لهجة قريش هي أفصح اللهجات. [٣]

أما من قال بأن القرآن نزل بأكثر من لسان من ألسنة العرب تمحورت أدلتهم في الرد على أدلة الفريق الأول وإثبات العكس :

أما الدليل الأول وهو قول عثمان رضي الله عنه للرهط من قريش "فإنما نزل بلسانهم "لسان قريش يقولون هنا نزل معظمه بلسان قريش وليس كله، وأنه لم تقم أدلة قاطعة تدل على أن جميع القرآن نزل بلسان قريش، وأن ظاهر قوله تعالى ﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٣ ﴾ الزخرف: ٣ يدل على أنه نزل بجميع ألسنة العرب، ومن زعم غير ذلك فعليه البيان؛ لأن اسم العرب يتناول الجميع، فإذا سلمنا بالقول الأول لكان أولى من أنه نزل بلسان قريش أن ينزل بلسان بني هاشم[٤].

أما قول عمر رضي الله عنه لابن مسعود، يحتمل أن يكون هذا من عمر رضي الله عنه على سبيل الاختيار بين أوجه القراءات، لا أن الذي قرأه ابن مسعود ليس من القرآن، ويجوز الاختيار

---

[١] البخاري، أبي عبد الله محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب نزل القرآن بلسان قريش والعرب، حديث رقم (٣٣١٥)
[٢] ابن حجر، ابن حجر العسقلاني (٢٠٠٠م)، **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**،ط٣، مكتبة دار السلام، ودار الفيحاء، حققه عبد العزيز بن باز، ج٩ ص١٣
[٣] عباس، فضل حسن، إتقان البرهان، بتصرف ج١ص١٤٥
[٤] نفسه، بتصرف ج١ ص١٤٦

بين القراءات، وما ذكره السيوطي من وجود كلمات من القرآن من لغات أخرى غير لغة قريش، وكان على هذا الرأي ابن عبد البر، وأبو بكر الباقلاني، وغيرهم[١].

وكان ترجيحه أن القرآن نزل بلسان قريش لكنه لم يرجح في هذا الفصل.[٢]

ومن الأمثلة على المعالجة المتكاملة للموضوعات وطرحه لجميع جزئياته، جمع القرآن الكريم:

عالج الدكتور مسألة جمع القرآن الكريم بتقسيمها إلى مراحل، واعتمد فيها على البعد التاريخي والتحليلي.

المرحلة الأولى: الجمع في عهد النبي عليه السلام[٣].

المرحلة الثانية: الجمع في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

المرحلة الثالثة: الجمع في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه.

في المراحل الثلاث عمل على شرح ما يتعلق بكل مرحلة من مراحل الجمع وتحليلها.

المرحلة الأولى جمع النبي عليه الصلاة والسلام للقرآن[٤]:

أولاً: عالج فيها ماهية هذا الجمع وكيفيته وأنواعه: وهو حفظ الصدور، وحفظ السطور، والهدف من هذا الحفظ هو ضبط عملية الحفظ وتكاملها، أما حفظ الصدور فكان بالسماع من النبي عليه السلام، ومما ساعد الصحابة على الحفظ عوامل بيئية تتعلق بالصحراء والصفاء، وعوامل جسدية منحت لهم، تتعلق بصفاء الذهن وسرعة البديهة وسرعة الحفظ، وحبهم وشغفهم للكلام البديع حَسن الصياغة والبيان، ومن الاسباب الخاصة بالنبي عليه السلام كما يقول شيخنا رحمه الله: التعهد بحفظ القرآن من قبل الله تعالى ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ الحجر: ٩ ، أما حفظ السطور فكان للنبي عليه السلام كتّاب من الصحابة يكتبون له ما ينزل عليه من الوحي على ما توفر عندهم من أدوات الكتابة، وكان يشير إليهم إلى مكان الآية وأين توضع، وكان هناك كتابة

---

[١] نفسه، بتصرف ج١ص١٤٦-١٤٧

[٢] نفسه، بتصرف ج١ ص١٤٧

[٣] الجمع زمن النبي عليه السلام ،وقصد الدكتور من هذا الجمع حفظ القرآن كاملا في الصدور والسطور،وليس المقصود هنا جمعه بين دفتي كتاب

[٤] عباس،فضل حسن ،إتقان البرهان، بتصرف ج١ ،ص٧٦٣

رسمية تكتب بين يدي النبي عليه السلام وكتابة غير رسمية شخصية يكتبها من كان يسمع من النبي عليه السلام ويحتفظ بها.

ثانياً: بيان الأدوات المستخدمه لحفظ القرآن وكتابته تفصيلاً بشكل موثوق علمياً وأكاديمياً[١].

ثالثا :مناقشة مسألة حفظ القرآن وتحقيق كتابته في المرحلتين المكّيّة والمدنيّة، والتدليل على أن الكتابة قد بدأت في المرحلة المكّية لا كما يظن البعض أنها بدأت في المدينة، وترجيح ذلك بعدد من الأدلة النقلية والعقلية.

رابعاً: بيان طبيعة الجمع في زمن النبي عليه السلام، وعدم جمعه في مصحف واحد ومن الأسباب الكامنة وراء ذلك عدم اكتمال نزول الوحي، ورد ما جاء في بعض كتب علوم القرآن أن السبب عائد إلى النسخ، أو الخوف من اختلاط الحديث مع القرآن الكريم، وكان الهدف وراء الحديث عن الجمع زمن النبي عليه السلام التأكيد على أن القرآن كتب كاملاً قبل وفاته[٢].

المرحلة الثانية مرحلة الجمع في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه[٣]:

عالج رحمه الله هذه المرحلة وفق النقاط التالية:

أولاً: بيان السبب وراء الجمع في عهد أبي بكر الصديق، وهو كثرة القتل بين الصحابة حفظة القرآن الكريم، وكان ذلك بإشارة من عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

ثانياً: اختيار الصحابة الذين تولّوا مهمة النسخ من الصحف المفرقة بينهم، ومن أبرزهم: الصحابي الجليل زيد بن ثابت رضي الله عنه، وبيان معايير اختيار الصحابة الذين تولوا مهمة الجمع[٤].

ثالثاً: بيان المنهج الذي اتبع في جمع القرآن والشروط التي تم تحديدها لضمان مسألة التواتر، فكان يُشترط على كل من يأتي بآية أو مجموعة آيات أو سورة أن يأتي بشاهدين، وذكر رحمه الله اختلاف العلماء في الشاهدين هل هما رجلان، أم أنه الحفظ والكتابة لكن الترجيح كان لصالح أن الشاهدين رجلان، وأن الشهادة على كتابته عند النبي عليه السلام، وليست على قرآنيته، فقرآنيته لا تحتاج إلى شاهدين لأنه مجمع عليها، وجلُّ الصحابة فيها سواء[٥]

---

[١] نفسه، بتصرف ج١ص٢٦٤
[٢] عباس، فضل حسن، إتقان البرهان، بتصرف ج١ ص٢٦٥-٢٦٦
[٣] نفسه، بتصرف ج١ ص٢٦٦-٢٧٦
[٤] نفسه، بتصرف ج١ ص٢٦٩
[٥] نفسه، بتصرف ج١ ص٧١

رابعاً: تحقيق الروايات التي تختص بمسألة الشاهدين، وبيان أن شرط التواتر لقبول القرآن يتنافى مع ما قيل من أحاديث، إذ ما كان متواتراً لا يحتاج إلى شاهدين ليقرّا بصحته، وبناء عليه يتم توجيه هذه الروايات على أن الشاهدين يشهدان على كتابته أمام النبي عليه السلام، وليس على قرآنيته.

خامساً: التأكيد على أن آية الأحزاب والآيتين من سورة التوبة[١] وجدت مكتوبة في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وليس في عهد عثمان رضي الله عنه، والروايات التي ذكرت في البخاري تؤكد أن الآيات وجدت في عهد أبي بكر[٢] .

المرحلة الثالثة: جمع القرآن في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه، درس رحمه الله هذه المرحلة من زوايا أربع .

أولا: السبب وراء الجمع، وهو توسع الرقعة الإسلامية والخلاف الواقع بين الناس بسبب عدم معرفتهم بالقراءات، واختلافها فيظنون بعدم قرآنية القراءة إذا اختلفت عن قراءتهم للقرآن، وهذا ما يدل عليه ما رواه البخاري في صحيحه عن أنس، وما حدّث به حذيفة بن اليمان أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه[٣].

ثانياً: كيفية الجمع، وهنا توجد تساؤلات لا بد من الإجابة عليها، وهي لما لم يوحد أبو بكر وعمر رضي الله عنهما المسلمين على مصحف واحد؟ كما فعل عثمان رضي الله عنه، والجواب كما يقول الدكتور فضل إنه لم يحصل خلاف في عهد أبي بكر وعمر إذ كانت القراءات معروفة ولا يخطئ الناس بعضهم، لكن في عهد عثمان حصل الخلاف وبدأ الناس يخطئون بعضهم بعضاً، فكان توحيد الناس على مصحف واحد إنهاء لهذا الخلاف، ودرءاً للفتنة[٤].

كيفية الجمع: حيث طلب عثمان رضي الله عنه من حفصة زوجة الرسول عليه السلام نسخة أبي بكر رضي الله عنه، ثم عين زيد بن ثابت ورهطاً من القرشيين، وأشرف عليهم لنسخ المصحف، وقبل ذلك استشار الصحابة في هذا الأمر العظيم.

ثالثاً: بيان عدد المصاحف العثمانية حيث ناقش رحمه الله الآراء التي قيلت في النسخ، وكيف تم توزيعها على الأمصار فمنهم من قال: أربعة، ومنهم من قال: سبعة، ومنهم من قال: ثمانية، وقد

---

[١] التوبة :١٢٨،الأحزاب:٢٣
[٢] عباس، فضل حسن، إتقان البرهان، بتصرف ج١ ص٢٧٦
[٣] نفسه، بتصرف ج١ ص٢٧٧
[٤] نفسه، بتصرف ج١ ص٢٧٠

رجح رحمه الله أنها أكثر من أربعة ولم يحدد العدد، واستدل على ذلك فيما رواه البخاري عن أنس رضي الله عنه[١]جاء فيه أن عثمان بعث لكل مصر من الأمصار بمصحف، وقارئ يعلم الناس كيفية القراءة، وأن الأمصار المفتوحة آنذاك كثيرة وتحتاج إلى عدد من المصاحف تزيد على أربعة ليتحقق المقصود كما يقول الدكتور رحمه الله تعالى[٢].

رابعاً: رسم المصحف العثماني، وهذا الموضوع من الموضوعات التي أفردت بالبحث في علوم القرآن واختلف فيها كثيراً، لكنه اكتفى بتوضيح معنى الرسم.[٣]

وفي نهاية الفصل وازن بين مراحل الجمع الثلاثة، ملخصاً ما سبق الحديث عنه، والفائدة منه، وكذلك في الإجابة عن إشكالات كان من الممكن أن تطرح في مسألة الجمع.[٤] وبهذا التقسيم والتمحيص في الروايات، وإقامة الحجج العقلية، أجد تحقيقاً للمسألة يوضح الحقائق التي تتعلق بها ويرسي قواعدها، وأرى كذلك تعاملاً متكاملاً مع المفاهيم المكونة للموضوع والتي من خلال طرحها يسهل فهمه، والتعامل مع عناصره، فنجد موضوعا متكاملاً متسق الأجزاء ظاهر المعاني.

---

[١] البخاري، محمد بن اسماعيل ،صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، رقم الحديث ٤٩٨٧ ،ص٨٩٤
[٢] عباس،فضل حسن،إتقان البرهان ،ج١ ص٢٧٩
[٣] نفسه، بتصرف ج١ ص٢٨٠
[٤] نفسه، بتصرف ج١ ص٢٨١-٢٨٤

المطلب الثاني

منهجه في تعامله مع المسائل الخلافية، وإيرادها

أولاً: منهجه مع مخالفيه.

ثالثاً: منهجه مع المسائل الخلافية، وإيرادها، ومناقشتها .

أولاً: منهجه مع مخالفيه

لا يوجد منهج واحد سار عليه الدكتور في طرحه للمسائل الخلافية في موضوعات علوم القرآن، وإذا أردت وصف المنهج الذي سار عليه فإني أرى عبارة متزنة وموضوعية في الطرح، فيورد المسألة ونقاط الاختلاف فيها، ويذكر أصحاب الخلاف في معظم الأحيان، ثم ينطلق لمناقشة أدلة الأطراف المختلفة فيطرحها ويرد عليها؛ لوجود فكرة مغلوطة، ثم ينطلق إلى الترجيح أو تغليب رأي على آخر بمرجحات تتناسق مع المنطق من نقل وعقل، هذا ما اعتمد عليه في معظم ما قدم، فهو يعتمد اعتماداً كاملاً بكل موضوعية على الأدلة النقلية من كتاب وسنة صحيحة، والأدلة العقلية كذلك، ونرى صدقه واحترامه للعلماء وآرائهم[١].

وعند مخالفته لرأي ما يأتي بالأدلة التي تدلل على ما قال، فكان نقاشه دائماً ما يتجه للآراء وليس للأشخاص كما يفعل كثيرون، نلحظ كذلك الاحترام الكبير للعلماء السابقين وإلى اجتهاداتهم، فهو وإن خالف أو نقد يأتي بهذا النقد بكل تأدب، وأحيانا يلجأ إلى الإشارة والتلميح من غير إظهار للمخالفة كما سيأتي، وأحيانا أخرى يرفض الرواية حتى ولو صح السند.

وفي بيان منهجه في تعامله مع مخالفيه :

أولاً: مناقشة أدلتهم وعدم المساس بشخصياتهم فهو يذم الرأي ولا يذم صاحبه، وهذا ما نلحظه في كتب الدكتور فضل رحمه الله [٢].

ثانياً: المناقشة تكون بالأدلة المعتمدة وذَكر في أكثر من موضع من كتابه أنه لا يرجح إلا بالحجة السليمة، فهو يعتمد على القرآن الكريم والفهم الصحيح الذي يعتمد على صحيح اللغة وسياق الآيات، والسنة الصحيحة، ومن ثم الدليل العقلي وهذا الاستدلال السليم الذي يعتمد على النقل والعقل فهما لا يفترقان عنده[٣]، وهذا المنهج السليم المتبع في الكتاب العزيز، فحتى القرآن الكريم يحتج بالعقل والله تعالى استخدم العقل للتدليل عليه عز وجل.

---

[١] عباس، فضل حسن، إتقان البرهان، في حديثه عن تنزلات القرآن ج١ص١٠٢

[٢] نفسه، في حديثه عن تفاسير الشيعة ج٢ص٢١٢

[٣] نفسه، في حديثه عن آراء العلماء في التزام خط المصحف العثماني ج١ ص٤٦٢-٤٦٨

ثالثاً: الاحترام الشديد للعلماء وعدم التخطيء إلا بالحجة، أما عن السلف الصالح والصحابة الكرام فلا نظن فيهم إلا الخير وهم لا يأتون برأي إلا بما يخدم هذا القرآن، وهذا ما نراه عندما حلل موقف ابن عباس ورأيه من تنزلات القرآن الكريم[١].

رابعاً: نلحظ أن الدكتور فضل باعتماده للمنهج العلمي السليم في الرد على مخالفيه يمتاز بالموضوعية، وعدم المخالفة اتباعاً للهوى وإنما بالحجة والبرهان .

خامساً: يلجأ لتفسير الخطأ الذي روي عن بعض الصحابة أو التابعين أو العلماء، لأنهم أفضل الناس علماً، وأكثرهم حرصاً على تقديس القرآن العظيم وما يتصل به.

سابعاً: يحرص على إزالة التعارض بين الآراء إذا كان تعارضاً ظاهراً وليس فيه تضاد، وذلك لنبذ الخلاف بين العلماء.

ثامناً: أسلوبه في الرد أسلوب علمي، لا يدخل فيه الهوى والشخصنة.

ومن الأمثلة على منهجه مع مخالفيه حديثه عن نزول القرآن، وبيان أقوال العلماء في مفهوم التنزل والتنزيل، حيث ذكر في المسألة ثلاثة آراء:

القول الأول: أن القرآن نزل مرتين الأولى من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا، ومن السماء الدنيا إلى قلب النبي عليه السلام.[٢]

القول الثاني: أنه نزل على قلب النبي عليه السلام ليلة القدر في شهر رمضان، وهذا ما جاءت به الآية الكريم التي تتحدث عن إنزال القرآن، لكن مقصودهم هو ابتداء النزول، وأن القرآن أطلق الإنزال على الكل وأراد الجزء، وهذا من أساليب العربية المتعارف عليها، ولأنه عند الابتداء بالشيء العظيم يطلق ولا يحدد الجزء، يقول تعالى ﴿ شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ ﴾ البقرة: ١٨٥.

القول الثالث: أن نزول القرآن ابتدأ في ليلة القدر، والمقصود من الإنزال ابتداؤه ،"ولأن الأشياء العظيمة يؤرخ ببدئها "[٣].

---

[١] نفسه، ج١ ص ١٠٢-١٠٣

[٢] عباس، فضل حسن، إتقان البرهان، بتصرف ج١ص١٠٠-١٠٣

[٣] نفسه، بتصرف ج١ ص١٠١

و بعد عرض الأقوال يعنون فيقول: (الموازنة بين الأقوال) هنا جمع بين القولين الأخيرين، وقبل البدء بالمناقشة لم يكن له منهج محدد في الترجيح قبل المناقشة أو بعدها.

وقد جمع بين الرأيين الأخيرين مبيناً أن لا فرق بينهما فالأول يقول إن هناك تنزلاً واحداً للقرآن على قلب النبي عليه السلام وابتدأ في ليلة القدر بالآيات الأولى من سورة العلق، أما القول الثالث فذهبوا إلى أن المقصود من الإنزال أن نزوله ابتدأ في ليلة القدر، وانتهى بوفاة النبي عليه السلام، والاثنان مجمعان على أن النزول ابتدأ في رمضان لكنه كان منجما ولم ينزل دفعةً واحدة على قلب النبي عليه السلام، ثم علل سبب اختياره لهذا الرأي بالحجة السليمة وبدأ بالمناقشة والرد على أدلة القائلين بالنزولين بالقول:

أولاً: استدل الفريق الأول على ذلك بما وقف على ابن عباس رضي الله عنه بنزول القرآن من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا ومن السماء الدنيا إلى قلب النبي عليه السلام ، يقول معلقاً: أنه لم يرد دليل على هذا القول من كتاب أو سنة صحيحة، وإنما هي آثار موقوفة على ابن عباس، والأغلب أنها تفسير ابن عباس للآية وليس مما سمع عن النبي عليه السلام، وإذا أقررنا بأنه سمعها من النبي عليه السلام فكيف لا يوجد غيره من الصحابة يقول بهذا، وهي تتصل بشيء عظيم مثل القرآن الكريم.

ثانياً: يقولون إن القرآن أُنزل كله في شهر رمضان إلى السماء الدنيا وهذا ما يُفهم من الآية، فيقول رحمه الله: وهذا غير مسلم به لأن إجماع الأمة المستند على السنة الصحيحة يُجمع على نزوله على قلب النبي عليه السلام في رمضان. وهنا أرى أنه يحتج بالسنة الصحيحة وإجماع الأمة في النقد، ونلحظ أنه قام بتوجيه ما جاء عن ابن عباس ومحاولة تبرئة الصحابة مما نقل عنهم مما لا يصح، ومع ذلك بين أن قول ابن عباس مرجوح لمخالفته السنة الصحيحة.

ثالثاً: أن المتأمل للآية الكريمة يجد أن الهدف من إنزال القرآن أن يحقق الهدى للناس، وهذا لا يتحقق بإنزاله للسماء الدنيا كما يقولون، ولم يكن هناك كبير فائدة من ذكر الباقي من الآية كما يقول الدكتور فضل، ويستند هنا إلى الفهم السليم وحكم السياق على الآية وعدم التجزئة للآيات.

رابعاً: أن الآية هي التي دفعت الفريق الأول لهذا الرأي كما يقول محمد رشيد رضا، وقد نقل الدكتور كلامه وهو أن الآية عبرت عن نزول القرآن في رمضان بأنه أنزل دفعة واحدة وهذا يتنافى مع الإجماع بنزول القرآن منجما؛ لذا فسروها بأن هذا النزول كان إلى السماء الدنيا وليس على قلب النبي عليه السلام، والمتأمل لقوله تعالى يعلم أن الآية يراد منها ابتداء النزول وليس أنه

نزل دفعة واحدة، ومن هذا القول لا تظهر علة الآية في قوله تعالى ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ الحجرات: ١٧ ، فالمنة تتحقق بإنزال القرآن والعمل به وليس في أن يوضع في السماء الدنيا [١].

احترامه للعلماء والموضوعية في إيراد آرائهم:

قد وضحنا سابقاً أنه رفض أن يكون هناك تنزلان للقرآن، ويلزم من قوله هذا أن رواية ابن عباس لا تصلح لأن تكون دليلاً، في حين ذهب الفريق الذي تبنى هذا القول والذي رجحه الدكتور إلى عدّ الرواية من الإسرائيليات، وهذا ما لم يقبل به إذ بيّن أن ابن عباس كان من الرافضين للإسرائيليات كما ثبت عنه في صحيح البخاري، وقال إن الرواية لا تتعلق بالإسرائيليات لا من قريب أو بعيد وهذا من إنصافه مع ابن عباس.[٢]

وأمر آخر أن الرواية التي تقول بالنزولين رواية مشهور صحتها، ومع ذلك يشير إلى أمور يمكن مراجعتها؛ لأنها لا تتسق مع المنطق السليم كما مر من أدلة واكتفى بالقول أن الخلاف لا يؤدي إلى شيء، وفي سياق حديثه عن هذه المسألة يشير إلى بعض القائلين بأن القرآن له أكثر من نزول لا يجيز مخالفته هذا القول ويعيب على المخالفين مستدلاً بالرواية. وهذا القول على شهرته إلا أنه – في رأي الدكتور – قابل للمناقشة والمراجعة بل أقرب للرد وبين بعض الأوجه، ثم بين أن الخلاف في المسألة لا يبنى عليه كبير أثر[٣].

ومن الأمثلة التي توضح منهجه في تعامله مع مخالفيه، التعامل مع مخرجي الشبهات :

انتهج رحمه الله في تعامله مع من أورد الشبهات على القرآن الكريم وعلومه منهجاً علمياً لكنه اختلف عما انتهجه مع مخالفيه من علماء القرآن الكريم لذلك سميتهم هنا الخصوم فهو:

أولاً: أحياناً يعزو الرد لبعض العلماء الذين تصدوا لمخرجي الشبهات.[٤]

ثانياً: ومن منهجه في التعامل مع خصومه والرد على شبهاتهم الأخذ بأقوال الأساتذة الذين اشتهروا في الرد على الحداثيين أمثال مصطفى الرافعي، وعبد الله دراز[٥]، وهذا يدل على سعة

[١] بتصرف، محمد رشيد رضا (١٩٧٣م)، **تفسير القرآن الحكيم المنار**، دار المعرفة :بيروت ،ط٢ ،ج٢ص١٦١
[٢] عباس، فضل حسن، إتقان البرهان، بتصرف ج١ص١٠٣
[٣] نفسه، بتصرف ج١ ص١٠٣
[٤] عباس، فضل حسن، إتقان البرهان، بتصرف ج٢ ص٤١٩
[٥] نفسه ،ج٢ص٣٥٣-٣٥٤

الإطلاع أولاً، وكذلك على المشاركة في الرأي وعدم التعنت ورفض الإطلاع على آراء ممكن أن تثري الموضوع، واهتم بالتدليل على ما أورده من شبهات بأمثلة مما كتبوا فلم يهمل الجانب التطبيقي في جميع ما كتب، وهذا يدل على موضوعيته مع الخصم والإتيان بكل ما كتب والإحالة إلى كتبهم، وعدم تجزئة ما قالوا وهذا من حسنات الكاتب وحسنات منهجه في التعامل مع مخالفيه[١].

ثالثاً: إن من أهم أهدافه رحمه الله تعالى الرد على الشبهات و دحضها، ومما يدلنا على ذلك أنه لا يخلو موضوع من رد على الشبهات بهدف الدفاع عن القرآن الكريم وحفظه منها.

رابعاً: لا يتعامل رحمه الله مع الأشخاص إنما مع الفكرة لكن في بعض الأحيان يتعرض للشخص، خصوصا مع المستشرقين والحداثيين[٢].

خامساً: أرى أن هدفه هو تأسيس منهجية معينة للرد على الخصوم كما سيتضح مما سأورده من معالم توضح هذه المنهجية[٣].

سادساً: في بعض الأحيان يردّ على المستشرق برد من القرآن ويعتبره حجة يرد بها عليهم، والقرآن هو محل النزاع فيجب الرد عليهم بما يجيدونه من منطقهم (الأدلة العقلية)، وإن كنا لا نعمم ذلك؛ لأن ردّه في أغلب الأحيان يتصف بالمنطقية ومراعاة الأسس الصحيحة في التعامل مع الخصوم.[٤]

سابعاً: الحدة البالغة في رده في بعض المواضع التي نعللها بالغيرة الشديدة على كتاب الله وعلى دينه، فظهرت في كتاباته بعض الصفات التي أطلقها على مخالفيه كالكذّابين وغيرها من الأوصاف.[٥] وعند حديثه عن الشبهات المتعلقة بالقرآن الكريم، يقسم هذه الشبهات إلى ثلاثة أقسام باعتبار مُورد الشبهة، والذين اعتبرهم من الخصوم المستشرقين والحداثيين:

أولاً:الشبهات التي تتعلق ببعض روايات رويت عن الصحابة رضي الله عنهم وقد وردت في كتب علوم القرآن المختلفة.

ثانياً: شبهات المستشرقين.

---

[١] نفسه، ج٢ ص٤٢٤

[٢] نفسه، ج٢ ص٣٦٥-٣٦٧

[٣] انظر: الفصل الثاني، المبحث الخامس، منهجيته في الدفاع عن القرآن الكريم ورد الشبهات

[٤] ،عباس، فضل حسن ،إتقان البرهان ،ج٢ ص٣٥٠

[٥] انظر: نفسه، ج٢ص٣٤٩-٣٢٨

ثالثاً: شبهات الحداثيين.

أما النمط الأول من الشبهات فإن رده عليها كان مختلفا عن النمطين الثاني والثالث؛ ذلك أنه لم يتعامل مع أصحاب النمط الاول على أنهم خصوم بل على أنها اخطاء تاريخية وقعت عند من كتب في علوم القران، في حين أنه في تعامله مع النمطين الثاني والثالث عدّهم خصوماً، وأورد كلامهم بهدف الرد عليهم وبيان خطئهم وإساءتهم ومحاولتهم الطعن في القرآن، ولذا فإننا نجده غالباً شديد اللهجة قوي العبارة في الرد عليهم، من غير خروج عن المنهج العلمي في الرد وربما ظهرت هذه الناحية أكثر في التعامل مع الحداثيين، إذ إن المستشرقين كما علل: واضحة أهدافهم ومواقفهم على خلاف الحداثيين فهم أبناء جلدتنا يتكلمون لغتنا ويأكلون طعامنا، ومن هنا يأتي الخطر فكان كلامهم دائماً ما ينصب على مصلحة المسلمين والدفاع عنهم وتوضيح الصحيح الذي حجب عن الجمهور (العامة) على حد قولهم[١].

ومن أبرز الذين رد عليهم من الحداثيين نصر حامد أبو زيد، ومحمد شحرور، وأركون، وقد فند شبهاتهم ورد عليها بما يناسبها من الرد،[٢] وذكر بعض المؤلفات التي جندت للرد على كل واحد من هؤلاء، وهذا مما يميز هذه الكتب في حديثه عن شبهات المحدثين والإشارة إلى دراسات مختصة في الرد، لكنه في أغلب الأحيان يكتفي بذكر شبهاتهم دون الرد لأنها ببساطة لم تصل إلى مستوى الشبهات .

ثانيا: منهجه في تعامله مع المسائل الخلافيه، وإيرادها، ومناقشتها

ومن المفاهيم التي تدلل على المنهج الذي انتهجه الدكتور في تعامله مع المسائل الخلافية فقه المخالفة والتصحيح عند مواجهة بعض المسائل الخلافية، أو المسائل التي يوجد فيها بعض التساؤلات غير المفهومة والمشكلة في نظره، وسأتحدث عن بعض الأمثلة التي ستوضح المنهجية المتبعة.

أولاً: يقوم بعرض أدلة الفريقين، وينسب الأقوال إلى قائليها .

ثانياً: ثم يبدأ بالرد على أصحاب الرأي المرجوح بالنسبة له، وذلك بالرد عليهم بالأدلة النقلية والعقلية .

---

[١] نفسه، بتصرف ج٢ص٤٢٦ -٤٢٧

[٢] نفسه، ج٢ص٣٦٨-٤٢٧

ثالثاً: يقدم الآيات القرآنية والسنة النبوية والسياق على الأدلة العقلية .

رابعاً: يقوم بالترجيح بعد الرد على أدلة الفريق المرجوح رأيه.

خامساً: عند وجود اختلاف في مسألة لا يكتفي بالمخالفة، وإنما يورد سبب المخالفة، وذلك بمناقشة الآراء وتصحيحها، بالأدلة النقلية والعقلية ومن ثم الترجيح وفقاً للأدلة التي ساقها.

سادساً: انتهج المنهج التحليلي النقدي في معالجته للقضايا الخلافية، وذلك في تحليله للقضايا الخلافية ومعالجتها بأسلوب علمي يعتمد على الحجج والبراهين المعتمدة عند جمهور العلماء.

ثامناً: لا يلجأ للمخالفة إلا عند الحاجة لذلك، ولمساس بعض الآراء التي تم مخالفتها بقدسية القرآن الكريم، وهذا من الأسباب الرئيسة التي من أجلها ألف كتابه (إتقان البرهان).

ومن الأمثلة على منهجه في إيراده للمسائل الخلافيه، المكّيّ والمدنيّ:

في سياق الحديث عن المكّي والمدنيّ استعرض آراء العلماء في قضية وجود المكّي في المدنيّ والعكس، ثم وجّه المسألة بالإجماع على وجود المدنيّ في القرآن المكّي، وعلى خلاف ذلك فإنه لم يقبل بوجود آيات مكّيةٍ في سور مدنية على الرغم من كثرة القائلين به.

ففي سياق مخالفته السيوطي فيما ذهب إليه من وجود الآيات المكّية في السور المدنية بيّن أن الأمثلة التي ساقها لا تقوى أمام التحقيق العلمي، وما يتطلبه من أدلة، وقد وصف هذا الرأي بالغلو والتكلف في كثير من الأحيان، وبين خطأ من قام ببعض الاستثناءات لبعض الآيات المدنية على أنها مكّية يقول "إن هذه استثناءات واهية والرواية ضعيفة والسياق لا ينسجم "[١].

ناقش القضايا والأمثلة المذكورة تفصيلاً وبين عدم صحة هذا الرأي من خلال الرد العملي[٢].

ثم انتقل للجانب العملي وذلك باستعراض كل سور القرآن الكريم وما قيل فيها من مكيتها أو مدنيتها وما يتخللها من النوعين، ثم قام بمناقشة الآراء والترجيح أو الاجتهاد إن لزم بالأدلة النقلية والعقلية، وأكثر الأدلة العقلية التي اعتمد عليها في تحديد المكّي والمدنيّ سياق الآيات وما يفهم منه[٣].

---

[١] نفسه، ج١ ص٣٨٩

[٢] عباس، فضل حسن، إتقان البرهان، ج١ص٣٩٠ -٤١٢

[٣] نفسه، ج١ ص٣٩٠ -٤١٢

وفي حديثه عن ترجيحه للآيات من سورة الحجرات يقول " وما استدلوا به على مدنية هذه الآيات جله أحاديث مرسلة لا تقوم به حجة ، ويظهر أن المنطق نقلا وعقلا دال على مكيتها"[١].

وفي معرض حديثه عن السور المكّية والمدنيّة وجّه الروايات الصحيحة التي استدل بها أصحاب القول المخالف وقام بتوجيهها بطريقة أخرى لم توجه إليها من قبل، ومن الأمثلة على ذلك الرواية التي استدلوا بها على كون سورة المرسلات مدنية وكان الخلاف حول أنها أنزلت على النبي عليه السلام بمنى، قالوا: أن هذا يدلل على أنها نزلت على النبي في موسم الحج على اعتبارها مدنية، يقول رحمه الله: إن رواية البخاري لم تذكر أن النبي كان محرماً عند نزول السورة وهذا توجيهٌ معتبرٌ لأن الرواية لم تذكر ذلك.[٢]

ومما يلحظ في هذا الباب أنه ذكر في بعض الأحيان آراء لم يسندها إلى قائلها، إما لكثرة القائلين بها أو لعدم الحاجة إلى ذكرهم، وفي كل الأحوال التزم الدكتور بالحياد والموضوعية في مخالفته وتصحيحه للمفاهيم وتجنب الخوض في الأشخاص، ويكون التركيز في المناقشة على القضايا والأفكار.

ومن الأمثلة التي توضح منهجه في تعامله مع المسائل الخلافية وكيفية الترجيح حديثه عن :

معنى نزول القرآن :

تناول رحمه الله الموضوع في عدد من الجوانب، معنى نزول القرآن، والصيغ التي عبر القرآن فيها عن معنى النزول "النزول والتنزيل"، وآراء العلماء في معنى النزول واختلافهم في المعنى، وهل النزول حقيقي أم مجازي.

وكان الاعتماد في هذا المبحث على كل من الاعتبارات الآتية:

الدليل القرآني والدليل العقلي، والدليل اللغوي في الترجيح:[٣]

عبّر القرآن الكريم عن نزول القرآن بصيغتي "الإنزال والتنزيل" يقول تعالى:

- ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٣﴾ ﴾ آل عمران: ٣

---

[١] نفسه، ج١ ص٣٩٦
[٢] عباس، فضل حسن، إتقان البرهان، بتصرف ج١ ص٤٠٤
[٣] عباس، فضل حسن،إتقان البرهان، ج١ ص٩٩-١٠٠

- ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ ﴾ النساء: ١٠٥

- ﴿ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ۝٢ ﴾ غافر: ٢

- ﴿ تَنزِيلٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ ﴾ فصلت: ٢

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٖ ﴾ محمد: ٢

وقد فرق بعض العلماء بين الإنزال والتنزيل فالإنزال ما كان دفعة واحدة، والتنزيل ما كان مفرقاً.

ثم انتقل لمحور آخر وهو: هل معنى الإنزال كان على الحقيقة أم على المجاز، أما من قال إن الإنزال على المجاز كان تعليله أن الإنزال يأتي على معنيين أحدهما: الهبوط من علو، والثاني: الإيواء إلى المكان والحلول فيه، وأن القرآن ليس شيئاً مادياً يَصدُقُ عليه أحد معنيي الإنزال، وأنه من الأعراض التي لا توجد مستقلة بذاتها، لذا حملوه على أنه أمر مجازي إما أن يُقصد من الإنزال حامله وهو جبريل عليه السلام، أو أن يقصد به إنزاله على النبي عليه السلام بمعنى إيصاله وإعلامه به.[١]

أما الفريق الآخر فقال إن الإنزال كان على الحقيقة وبرهنوا على ذلك أن كلمة الإنزال والتنزيل كلتاهما ذكرتا كثيراً في كتاب الله وذكر الشيء بصورة متعددة من دواعي حمله على الحقيقة، وهذا دليل عرفي استدل به لترجيح ما ذهب إليه من حمل الإنزال على الحقيقة، والدليل الآخر حتى لو كان القرآن من العوارض لا يلزم منه أن نأخذ الإنزال بمعناه المجازي، وهنا استدل على أن معنى الإنزال على حقيقته بالدليل العقلي، يقول: إن الصوت عَرض ومع ذلك ممكن حفظه وتسجيله وبالتالي لا يُحمل حفظ الصوت على المجاز بل على الحقيقة، وبهذه الأدلة رجح وقوع الإنزال على حقيقته، أما كيفية الإنزال فلا أحد يعرف طبيعته، وهذا ما أشار إليه في كتابه (إتقان البرهان)،[٢] وهنا نرى أنه يشير إلى الخلاف العقدي في كلام الله وخلق القرآن ويظهر لنا رأيه في أن القرآن كلام الله على الحقيقة، ولا حاجة لنا للتأويل لنزيل شبهة نحن اختلقناها، ومن منهجه أنه يبسط الأمور: فقد اكتفى بالقول بحقيقة النزول وحقيقته يلزم منه حقيقة المنزل وهو كلام الله، أما عن كيفية الإنزال وكيف نزل قال: لا حاجة لنا بمعرفتها إذا فالكيفية لسنا بحاجة لمعرفتها أو

---

[١] نفسه، بتصرف ج١ص٩٩
[٢] نفسه، بتصرف ج١ص٩٩-١٠٠

تصورها وكذلك كلام الله المنزل نستنبط من هذا كله أنه يخالف المعتزلة فيما ذهبت إليه من أن القرآن مخلوق والله أعلم.

ويقول: إن الحكمة من وراء اختيار كلمة الإنزال والتنزيل بدل الإعلام والإيصال وكثرة ذكرها في القرآن الكريم؛ للتدليل على بيان شرف القرآن وعلو منزلته وأنه من العالم العلوي، وهذا تأكيد لقوله تعالى ﴿ وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ ۗ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾ ﴾ الإسراء: ١٠٥ ، هذا القرآن كله حق وإنزاله حق كذلك، وهذا يؤكد ما رجحه رحمه الله.[1]

ومن الأمثلة على منهجه في إيراده للمسائل الخلافية ومناقشتها، حديثه عن دعائم قبول أسباب النزول :

في بحثه في مسألة أسباب النزول لم يأخذ هذه المسألة على ما هي عليه دون أن يؤصل ويؤطر لها، من خلال بيان أهم الدعامات والأسس التي يتم بناءً عليها قبول الروايات في الأسباب التي أظهرها في تعامله مع المسائل، ومن خلال الدعامات التي وضعها يظهر التأدب في رفضه أو رده لبعض المسائل، وهذا هو صلب التحقيق العلمي، والموضوعية التي أظهرها في بحثه.

يقول: **الدعامة الأولى**: الرواية الصحيحة، وإذا عدمت هذه الدعامة، وجب رد هذا السبب، حتى لو كان مشتهرا".

الدعامة الثانية: سلامة الدراية، ونعني بها أن لا يكون المتن مناقضا لقواعد النقل والعقل.

الدعامة الثالثة: السياق؛ فللسياق أثر لا ينكر في ترجيح القبول، قبول السبب أو رده، فإذا اجتمعت هذه الدعائم تمسكنا بهذا السبب، ونافحنا عنه "[2].

ويوليه عناية ويعطيه أهمية على غيره، ففي حال التعارض بين سبب النزول وسياق الآية فإنه يعتمد على السياق في رد بعض أسباب النزول، ومن الأمثلة على ذلك:

نموذج يدلل على اهتمامه بالسياق:

التعارض بين سبب النزول وسياق الآية وكيف وفق بينهما، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓا۟ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ الأنفال: ٢٧ ، المشتهر أن الآية نزلت في أبي لبابه - رضي الله عنه – عندما سأله بنو قريظة: أننزل على حكم سعد بن معاذ؟ فأشار إلى أنه الذبح فلا تفعلوا، فقال: والله ما زالت قدماي حتى علمت أني قد خنت الله ورسوله، فنزلت الآية، فلما نزلت شد نفسه على سارية من سواري المسجد، وقال: والله لا أذوق طعاماً ولا شراباً حتى

[1] عباس، فضل حسن، إتقان البرهان،ج١ ص١٠٠

[2] عباس، فضل حسن، إتقان البرهان، بتصرف ج١ ص٣٤٣

أموت أو يتوب الله عليّ، فنزلت توبته بعد سبعة أيام "،[1] ثم بين أن بعض العلماء حسّن الحديث، غير أنه اعترض على عدّها سبباً لنزول الآية في سورة الأنفال، بدلالات السياق والتاريخ دون أن يوضح دلالات السياق مكتفيا بالدلالة التاريخية، لكن القارئ يفهم أن السياق في سورة الأنفال كان الحديث فيه عن معركة بدر، وليس إجلاء بني قريظة، وقد علل السبب وراء رفضه لسبب النزول أن الآية في سورة الأنفال نزلت في غزوة بدر، يقول: "وأين فتح قريظة من غزوة بدر، فإجلاء بني قريظة في السنة الخامسة، وبدر في الثانية، وإن صحت الرواية فمن الممكن أن أبا لبابه تذكرها أو سمعها فكان منه ما كان".[2]

نرى هنا أنه عالج مسألة التعارض بين الرواية المقبولة وسياق الآيات، فقدم السياق على الرواية المقبولة لأهميته وقام بتوجيه الرواية بعد عرض أقوال للعلماء في قبول الرواية، لكنه اكتفى بالتصريح على الدلالة التاريخية دون السياق.

المثال الثاني : قوله تعالى ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ العنكبوت: ٥١ يقول: "ذكروا أن سبب نزول الآية أن بعض المسلمين أعجبوا بما عند يهود، وقد جاؤوا النبي عليه السلام بكتف كتبوا فيه بعض ما سمعوه من اليهود، وفي رواية أنهم أعجبهم ترتيل اليهود في بعض طقوسهم الدينية، فتمنوا أن يكون لهم مثل ذلك، فنزلت هذه الآية "،[3]ثم ذكر مكان وجود هذه الروايات.[4]

ثم يقول: " نحن نحسن الظن بالصحابة رضوان الله عنهم، ونجلهم عن مثل هذه الأخبار المنكرة للآية التي سبقتها "، ثم يعلق ويبين أنها كذلك مخالفة لسياق الآيات فالآيات تتحدث عن أهل مكة المكرمة بدليل قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ ﴾ العنكبوت: ٥٠ ، والسبب الذي ذكر يبين أن الحدث صار في المدينة والآية نزلت في مكة المكرمة[5].

---

[1] نفسه، بتصرف ج١ص٣٥٠-٣٥١
[2] نفسه، بتصرف ج١ ص٣٥٠-٣٥١

[3] عباس، فضل حسن، إتقان البرهان، ج١ ص٣٥٣
[4] نفسه،ج١ ص٣٥٣
[5] نفسه ،ج١ ص٣٥٣

المطلب الثالث

منهجه في التعامل مع الأحاديث ودلالاتها

أولاً: منهجه في التعامل مع الروايات سنداً ومتناً.

ثانياً: منهجه في الجمع بين الروايات التي ظاهرها التعارض .

أولاً: منهجه في تعامله مع الروايات سنداً ومتناً:

انطلق رحمه الله في تعامله مع الأسانيد للروايات التي أوردها علماء علوم القرآن من منهج العلماء: الرواية والدراية في دراسة الأسانيد، وبيان أحوال الرواة والحكم عليها، انطلاقاً من قواعد علوم الحديث، وعدم الاكتفاء بصحة الإسناد للحكم على الرواية بالصحة كما سيأتي التمثيل عليه.

أولاً: ينظر إلى السند من حيث الصحة وعدمها من خلال المصادر المعتمدة، ويذكر ما قاله ما قاله أهل الحديث في الحكم على الحديث من حيث السند، وينظر إلى المتن بعد النظر إلى صحة سنده، ومن حيث أنه لا يمس بقدسية القرآن الكريم وعصمة النبي عليه السلام، وأن يكون متسقاً مع السياق القرآني، ومن ذلك تعامله مع أحاديث أسباب النزول، والناسخ والمنسوخ.

ثانياً: يذكر جميع الروايات التي تتصل بالموضوع، ويبدأ بتحليلها ويذكر العلل الموجودة في أسانيدها.

ثالثاً: يأخذ بعين الاعتبار الناحية النقلية والعقلية في دراسة المتن.

رابعاً: يورد أقوال العلماء في السند والمتن .

ومن الأمثلة على منهجه في التعامل مع سند الروايات، أحاديث الأحرف السبعة:

يورد الحديث، [عن أبي بن كعب قال:قرأت آية، وقرأ ابن مسعود خلافها، فأتيت النبي عليه السلام، فقلت: ألم تقرئني آية كذا وكذا؟ قال: بلى، فقال ابن مسعود: ألم تقرئنيها كذا وكذا فقال: بلى كلاكما محسن مجمل، قال: فقلت له، فضرب في صدري، فقال : يا أبي بن كعب إني أقرئت القرآن فقيل لي: على حرف أو على حرفين؟ فقال الملك الذي معي: على حرفين، فقلت: على حرفين، فقال: على حرفين أو ثلاثة؟ فقال الملك الذي معي: على ثلاثة، حتى بلغ سبعة أحرف، ليس منها إلا شاف كاف، إن قلت: غفوراً رحيماً، أو سميعاً عليماً، أو قلت عليماً سميعاً فالله كذلك، ما لم تختم آية عذاب برحمة، أو آية رحمه بعذاب][1]، ثم يقول في حديثه عن السند: "هذا الحديث إسناده صحيح على شرط الشيخين كما قال الشيخ شعيب". [2]

---

[1] عباس، فضل حسن، إتقان البرهان، ج٢ص٧٢ – انظر:الإمام أحمد بن حنبل (١٩٩٥م)، **المسند**، شرحه وصنع فهارسه حمزة أحمد الزين، ط١،دار الحديث:القاهرة ، ج١٥ ص٤٢٨،رقم الحديث ٢١٠٤٨

[2] عباس، فضل حسن، إتقان البرهان، ج٢ص٧٢ في الهامش

يقول معلقاً على الحديث قبل الدخول في تفاصيله: " إذا كان سند الحديث لا بد أن تتوافر فيه الشروط كي يقبله بقية العلماء، فإن متن الحديث حري أن يكون كذلك "[١] وفي هذه العبارة يظهر منهجه جلياً في تعامله مع الأحاديث، فهو ينظر للمتن بالأهمية ذاتها التي ينظر فيها للسند .

أولاً: يرد على هذا الحديث فيما ورد في صحيح البخاري قائلاً: روى أصله الإمام البخاري....فرواية البخاري ليس فيها هذه الزيادات المريبة"[٢].

ثانياً: يستدل بفواصل الآيات، يقول: "إن فواصل الآي من أهم روافد الإعجاز وأدقها؛ فكيف يعود الاختيار فيها للناس والناس عاجزون أن يأتوا بمثله"[٣].

ثالثاً: يقول: "إن الروايات كثيرة في هذا الموضوع، وبعضها يحمل في طياته خطراً كبيراً لا يليق بمقام الصحابي؛ إذ إن هناك روايات تذكر أن أبيّاً لم يرض بما قاله النبي عليه السلام، وأخرى تقول إن أبيّاً صار يردده ترديداً لا يليق بمثله" [٤].

رابعاً: نلحظ أنه يتطرق إلى التصحيح الروائيّ، وتعليق العلماء على الروايات، الذي يفيد بمعرفة الصحة وعدمها، فمثلاً في الرواية[٥]التي رواها أبو عبيد عن ابن مسعود قال: إن نعيماً بن حمّاد تكلم فيه العلماء، وعون ابن أخي عبد الله بن مسعود لم يلقَ ابن مسعود، ذكر الاختلال فيها وذلك بأنها رويت عن ابن مسعود تارة وأبي الدرداء تارة أخرى، قال في آخر المقال نقلا عن العلماء: رواية أبي عبيد عن ابن مسعود تُرد لأكثر من سبب، مستنداً على كتب العلل وقد ذكر غيرها نقلاً عن العلماء.[٦]

ومن الأمثلة كذلك: حديثه عن الناسخ والمنسوخ (روايات الرَّجم):

أولا: بدأ بذكر ما بوب به البخاري (باب رجم المحصن).

ثانيا: ثم أورد حديث البخاري عن عمر عن ابن عباس .

ثالثا: ثم ذكر رواية أخرى عند البخاري عن ابن عباس .

رابعا: ذكر ما جاء عن النسائي في السنن الكبرى، ثم ما ورد في الموطأ .

---

[١] عباس، فضل حسن، إتقان البرهان، ج٢ ص٧٤
[٢] نفسه، ج٢ ص٧٤
[٣] نفسه، ج٢ ص٧٤
[٤] نفسه،ج٢ ص٧٥
[٥] فيما ورد في آية الدخان "إن شجرت الزقوم طعام الاثيم"
[٦] نفسه، ج٢ ص٧٦

خامسا: بعد التعقيب انتقل للحديث عن الجانب الآخر الذي يتصل بالمعنى .

يقول البخاري في صحيحه عن ابن عباس قال عمر: [إن الله بعث محمداً عليه السلام بالحق وأنزل عليه الكتاب، فكان مما أنزل الله آية الرجم فقرأناها وعقلناها ووعيناها. رجم رسول الله ورجمنا بعده، فأخشى إن طال بالناس زمان أن يقول قائل: والله ما نجد آية الرجم في كتاب الله، فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله، والرجم في كتاب الله حق على من زنى إذا أحصن من الرجال والنساء إذا قامت البينة] وقد ذكر البخاري روايات أخرى كثيرة في موضوع الرجم.[١]

أولاً: لم يذكر البخاري أن الذي قيل بالرجم آية من القرآن الكريم في الرواية التي رويت عن علي رضي الله عنه، وأقول: إن هذا الاستدلال ضعيف لوجود رواية أخرى في البخاري تذكر أنها آية من القرآن الكريم ويجب التوفيق بين الروايات.

ثانياً: الإمام البخاري ذكر في بداية الباب حديث علي رضي الله عنه: [رجمتها بسنة رسول الله].[٢]

ثالثاً: يقول النسائي في السنن الكبرى: لا أعلم أحداً ذكر في هذا الحديث الشيخ والشيخة غير سفيان، وينبغي أنه وَهِم، والله أعلم.

رابعاً: الرواية التي صرحت بأنها آية من القرآن أخرجها النسائي عن أُبيّ، وهي رواية مجمع على تضعيفها؛ لأن فيها عاصماً، وعاصم مجمع على تضعيفه،[٣] وهناك ردود أخرى ذكرها على هذا الحديث لم أذكرها هنا.

خامساً: الرد على الروايات مما جاء فيها، ومثال ذلك: الرواية التي قال فيها عمر رضي الله عنه في الموطأ [لولا يقول الناس: زاد عمر في كتاب الله]،[٤] يدل هذا القول عن عمر وهو الذي لا يخشى إلّا الله وحرصه على الدين والكتاب العظيم غني عن التعريف فلا يمكن أن تكون آية من القرآن ويخشى عمر من أن يكتبها فيه، ومن الناحية الأخرى الزيادة على الشيء ليست منه.[٥]

---

[١] البخاري، محمد بن اسماعيل، صحيح البخاري، رقم الحديث ٦٤٤٢
[٢] الإمام البخاري، محمد بن اسماعيل، صحيح البخاري، باب رجم المحصن، رقم٦٨١٢
[٣] عباس، فضل حسن، إتقان البرهان،ج٢ ص٤٤
[٤] نفسه، بتصرف ج٢ ص٤٤
[٥] نفسه، بتصرف ج٢ ص٤٤

وفي نهاية الحديث قال: بأن القول بأن الشيخ و الشيخة آية ليس فيه رواية صحيحة يستند إليها ويعتمد عليها، وهذا يناقض ما جاء في بعض الروايات الصحيحة مثل رواية البخاري في أنها آية بهذا اللفظ، لكن ممكن أن يكون القصد عدم صحة المتن وليس السند.[١]

وهذه بعض الأمثلة على المنهجية المتبعة في دراسة متن الروايات:

من حيث المتن: اعتمد في الرد على المتن على كل من الأدلة النقلية والعقلية، وهي بالتفصيل تمثل: الأدلة القرآنية، والروائية، وآراء العلماء السابقين، والرد العقلي من السياق، والدليل المنطقي وذلك بتوجيه الرواية، والأمثلة الآتية توضح ما سبق:

روايات أسباب النزول: أخرج الطبري وابن أبي شيبة عن حفص بن سعيد عن أمه عن أمها وكانت خادم الرسول عليه السلام: [أن جرواً دخل بيت النبي عليه السلام، فدخل تحت السرير فمات، فمكث لا يأتيني، قالت خولة: فقلت: لو هيأت البيت وكنسته، فأهويت بالمكنسة تحت السرير فإذا شيء ثقيل فلم أزل حتى أخرجته، فإذا جرو ميت، فأخذته فألقيته خلف الجدار، فجاء نبي الله ترعد لحيته فأنزل الله ﴿وَٱلضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾﴾ الضحى: ١ - ٣

أولاً: نظر رحمه الله إلى السند من حيث الصحة وعدمها، وتبين أن الحديث منكر، نقلاً عن الأئمة الأعلام[٢].

ثانياً: المعالجة من حيث الدراية، يقول: "فأصل وجود الجرو في بيت النبي عليه السلام أمر لا يتفق مع فطرة النبي عليه السلام، ثم كونه يظل ميتاً أربعة أيام في البيت أخالك يأباه عقلك"[٣].

ثالثاً: يطرح سؤالاً ويقول: "هل كان مجيء الوحي إلى النبي عليه السلام يقتصر على بيته؟ والمعلوم أنه كان يجيء في أمكنة متعددة"،[٤] وبهذا التساؤل يوضح بالدليل العقلي سقوط الرواية وعدم اتفاقها مع المسلّمات.

وهكذا يرد الرواية من حيث المتن وذلك بالدليل العقلي ولا يكتفي بالنظر إلى السند، ويقف عنده يقول:

أولاً: وجود الجرو لا يتفق مع النبوة .

---

[١] نفسه، بتصرف ج٢ ص٤٤
[٢] عباس، فضل حسن ،إتقان البرهان، ج١ ص٣٤٠
[٣] نفسه، ج١ ص٣٤٠
[٤] نفسه، ج١ ص٣٤٠

ثانياً: كون جرو يظل ميتا أربعة أيام في البيت مسألة يرفضها العقل .

ثالثاً: نزول الوحي على النبي عليه السلام لم يكن مقتصرا على بيته عليه السلام.

المثال الآتي يوضح كيف رد على المتن بحاكمية السياق القرآني للآية:

أسباب النزول: قوله تعالى ﴿ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْاْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرُۢ بَصِيرٞ ﴿٢٧﴾ ﴾ الشورى: ٢٧ " قالوا: إن الآية نزلت في شأن بعض أهل الصفة الذين أحبوا أن يكونوا أصحاب غنى، والآية مكية – كما نعلم – لم يخالف في مكيتها أحد، فكيف تكون نزلت في شأن أهل الصفة الذين كانوا في مسجد رسول الله عليه السلام"[1] بعد أن ضعف سند الرواية نظر إلى الدراية فقال إن الآية مكية كما هو مجمع عليه فكيف يكون سبب نزولها أهل الصفه الذين كانوا في مسجد النبي عليه السلام في المدينة، ويقول نقلاً عن العلماء: "والحق الذي لا معدل عنه أن هذه الرواية لا يقبل أن تكون سبب نزول للآية، بل الظاهر أنها تليت على هؤلاء".[2]

ومما يدل على نزول الآيات في مكة سياق الآيات، فكيف تنزل في أهل الصفة في المدينة المنورة؟ يقول موضحاً أهمية السياق في دراسة الرواية من حيث المتن وخصوصاً في روايات أسباب النزول: "وإذا كانت الرواية والدراية لا بد منهما لقبول سبب النزول، فإن السياق يعيننا كثيراً على ترجيح القول المقبول والرأي الأصح في تفسير آي الكتاب العزيز"، [3] لذلك رُدَت روايات كثيرة خالفت السياق، وقد وضع مبحثاً خاصاً لتوضيح أهمية هذه القضية في الكتاب والأمثلة كثيرة.[4]

ثانياً: منهجه في الجمع بين الروايات التي ظاهرها التعارض

في معرض حديثه عن الروايات المتعارضة اعتمد على ذكر جميع الروايات التي يظن فيها التعارض، ثم بحث في صحة الأسانيد وبينها، وبعد ذلك يأخذ بأقوال العلماء في الروايات للتوفيق بينها، وإذا حصلت تسوية بين الروايات من حيث الصحة يبدأ بالاجتهاد للوصول للفهم الصحيح للروايات من حيث المتن ومن ثم التوفيق بينها بما يتوافق مع منهج علماء الحديث في التعامل مع الروايات المتعارضة.

---

[1] عباس، فضل حسن، إتقان البرهان، ج١ ص٣٥٤

[2] نفسه ،ج١ ص٣٥٤

[3] نفسه ،ج١ ص٣٤٨

[4] عباس، فضل عباس، إتقان البرهان،ج١ ص٣٤٦ -٣٦٠

ومن الأمثلة على ذلك: الروايات التي قيلت في أول ما نزل من القرآن وفيها أربع روايات:

القول الأول: أن أول ما نزل الآيات الأولى من سورة العلق، ودليله كما يقول حديث عائشة أم المؤمنين.[١]

القول الثاني: آيات من سورة المدثر ودليله روايتان: رواية عن جابر بن عبد الله، والثانية عن يحيى بن أبي كثير، وعزاهما لفتح الباري.[٢]

القول الثالث: سورة الفاتحة، واستدلوا على ذلك بما أخرجه الواحدي عن أبي إسحاق عن أبي ميسرة، وعقب على الرواية بقوله: وهو حديث مرسل.[٣]

القول الرابع: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝١﴾ الفاتحة: ١ وهو ضعيف لا يعول عليه كما يقول، والذي ذكره السيوطي ذكره جميع الكاتبين في علوم القرآن، فالقول بأن "بسم الله الرحمن الرحيم" هو أول ما نزل ضعيف رواية ودراية. [٤]

في تعامله مع الرواية: نظر في صحة السند، فالقول الرابع ردّهُ لتضعيف العلماء له،يقول "والذي ذكره السيوطي، هو الذي ذكره جميع الكاتبين - رحمهم الله - . على أن هنا أمراً لا بد من تسجيله، وهو أن بعض هذه الأقوال من الضعف، بحيث لا يستحق أن يذكر؛ فالقول بأن بسم الله الرحمن الرحيم" هي أول ما نزل ضعيف رواية ودراية؛ ولم يذكر الزركشي – رحمه الله – في البرهان، وهو من أمهات مراجع السيوطي في الإتقان. أما ضعفه رواية فلأنه ليس فيه رواية متصلة يعول عليها، أما ضعفه دراية، فإنه لا يعقل أن تكون هذه الآية وحدها أول ما ينزل على النبي عليه السلام،حتى إن السيوطي الذي ذكر هذا القول، قال: القول الرابع "بسم الله الرحمن الرحيم" ثم قال: وعندي أن هذا لا يعد قولاً برأسه، فإنه من ضرورة نزول السورة نزول البسملة معها، فهي أول آية نزلت على الإطلاق".[٥]

---

[١] نفسه، بتصرف ج١ ص١١٦
[٢] نفسه، ج١ ص١١٧
[٣] نفسه، ج١ص١١٧
[٤] نفسه، ج١ ص١١٨
[٥] نفسه، ج١ص١١٨

القول الثالث: وهو أن أول ما نزل سورة الفاتحة واستدلوا على ذلك بما أخرجه الواحدي عن أبي إسحاق عن أبي ميسرة [١].

يقول الدكتور : "فمع أن الحديث الذي رواه وغيرها، حديث لا يصح، لكن بعض العلماء ذهبوا إلى الجمع بينه وبين الحديث الصحيح، أعني الذي روي عن السيدة عائشة، بأن الفاتحة أول ما نزل من القرآن الكريم سورة كاملة، ومع تسليمنا بأن أول سورة تامة نزلت من القرآن الكريم هي الفاتحة، لكن الذي نراه أن هذا الجمع متكلف؛ ذلك لأن المعول عليه صحة الرواية ".[٢]

فبعد أن استبعد الروايات الضعيفة، جمع بين ما هو ثابت صحيح القول الأول والثاني لصحة سند الروايات التي استدلوا بها .

القول الثاني:[٣] أن أول ما نزل آيات من سورة المدثر ودليله روايتان من صحيح البخاري: رواية عن جابر بن عبد الله،[٤] والثانية عن يحيى بن أبي كثير.[٥]

القول الأول: أن أول ما نزل الآيات الأولى من سورة العلق، ودليله كما يقول ما ورد في صحيح البخاري من حديث عائشة أم المؤمنين.[٦]

وفي هذين القولين كان لابد من الجمع لأن الروايتين صحيحتان، يقول رحمه الله: إن الجمع بين الروايتين سهل يزيل التعارض الموهوم بينهما، أولاً "أن المتأمل للروايتين في آيات سورة المدثر يحمل إحداهما على الأخرى؛ فرواية جابر بن عبد الله تبين صراحة أنه يتحدث عن فترة الوحي، ومعنى هذا أن سورة (إقرأ) هي أول سورة نزلت، ثم فتر الوحي بعدها، وبعد فترة نزلت أوائل سورة المدثر فلا إشكال. وعلى هذا فلا تعارض بين الروايتين، رواية جابر وعائشة، والقول بأن جابراً قال اجتهاداً قول مردود". [٧]يقول رضي الله عنه "سمعت النبي عليه السلام، وهو يحدِّث عن فترة الوحي فقال في حديثه: فبينما أنا أمشي إذ سمعت صوتا من السماء والأرض، فرفعت رأسي فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض، فرعبت منه،

---

[١] عباس، فضل عباس، إتقان البرهان، ج١ ص١١٨-١١٩
[٢] نفسه، ج١ ص١١٨-١١٩
[٣] نفسه، ج١ص١٢٠-١٢٢
[٤] الامام البخاري، محمد بن اسماعيل، صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، رقم الحديث ٤
[٥] نفسه، كتاب التفسير، رقم الحديث ٤٩٢٢
[٦] نفسه، كتاب بدء نزول الوحي، رقم الحديث ٣
[٧] نفسه، ج١ ص١٢١

فرجعت فقلت زمّلوني فأنزل الله نعالى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ ﴾ إلى قوله :﴿ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴿٥﴾ ﴾ المدثر ١-٥، فحمي الوحي وتتابع.[1]

وقد ساق قولاً للحافظ ابن حجر فيه إزالة لهذا الاشكال الظاهر، فقال فيما نقله عن ابن حجر: "إما أن يكون سقط على يحيى بن أبي كثير وشيخه قصة مجيء جبريل بحراء باقرأ باسم ربك وسائر ما ذكرته عائشة، وإما أن يكون جاور عليه السلام بحراء شهراً آخر ....."[2]

كذلك فإن سورة المدثر تتحدث عن الصراع الذي قام بين الحق والباطل، والأمر بالإنذار، ولا يعقل أن يكون أول ما نزل يتحدث عن الإنذار قبل الإعلام ، أما آيات سورة العلق فقد تحدثت عن إثبات النبوة، وهذا الذي يجب أن يطرح في البداية كما يقول رحمه الله[3].

أولاً: نلحظ مما سبق أنه بين الصحيح من غير الصحيح، فرد غير الصحيح، واستبعده.

ثانياً: جمع بين ما هو ثابت وصحيح.

ومن الأمثلة: القول بتعدد النزول:

قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ ﴾ التوبة: ١١٣ [4]، وفي سبب نزول هذه الآية ثلاث روايات[5].

الأولى: نزلت في شأن استغفار النبي عليه السلام لأمه، فبعد أن ساق ما أخرجه الحاكم عن ابن مسعود عقب قائلاً وهذه رواية ضعيفة، ضعفها الإمام الذهبي.

الثانية: أنها نزلت في شأن استغفار النبي عليه السلام لأبي طالب، وهي في صحيح البخاري

---

[1] عباس، فضل حسن، إتقان البرهان، ج١ ص١٢١

[2] عباس، فضل عباس، إتقان البرهان، ج١ص ١٢١-١٢٢

[3] نفسه، بتصرف ج١ ص١٢٠

[4] ذكر المفسرون أن سبب نزول الآيتين من سورة التوبة والقصص كان في وفاة أبي طالب عم النبي عليه السلام، مع ذكرهم لاحاديث أخرى تدلل على سبب نزول آية التوبة، ويدل ذلك على إمكانية التوفيق بين الرواية ووجود سبب آخر لنزول الآية يغنينا عن القول بتعدد النزول،بتصرف، ابن الجوزي، أبي الفرج جمال الدين(٢٠٠٣)، **زاد المسير**، دار ابن حزم، ط١،بيروت، ص٦٠٨ – انظر: الصابوني، محمد علي(١٩٨١م)، **مختصر تفسير ابن كثير**، دار القرآن الكريم، ط٧، بيروت، ج٢ص١٧٣-١٧٤ – انظر، الألوسي، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود(٢٠٠١م)، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ج٤ص٣٢-٣٣،ج٧ص٣٠٢-٣٠٣

[5] عباس، فضل حسن، ج١ ص١٣٦-١٣٧

الثالثة: أنها نزلت في استغفار المسلمين للمشركين.

وهنا قيل إن الآية نزلت مرتين الأولى في استغفار النبي لعمه أبي طالب، والثانية في استغفاره للمشركين، والذي يدل على ذلك ما جاء في صحيح البخاري في الرواية التي تحدث فيها عن نزول الآية، يقول رحمه الله في حديث أبي طالب: أنزل الله تعالى ﴿ مَاكَانَ لِلنَّبِيِّ ﴾ ، وأنزل في أبي طالب: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ القصص: ٥٦ [١].

قام بتوضيح الفهم الصحيح لنزول الآية وأنها نزلت مرة واحدة.

يقول: "ونحن لا نشك في رواية البخاري لكن الذي نناقشه هنا قضية تكرار النزول، وهذا لا يفهم من كلام البخاري فنحن بين أمرين اثنين: فإما أن الآية نزلت مرتين اثنتين إحداهما: بعد وفاة أبي طالب...ثم نزلت بعد ذلك، بعد غزوة تبوك ..وهذا لا يخلو من إشكالات كبيرة"[٢]، هنا يشير إلى وجود إشكالية في رواية البخاري، وقد استعان في فهم ابن حجر للخروج من المأزق، قال" فالذي يفهم من هذا وهذا ما فهمه ابن حجر :إن قوله (إنك لا تهدي من احببت) كانت خاصة في أبي طالب، أما قوله (ما كان لنبي ...)فكانت عامة فيه وفي غيره"،[٣] مع ذلك رد على من يقول بالنزولين وهذا الذي يفهم من رواية البخاري لأول وهلة، وقال "نحن لا نشكك في رواية البخاري لكن الذي نناقشه هنا قضية التكرار، ويقول إن القول بالنزولين يفهم منه:

أن الآية نزلت مرتين بعد وفاة أبي طالب والأخرى بعد غزوة تبوك، وعلى هذا الفهم يظهر منه: أن الآية بقيت وحدها ولم توضع في سورة حتى نزلت سورة التوبة، وهذا يظهر منه رأيه رحمه الله في الآيات المكية في السور المدنية ورفضه لهذا القول، ثم استعان برأي ابن حجر الذي يقول إن الأصل عدم التعدد.[٤]

---

[١] عباس، فضل حسن، ج١ ص١٣٦ – انظر: صحيح البخاري، باب " ما كان للنبي والذين آمنوا أن يسغفروا للمشركين "، حديث رقم ٤٣٩٨

[٢] عباس، فضل حسن، إتقان البرهان، ج١ص١٣٦

[٣] نفسه، ج١ص١٣٦

[٤] عباس، فضل حسن، إتقان البرهان، بتصرف ج١ص١٣٦

والوقائع تظهر أن الرسول عليه السلام استغفر للمشركين بعد موت عمه، وأكبر دليل استغفاره لعبد الله بن أبي سلول فهل يعصي النبي عليه السلام ويخالف أمر الله والمؤمنين؟ وحاشاهم أن يفعلوا ذلك.[١]

وكذلك فإنه يقول: "أن تعدد نزول آية التوبة أمرٌ لا يتفق مع الواقع في شأن آي القرآن من جهة، ولا تتفق مع عصمة النبي عليه السلام، ولا مع طاعة الصحابة لله تعالى من جهة ثالثة".[٢]

يقول "وإذن فاليقين الذي لا يجوز أن يرتاب فيه مرتاب أن الآية نزلت مرة واحدة، سواء أقلنا : أن النبي عليه السلام استمر يستغفر لأبي طالب هذه المدة كلها حتى نزلت ، أم أنها نزلت في شأن المشركين بعد غزوة تبوك".[٣]

[١] عباس، فضل حسن، إتقان البرهان، بتصرف ج١ ص١٣٦
[٢] نفسه، ج١ ص ١٣٦ -١٣٧
[٣] نفسه،ج١ص١٣٧

الفصل الثاني

معالم منهجه فيما أفرده بالتأليف في قضايا علوم القرآن الكريم

التمهيد

المبحث الأول: منهجه في تناوله لمباحث إعجاز القرآن الكريم.

المبحث الثاني: منهجه في دراسته لمناهج المفسرين.

المبحث الثالث: منهجه في دراسته لكتابه القراءات القرآنية وما يتعلق بها.

المبحث الرابع: منهجه في القصص القرآني.

المبحث الخامس: منهجه في الدفاع عن القرآن الكريم ورد الشبهات.

التمهيد

بعد الحديث عن منهج الدكتور فضل رحمه الله فيما كتبه مجتمعاً في علوم القرآن، والذي تمثل في كتابه (إتقان البرهان)، سأنتقل للحديث عما كتبه منفرداً في علوم القرآن، وكان السبب وراء التفرد هو عدم حصول الكفاية فيما ذكره في كتابه (إتقان البرهان) لذلك كانت الحاجة ملحة للكتابة في هذه الموضوعات والتفصيل فيها.

ومما أفرده من علوم إعجاز القرآن، وعلم التفسير، والقراءات القرآنية، والقصص القرآني، ومن الملاحظ أن القصص القرآني لم يذكره في كتاب إتقان البرهان[١]؛ والسبب إما لعدم احتسابها من علوم القرآن لذلك لم يضمنها لها، أو أنها مادة تطبيقية أكثر منها تأصيلية لذلك لا حاجة لذكرها في كتابه إتقان البرهان، وأكتفى بما سيورده في كتابه القصص.

أما المناهج المتبعة في هذه المؤلفات: المنهج النقدي، والمنهج التحليلي، والمنهج الوصفي للتأصيل للموضوعات، وهنا نرى أن المنهج المتبع في كتابه إتقان البرهان لا يختلف عن الأسلوب المتبع في المؤلفات الأخرى، والاختلاف الظاهر بين هذه الكتب وكتابه إتقان البرهان هو التوسع في هذه العلوم، وكذلك التطبيق.

ومن مميزات كتبه التأصيل لهذه العلوم وذلك بالإتيان بتاريخ النشأة وأهم المؤلفات التي كتبت في هذا العلم، منذ نشأته إلى العصر الحديث، ومحاولة تصحيح النظرة لبعض المسائل العالقة، وتوضيح ما هو شائك في هذه العلوم.

وعند الحديث عن هذه المؤلفات نجد أن الفئة المستهدفة فيها تختلف، فكتابه إعجاز القرآن موجه لطلبة المرحلة الجامعية الأولى، وكتابيه في مناهج المفسرين هما للمتخصصين في التفسير وعلوم القرآن، إذ يتحدث فيه عن أساسيات التفسير واتجاهاته والمدارس والمناهج المنبثقة عن الاتجاهات، وفي حديثه عن القراءات يوجه حديثه للمبتدئين والمتخصصين لتوضيح بعض المسائل العالقة فيه، وكتابه القصص موجه للمختص وغير المختص لأنه في حديثه عن القصة القرآنية يأتي بها ويذكر تفاصيلها بشيء من التشويق وذكر التفاصيل فيسهل على غير المتخصص أن يقرأ فيه لمعرفة ما فيها من أحداث .

أما عن كيفية دراستي للموضوع فسأقوم بدراسة هذه الموضوعات دراسة منهجية تتمحور حول أسلوبه في الكتابة، والمناهج المتبعة فيها، وذكر بعض القضايا المهمة التي طرحها في هذه العلوم والتعليق عليها.

---

[١] ذكره في كتابه غذاء الجنان تحدث عنه من تاحية التأصيل بشكل مختصر

المبحث الأول

منهجه في كتابه إعجاز القرآن الكريم

المطلب الأول: التعريف بالكتاب.

المطلب الثاني: منهجه في كتابه إعجاز القرآن الكريم.

المطلب الأول: التعريف بالكتاب[1]

بدأ بالتمهيد لتوضيح المصطلحات الرئيسة للموضوع، فتحدث عن معنى المعجزة لغة واصطلاحاً، ثم فرق بينها وبين الكرامة، وبيّن الحكمة منها، ثم تحدث عن معجزة النبي عليه السلام الخالدة، وبقائها إلى يوم القيامة دليلاً على صدق النبي عليه السلام، وبعد التمهيد تحدث عن إعجاز القرآن الكريم، وهو المعجزة الخالدة الدالة على صدق الرسالة، قام بالتأصيل لكلمة الإعجاز، وتاريخها، ومن ثم انطلق للحديث عن مراحل تحدي القرآن للعرب وللناس كافة أن يأتوا بمثل القرآن أو بعض منه، وذلك بتفسيره لآيات التحدي والتعليق عليها وذكر آراء العلماء فيها.

وبعد التأصيل للموضوع، قسم الكتاب إلى بابين، الباب الأول تحدث فيه في فصلين عن تاريخ الإعجاز،عنون للفصل الأول فيه بـ (جهود الأقدمين) تحدث فيه عن هذه الجهود بتقسيمها لأدوار وفقاً لطريقة التأليف، فكان الدور الأول هو دور الإشارات، وذلك أن حديث العلماء عن الإعجاز في كتبهم أخذ شكل الإشارات، دون التعمق فيه، ثم انتقل للحديث عن دور الرسائل، وهو العصرالذي تحدث عن الإعجاز في قالب رسائل تحدثت عن بعض وجوه الإعجاز، وقد كان الحديث فيها اكثر تخصصية بالنسبة إلى دور الإشارات، وهنا كذلك نلحظ أخذه بعين الاعتبار الزمان الذي احتمله كل من هذه الأدوار، أما الدور الثالث وهو دور الكتب الذي تطور فيه الحديث عن الإعجاز وبدأ يستوي على سوقه، إذ بدأ يكتب فيه العلماء كعلم مستقل له أساسياته وقواعده.

وفي الفصل الثاني تحدث عن المحدثين والإعجاز، وفيه تمحور الحديث عن أبرز العلماء المؤلفين في الإعجاز والذين برزوا فيه وأضافوا إليه، فتحدث عن إعجاز القرآن للرافعي، والنبأ العظيم لعبد الله دراز، وإعجاز القرآن لسيد قطب، وكذلك الإعجاز البياني في القرآن لبنت الشاطئ، والشيخ محمد متولي الشعراوي، وموريس بوكاي، وكان في حديثه يوضح أبرز ما جاءوا به وما رأوه في وجوه الإعجاز المختلفة وخصائص هذه الوجوه، وبعض السلبيات التي وقعوا فيها كحديثه عما كتبته بنت الشاطئ، وكان في حديثه يهتم بتحليل ما جاء في هذه الكتب ونقدها، والإتيان ببعض النماذج التي ساقوها تدليلاً.

أما الباب الثاني فتحدث فيه عن وجوه الإعجاز القرآني، وهنا يبرز ما اختاره وارتضاه من وجوه الإعجاز المختلفة، وقد تكون هذا الباب من ستة فصول، الفصل الأول تحدث فيه عن الإعجاز البياني أهميته وعناصره من أحرف ومفردات وجمل، وكذلك تحدث فيه عن قضايا

---

[1] إعجاز القرآن الكريم ألفه الدكتور فضل بمساعدة ابنته الدكتورة سناء عباس وهذا الكتاب كتاب تعليمي ألف ليلائم الخطة الدراسية للمرحلة الجامعية الأولى ،طبع الكتاب سبع طبعات آخرها في عام ٢٠٠٩م ،دار النفائس – عمان ،الأردن.

مرتبطة بالإعجاز البياني كالترادف، والفاصلة، وقضية التكرار، وقد نفى وجود الترادف والتكرار، والزيادة في القرآن، وعند الحديث عن هذا كله أتحفنا بأمثلة تطبيقية توضح ما قال وفي أحيان كثيرة نراه يتوسع ويكثر منها.

وفي الفصل الثاني: تحدث عن الإعجاز العلمي فبدأ بالحديث عن اهتمام القرآن بالعلم والحث عليه، ويقرر أنه لا تناقض بين الحقائق التي توصل لها العلم مع ما جاء في القرآن الكريم والسنة الصحيحة، ثم تحدث عن القضية التي أحدثت ضجة في وسط علماء التفسير بشكل خاص وعلماء الدين بشكل عام، فيتساءل هل يجوز تفسير القرآن بالآيات العلمية؟ ويُقسم المسألة حسب آراء العلماء بين مثبت ومانع، ويذكر في هذا التقسيم أبرز العلماء المانعين والمثبتين ثم يناقش ما ذهبوا إليه، ويتحدث عن رأيه في المسألة وهي أن القرآن جاء بمسائل علمية على وجه الإشارة وأنها لم تنتظم جميع القرآن الكريم، ويؤكد أن ما جاء في القرآن لا يتناقض مع الحقائق العلمية على أنه وجه من وجوه الإعجاز الذي وقع بها التحدي، وهو مع التفسير العلمي بشروط،[١] ويأتي بنماذج توضح ما ذهب إليه.

الفصل الثالث: تحدث فيه عن الإعجاز التشريعي، فبدأ بمقارنة تشريعات القرآن مع ما سبقه من تشريعات في العصور المختلفة، ثم تحدث عن الإعجاز التشريعي وكيفية فهمنا له، وقال في هذا إنه يجب علينا أن ندرس تشريعات القرآن الكريم وتأثيرها على شتى مناحي الحياة، والإلمام كذلك بما جاء في السنة النبوية، ثم دراسة ما وصل إليه العلم البشري من إقرار لتشريعات في مختلف مناحي الحياة، ومن ثم عقد موازنة منصفة تثبت البون الشاسع بينهما. [٢]

ثم تحدث عن جوانب التشريع الإسلامي في مناحي الحياة المختلفة ومنزلتها في الإسلام، ثم جاء بأمثلة تظهر إعجاز التشريعات القرآنية وعجز البشر عن أن يأتوا بمثلها لإصلاح البشرية، ومن الأمثلة حديثه عن الزكاة والرق ونظام الإرث والطلاق، وهذه التشريعات من أكثر الموضوعات التي طرقت عند الكاتبين في هذا الحقل.

الفصل الرابع: أخبار الغيب في القرآن، تحدث فيه عن إخبار القرآن عن الأمم السابقة، وإخبار القرآن عن المستقبل، وجاء بأمثلة توضح هذا الوجه من وجوه الإعجاز.

الفصل الخامس: الإعجاز النفسي والإعجاز الروحي والذي لم يتحدث عنه إلا القلة، وكان من القلة الدكتور فضل رحمه الله، وضح كلاً منهما وبين الفرق، وخلص إلى أن الإعجاز الروحي

---

[١] عباس، فضل حسن، إعجاز القرآن، بتصرف ص٢٦٣
[٢] نفسه، ص٢٨٢

والنفسي ناشئ عن البلاغة القرآنية والصبغة البيانية الرفيعة، وفي معرض حديثه في هذا الفصل رفض بعضاً من الوجوه التي قيل عنها إنها من الإعجاز النفسي وأطلق عليها مغالطات بعض الكاتبين فيما يخص الإعجاز النفسي في القرآن، وذلك بالإتيان بأدلة توضيحية، ولا ننسى الجانب التطبيقي الذي حرص عليه في جميع ما عرض من موضوعات في إعجاز القرآن الكريم.[١]

الفصل السادس: أطلق عليه (ما يسمى بالإعجاز العددي) تحدث فيه عمن ادعى أن الزمخشري والباقلاني أشارا لهذا الإعجاز رافضاً هذا الادعاء، وقد جاء بقولهما وقال أنه لا يمت إلى العدد بصلة وأنه شرح للإعجاز البياني.[٢]

وبين أن سبب رفضه له عدم حصول الفائدة من معرفته أو فوائد علمية أو أثر واقعي، وقال إنه من الترف العقلي المجرد؛ لهذا لا يجد فائدة من جعله من وجوه الإعجاز وأنا معه فيما ذهب إليه[٣]، إذ إنه لا فائدة ملموسة من هذه الحسابات التي تدلل على التناسب بين الآيات والسور، ولا يوجد قانون مطرد يستخدم في استخراج هذا الوجه من وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، ثم رد على نظرية التسعة عشر وهي التي تتحدث عن العدد تسعة عشر في القرآن الكريم، وقد رد عليها بنفس الأدلة التي سيقت لتدليل على صحتها[٤]، ومنها نقلا عن صاحب نظرية التسعة عشر "إن قوله تعالى ﴿ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾ ﴾ المدثر: ٣٠ المقصود به (بسم الله الرحمن الرحيم)لإن حروفها تسعة عشر حرفا" يقول الدكتور فضل رداً على هذا القول " هنا مناقشتان اثنتان:الأولى أننا لا نسلم أن عدد أحرف البسملة تسعة عشر حرفا، والثانية أنه ليس صحيحاً أن هذه الآية تتحدث عن البسملة، وإنما تتحدث عن سقر ،إن القرآن الكريم عربي غير ذي عوج، وكل محاولة للخروج عن ذلك فهي شطط ولجج،إن كون الضمير في قوله تعالى (عليها) يرجع إلى سقر من الأمور البدهية، وأي خروج عنه إلحاد في آيات الله"،[٥]وقد استدل بالسياق لرد هذه الشبهة .

---

[١] عباس، فضل حسن، إعجاز القرآن، ص٣٢٩-٣٣٥

[٢] نفسه، بتصرف ص٣٣٧-٣٣٩

[٣] نفسه، ص٣٣٧

[٤] نفسه، ص٣٣٩-٣٤٣

[٥] نفسه، ص٣٤٠

المطلب الثاني : منهجه في تناوله لمباحث إعجاز القرآن الكريم

يبرزمنهج الدكتور في كتابه إعجاز القرآن في جوانب عدة هي :

الجانب التأصيلي، ويبرز في حديثه عن تاريخ التأليف وتعريفه للمصطلحات الأساسية في الموضوع.

أما الجانب النقدي فيكمن في النظرة النقدية في كل ما تحدث عنه العلماء في قضايا الإعجاز المختلفة والتعليق عليها، والرد والترجيح مع الإتيان بالأدلة التي تم الرد أو الترجيح على أساسها.

الجانب الأسلوبي ويظهر ذلك في السهولة والوضوح مع الجدية في الطرح، وتناسبه مع الفئة المستهدفة من القراء.

الجانب التطبيقي ويظهر ذلك في انتشار الأمثلة في الكتاب وفي كل القضايا المطروحة فيه، وهذا يساعد بشكل كبير على إيصال المعلومة وفهمها الفهم الصحيح فلم يكتف بالمعلومات النظرية دون الجانب العملي.

يبرز منهجه في الكتابه إعجاز القرآن:

أولاً: تقرير وجوه الإعجاز التي رجحها، و ذكره لما قاله العلماء في وجوه إعجاز القرآن.
ثانياً: نفيه لقضية التكرار، والترادف في حديثه عن الإعجاز البياني.
ثالثاً: إثباته لبعض وجوه الإعجاز التي غفل عنها كثير من العلماء "الإعجاز الروحي ".
رابعاً: ذكره لبعض الكلمات التي يُظن أنها مترادفة وإظهار صور الإعجاز فيها. [١]
خامساً: دراسته للكتب التي أُلفت في وجوه الإعجاز المختلفة وذكر إيجابياتها وسلبياتها، ومن أكثر ما يبغض رحمه الله التعدي على أهل العلم وعدم تقدير جهود العلماء السابقين. [٢]
سادساً: الرد على الشبهات التي أثيرت على قضية الإعجاز.
سابعاً: تناوله لتاريخ الإعجاز وذِكره لأبرز المؤلفات في هذا العلم.
ثامناً: يمتاز أسلوبه بالسهولة والوضوح.
تاسعاً: يعتبر من الكتب الشاملة لعلم الإعجاز، إذ إنه يحتوي على أغلب القضايا التي طرحت في هذا العلم من قبل العلماء.

---

[١] نفسه، ص١٦٥-١٧٦
[٢] نفسه، ص١٢٧-١٣٤

عاشراً: الدفاع عن جهود العلماء السابقين وتقديم آرائهم، والرد على من أساء إليهم، وهذا نراه جلياً في حديثه عن بنت الشاطئ في كتابها الإعجاز البياني للقرآن[١].

و سأقوم بدراسة المنهج بذكر أهم الجوانب التي كونت معالم منهجه وذلك بذكر أبرز القضايا التي طرحها وكيفية المعالجة بشكل مختصر.

الجانب التأصيلي:

اعتمد على المنهج التأصيلي، والتحليلي في **تأصيله للموضوع** الإعجاز تحدث فيه عن تاريخ ظهور مصطلح الإعجاز وأصله اللغوي، وقد رد على من قال إن الأصل اللغوي لكلمة المعجزة هو من العجز التي تحمل معنيين متضادين العجز والقدرة وبهذا القول تعتبر الكلمة من الأضداد وهذا ما اعترض عليه الدكتور وقال إن هذا المعنى فيه شيء من التمويه وعدم الوضوح وهذا لا يكون في المعاني اللغوية وقد رد على الأمثلة التي ساقها من قال بذلك وبين أن المعجزة لا تدل إلا على مؤخر الشيء وعلى التقصير عن بلوغ المراد،[٢] وكذلك فإننا نلمح **دقته في تقريره للمعنى اللغوي** والرد على من خالفه فيما رجح بالتحليل والتحقيق للوصول إلى الأصل اللغوي الصحيح وذلك بالأخذ بأقوال السابقين والتطبيق العملي ،وهذا ما نلحظه في حديثه عن معنى المعجزة وما يتصل بها[٣] .

وقد استخدم في توضيحه لتاريخ الإعجاز الاعتبار الزماني، ونرى ذلك في تقسيمه الذي اتبعه فقد قسم تاريخ الإعجاز إلى الإعجاز عند الأقدمين والإعجاز عند المحدثين، تحدث خلاله عن أبرز من كتب فيه قديماً وحديثاً وبشكل مستفيض، و تحدث فيه عن كتبهم بشكل تحليلي نقدي، اعتمد فيه على القرآن والسنة النبوية، والدليل العقلي والتاريخي والواقعي.

وقد قسم تاريخ التأليف في الإعجاز حسب ذكره في الكتب، فكان أولاً على شكل إشارات تم نشرها في كتب تحدثت عن بيان القرآن والكتب التفسيرية، ثم جاء دور الرسائل وهي التأليف في الإعجاز على شكل رسائل لم تصل لحد الكتاب، ومن ثم جاءت الكتب والمؤلفات التي أفردت للتأليف في الإعجاز.

---

[١] عباس، فضل حسن، إعجاز القرآن، ص ١٢٨-١٢٩- انظر بنت الشاطىء،عائشة بنت عبد الرحمن، الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، ط٣، دار المعارف:القاهرة

[٢] نفسه، بتصرف ص١٠-١٦

[٣] نفسه، ص١٠-٢٠

ففي مرحلة الرسائل تشكلت القاعدة الأساسية للإعجاز، وفي هذا الطور بين وجوه الإعجازعند العلماء في هذه المرحلة، الخطابي في رسالته بيان إعجاز القرآن، والروماني في رسالته النكت في إعجاز القرآن، وقد قام بشرح هذه الأوجه بطريقة تحليلية، وبين في هذا الطور كلا الرسالتين وقام بتوضيح ما اشتملت عليه كلٌّ منهما،[١] وكان هذا في القرن الرابع الهجري.

نرى **التحليل ملحقا بنماذج تطبيقية** في حديثه عن نظرية النظم[٢] لعبد القاهر الجرجاني، وأشار إلى أن النظرية اكتملت عندما طبقت عند الزمخشري في تفسيره الكشاف.[٣] وفي حديثه عن الإمام عبد القاهر نرى إسهابه في الحديث عن نظرية النظم والنماذج التطبيقية،[٤] وقد وصل الإعجاز في مرحلة الشيخ عبد القاهر إلى أكثر حالات النضج خصوصاً فيما يتعلق بالإعجاز البياني.

نرى الموضوعية في حديثه عن جهود المحدثين في الإعجاز وذلك في ذكره (لموريس بوكاي) وهو من كُتاب الغرب الذين أنصفوا القرآن، وهذا مما يميز الكتاب من حيث عدم الاكتفاء بآراء العلماء المسلمين المعروفين، وإنما جاء بمثال مختلف من الغرب المنصف تجاه الإسلام، وهنا تظهر الموضوعية بشكل جلي، بين موريس من خلال هذه الدراسة عدم تناقض القرآن مع العلم الحديث، وهذا عكس ما وجده في كل من التوراة والإنجيل المحرفة، وبين الدكتور ذلك من خلال حديثه عن بعض النماذج التي تحدث عنها بوكاي مثل – خلق السماوات والأرض والنبات والحيوان، والطوفان وغيرها من الامثلة، وكان في حديثه هذا يتبع المنهج التحليلي النقدي.

الجانب النقدي: ويظهر الجانب النقدي في الكتاب في قضايا مختلفة تناولها الدكتور سنتحدث عن بعض منها لإظهار منهجه .

منهجيته في السرد والتحليل في حديثه عن الإعجاز البياني : تحدث عن الإعجاز البياني بإظهار عناصره، وهي: "الكلمة وناقش فيه الحرف والاسم والفعل، ثم الجملة وناقش فيها القضايا التالية: التأكيد، والحذف، والذكر، والتقديم والتأخير، الفاصلة القرآنية، وقضية التكرار، والقول بالزيادة، وفي بيانه لهذه القضايا تحدث عن أهمية كل منها وخصائصها وما يعتريها من قضايا شائكة أدلى فيها بدلوه، ومن الأمثلة على ذلك عند حديثه عن المفردة القرآنية ذكره قضية الترادف وبين أن لا ترادف في القرآن الكريم ورد على من قال بذلك بالحجة والمنطق السليم، وذكر أن من الأسباب

---

[١] عباس،فضل حسن ،إعجاز القرآن ، ص٣٩-٤٩

[٢] نظرية النظم :هي توخي معاني النحو ،ويكون ذلك بترتيب المعاني في النفس ثم اختيار الالفاظ المناسبة للمعنى

[٣] عباس، فضل حسن، إعجاز القرآن، ص٧٨

[٤] نفسه، ص٦٠-٧٨

التي دعت بعض العلماء إلى القول بالترادف عدم التحديد المنضبط لمفهوم الكلمة القرآنية في كتب التفسير والمعاجم،[١] ولتوضيح ما ذهب اليه بأوضح الأدلة وهي الإتيان بنماذج توضح ما ذهب اليه وكان له في بعض ما جاء به من أمثلة السبق في توضيح معانيها ونفي الترادف عنها وهذا ما تحدث عنه الدكتور جمال أبو حسان في كتابه دراسات إسلامية وعربية مهداة للدكتور فضل عباس،[٢] وتحدث كذلك عن الحرف وأهميته، وأن لكل حرف من الأحرف معنى خاصاً لا يشترك فيه مع حرف آخر، وذلك لا يظهر إلا عند الأخذ بالسياق، ومعنى الحرف المناسب له، وذكره لنماذج تطبيقية، وعدم الاكتفاء بالتنظير، وفي حديثه عن الجملة القرآنية تحدث عن القضايا التي تم ذكرها سابقاً، فوضحها ووضح الإعجاز فيها من خلال الأمثلة القرآنية التي تظهر ما ذهب إليه،[٣] وقد بين خلال الحديث عنها أهمية السياق في الإعجاز البياني وإظهاره،[٤] ولا ننسى ذكره آراء العلماء وأقوالهم في هذه الأوجه، وفي حديثه عن الفاصلة القرآنية يرد على المستشرقين الذين قالوا: إن القرآن عشوائي وعشوائيته تأتي من الفاصلة، فكان رده عليهم مجملاً، وقد أشار إلى ما كتبه في كتابه قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية دون إرجاع الى الصفحة واكتفى بذكر الكتاب، وهو لا يرجح أن تكون الفاصلة موجودة مراعاة للإيقاع، ولكن السبب في وجود الفاصلة هو المعنى التابع للسياق - على أهمية الإيقاع- لكنه ليس الأساس.[٥]

وفي الحديث عن منهجيته في الردّ والترجيح نتناول حديثه عن الإعجاز النفسي والإعجاز الروحي : ففي حديثه عن الإعجاز النفسي والروحي أظهر الفرق بين كل منهما، وذكر مغالطات بعض الكتاب في عدم التفريق بينهما، وعدم الوصول للمعنى الصحيح لكليهما، وقد بين الفرق بينهما، وأنهما ناشئان عن الصبغة البيانية للقرآن الكريم، وبين أنه حتى لو جعلناهما وجهين من وجوه الإعجاز إلا أنهما متصلان اتصالاً تاماً بالإعجاز البياني، وذكر أن من العلماء من قال: إن الإعجاز الروحي هو أهم وجوه الإعجاز، فأنكر ذلك ووضح وأكد على أن الإعجاز البياني هو أهم الوجوه، وكل ما عداه يقتصر عليه؛ لأن الإعجاز الروحي في أصله ناشئ عن الرقي البياني للقرآن الكريم ونظمه المعجز.[٦]

---

[١] عباس،فضل حسن، إعجاز القرآن، ص١٦٤
[٢] جمال أبو حسان، دراسات عربية واسلامية مهداة للدكتور فضل عباس، ص٢٧-٢٨
[٣] عباس،فضل حسن، إعجاز القرآن، ص١٩٦-٢١٣
[٤] نفسه، ص٢٠٧-٢٠٩
[٥] نفسه ، ص٢١٩
[٦]نفسه، ص ٣٣٣-٣٣٥

وذكر أن الفرق بين الإعجاز النفسي والإعجاز الروحي، أن الروحي هو تأثير هذا القرآن على النفوس وصنيعه في القلوب حتى لو لم يفهم ماذا يسمع أو يقرأ منه، أما النفسي فهو كما يقول: "هو ما نلمحه في تلك الآيات وهي تتحدث عن أصناف الناس، ومواقفهم ومشاعرهم، وما يفرحهم وما يحزنهم، وما نجده من بيان لمكنونات النفس وخفاياها، ودوافعها في آي القرآن الكريم".[١]

أما ما أنكره على بعض العلماء فيما يخص الإعجاز النفسي: فهو يرى أنه حديث عن النفس من الناحية الأدبية وليس من الناحية العلمية البحتة.[٢]

منهجه في التحقيق يظهر في حديثه عن الإعجاز العلمي؛ فبدأ بتوضيح نظرة القرآن للعلم، ودعوته للتعلم في أول آية أنزلت على قلب سيدنا محمد عليه السلام، وبعد هذه المقدمة طرح السؤال التالي: هل يجوز تفسير القرآن بالآيات العلمية؟ وبعد هذا التساؤل الذي ينبه للمشكلة بدأ حديثه عن الإعجاز العلمي فتحدث فيه عن المانعين والمثبتين لهذا النوع من الإعجاز، وبحديثه هذا بين تاريخ الإعجاز العلمي ومتى بدأ الحديث عنه وما هي أصل المشكلة؟ ونرى أنه اتبع في حديثه هذا المنهج التحليلي النقدي، ويظهر ذلك بوضوح عند حديثه عن المثبتين والمانعين لهذا الوجه من وجوه الإعجاز المختلفة؛ فقد ذكر من المانعين: الشاطبيَّ من الأقدمين، ومن المحدثين محمود شلتوت، ومحمود شاكر، أما المثبتون فقد تحدث عن أبرزهم من الأقدمين: الإمام الغزالي، والرازي، والسيوطي، ومن المحدثين: الإمام محمد عبده، والشيخ محمد رشيد رضا، والأستاذ مصطفى صادق الرافعي، ومحمد عبد الله دراز، وعبد الوهاب حمودة، والأستاذ محمد أحمد الغمراوي، وبعد الحديث عن آرائهم وذكر الأدلة التي ساقها كلا الفريقين، بدأ المناقشة، وهنا تظهر معالم المنهج النقدي جلية عنده وهو يردُّ ويرجّح ويأتي بالأدلة التي تقوي ما ذهب إليه بنوعي الأدلّة النقلي والعقلي والواقع، وكذلك يردّ بعض الأدلة المخالفة له بعد التوضيح الوافي، ومن ثم يأتي برأيه في المسألة بشكل واضح، ويلحقها بنماذج قرآنية تبين التفسير العلمي لها.[٣] وقد وضع رحمه الله قواعد لقبول التفسير العلمي، بعدما ذكر ما وضعه العلماء وإصرارهم على أن التفسير العلمي إنما هو لإبراز هداية القرآن، وأنه كتاب سماوي معجز صالح لكل زمان ومكان.[٤]

---

[١] عباس، فضل حسن، إعجاز القرآن، ص٣٣٠
[٢] نفسه، بتصرف ص٣٣٠
[٣] نفسه، ص٢٦٣-٢٧٨
[٤] نفسه، ص٢٤٤-٢٤٤

ومن الملاحظ أنه يثبت الإعجاز العلمي بقدر ما يثبت التفسير العلمي، الذي فرق بينهما الأستاذ محمود شاكر،[١] بقوله إن التحدي لم يكن إلا في البيان، وأن الإعجاز العلمي ليس من الوجوه التي وقع بها التحدي، أما تفسير بعض الآيات علمياً فإنه دليل على صدق القرآن لا غير، ولا يتحدى به؛ فالتحدي شامل كلّ آيات القرآن، والآياتُ العلمية بعضها، لكنه استدل على وجود الإعجاز العلمي بما أورده من فهمه للآية الرابعة التي تحدت جميع الناس أن يأتوا بمثل هذا القرآن، وذلك لوجود من التبعيضية في آي من القرآن الكريم، وهذا يدل على تعدد وجوه الإعجاز؛[٢] لقوله تعالى: {فأتوا بسورة من مثله} البقرة :٢٣.

وأود أن أشير إلى أنه قبل حديثه عن المانعين والمثبتين للإعجاز العلمي بين أن كلا من هؤلاء العلماء الأفاضل همه القرآن والدفاع عنه، ومحاولة إظهار الحق خدمة للقرآن، وحباً فيه، وهنا تظهر موضوعيته واحترامه للعلماء السابقين واحترام جهودهم.[٣]

منهجه في الردّ على الشبهات، وهنا سأكتفي بالإشارة إلى بعض الشبهات التي ردها في كتابه إعجاز القرآن، وسأورد منهجه في رده للشبهات في المبحث الخامس منهجه في دفاعه عن القرآن الكريم ورد الشبهات:

في حديثه عن قضية التكرار ظهرت منهجيته في الرد وذلك بذكر الدعوى التي بينت أن التكرار يكون في آيات العقيدة، والقصص القرآني، فذكرها وبين أن لا تكرار في آيات القرآن الكريم،[٤] مع تأكيده احترام آراء العلماء القائلين بالتكرار، وفوائده، وأوضح أن لا وجود للتكرار في آيات العقيدة والقصص القرآني؛ لأن الناظر في آيات القرآن التي يظن بها التكرار عند دراسة متفحصة لها وذلك بالإستعانة بالعربية والسياق يرى معنى جديداً لم يذكر في الآية السابقة ،وهذا يظهر جليا في حديثه عن سورة الكافرون ونفي التكرار فيها وذلك بذكر أنها تحتوي على مقطعين مقطع يؤكد عدم اتباع النبي عليه السلام للمشركين في أول الدعوة، وعدم اتباعهم له مع معرفتهم لصدقه وأمانته ،ثم في المقطع الثاني يبن أنه لن يتبع ملتهم بعد أن استحكم العداء في قلوبهم وأنهم لن يتبعوا النبي عليه السلام [٥]، وفي حديثه عن القصة القرآنية تحدث عن مسألة التكرار في كتابه

---

[١] عباس، فضل حسن، إعجاز القرآن، ص٢٤٥
[٢] نفس، بتصرف ص٣٢
[٣] نفسه، ص٢٣٨
[٤] نفسه، ص٢٢٢
[٥] نفسه، بتصرف ص ٢٢٦-٢٢٨

القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته،[١] وقد جاء بأمثلة توضح ما ذهب إليه في نفيه للتكرار من كتاب الله وذلك بالاستعانة بأقوال السابقين، والتنبيه للجديد الذي جاء في الآية التي يظن أن فيها تكرارا.[٢]

وقد تحدث عن قضية أخرى تختص بالإعجاز البياني ألا وهي القول بالزيادة وقد رفضها جملة وتفصيلا مؤكدا أن لكل حرف أو كلمة في القرآن له معنى يراد منه [٣]،وقد أشار إلى أقوال العلماء في القول بالزيادة كلٍّ من الحرف والكلمة، وما قيل من فوائد الزيادة، وهي التأكيد على المعنى، أو لغرض يتعلق بجرس الكلام، لكنه رفض ذلك وبين أن لا زيادة، موضحاً ذلك بأمثلة ساقها.[٤]

أنكر الإعجاز العددي وبين سبب إنكاره إلى الأسباب التالية: يقول: "لا تجد تلكم الفوائد العلمية، وذلكم الأثر الواقعي الذي من شأنه أن يهذب النفس، وأنه أقرب ما يكون إلى الترف العقلي المجرد"،[٥] وقد جاء بمثال يوضح سبب ردّه هذا النوع من الإعجاز وهي نظرية التسعة عشر،[٦] وذكر أن كثيراً من العلماء الأفاضل الذي يريدون الخير للإسلام والمسلمين، اجتهدوا في إظهار الإعجاز العددي، والسبب الذي دفعهم إلى البحث فيه هو إظهار إعجاز القرآن، لكن أغلبهم تكلفوا في الطرح، وقد بين رأيه في أنه لا يعد هذا النوع وجهاً من وجوه الإعجاز، وينكر على من انحرف في طرحه، فأنكر ذلك بالحجة والدليل، وبطريق الفهم الصحيح للقرآن والسنة الصحيحة وأقوال العلماء والدليل العقلي.[٧]

الجانب الأسلوبي :

يتميز أسلوب الدكتور رحمه الله بالسهولة ووضوح العبارة والجدة في الطرح، وتناسبه مع الفئة المستهدفة منه، وكذلك يظهر في تقسيماته التي تعطي القارئ وضوحا وفهما أعمق عن الموضوع؛ ففي حديثه عن تاريخ الإعجاز والمراحل التي مر بها تحدث عنها آخذا بالاعتبار الزماني ،ثم انتقل للحديث عن الجانب التطبيقي في الإعجاز وقد قام بدراسته وفقا للإعتبار النوعي تحدث فيه عن أهم وجوه الإعجاز وما فيها من قضايا ،وقد عالج هذه القضايا بالتحليل والنقد .

---

[١] نفسه، ص٢٢٣
[٢] نفسه، ص٢٢٣-٢٢٨
[٣]عباس، فضل حسن، إعجاز القرآن، ص٢٢٩
[٤] نفسه، ص٢٢٩-٢٣٠في هامش الصفحة
[٥] نفسه ،ص٣٣٧
[٦] نظرية التسعة عشر نظرية أظهرها الدكتور محمد رشاد خليفة بين أن أسرار الأحرف المتقطعة وبعض آيات القرآن الى الرقم تسعة عشر وما تحويه من أسرار.
[٧]عباس،فضل حسن، إعجاز القرآن ،ص٣٣٧-٣٤٥

عصريته ومواكبته لقضايا العصر والإشارة إليها ويظهر ذلك في حديثه عن الإعجاز التشريعي: التي تعد من الوجوه الرئيسة للإعجاز القرآني ،ينبه فيقول : إن المطلوب لمعرفة الإعجاز الكامن في آيات الأحكام هو في الاطلاع على تشريعات القرآن، وما فصلته السنّة كذلك، ثم دراسة ما وصل إليه البشر من تشريعات، والمقارنة بين ما جاء من أحكام في الإسلام، وما توصل إليه الإنسان إلى الآن من تشريعات؛ ليتضح الإعجاز أكثر، وللتدليل على صلاح القرآن لكل زمان ومكان ،وفي تطبيق تشريعاته تكمن حلول ما وجدناه في هذا العصر من مشكلات في التشريعات البشرية .

أشار الى تأثير الإعجاز التشريعي على الجانب النفسي والروحي والاجتماعي والخلقي لدى الإنسان؛ إذ عند البحث نجد أن التشريع الإسلامي راعى الجانب الروحي والجسدي والاجتماعي لدى العبد المسلم، وقد ذكر نماذج تؤكد ما ذكره والعلماء السابقين رداً على الشبهات كذلك، وقد تحدث في النماذج التي ذكرها عن عدالة التطبيق للنظام الإسلامي، ومراعاته لجميع فئات المجتمع وممّا توفره من عدالة اجتماعية وحرية وتكافل اجتماعي.[١]

ومن النماذج التي ذكرها: الزكاة وقد تحدث عن العدالة التي ستحققها الزكاة في المجتمع عند تحقيقها، وتحقق التكافل الاجتماعي والتوازن الذي سيحدث في المجتمع، وقد قارنها مع بعض الأنظمة التي ظهرت حديثاً، وقد انهار بعضها بسبب عدم إثبات نفعها لجميع فئات المجتمع.[٢]

في المقارنات التي عقدها بين التشريعات البشرية والتشريعات الإلهية (الإسلامية) يعمل على إظهار الإعجاز التشريعي الكامن في آيات التشريع التي ليس لها مثيل في التشريعات البشرية، فهي صالحة لكل زمان ومكان، وحققت التشريعات الإسلامية نجاحاً يبرهن على صلاحها، وذلك بالتدليل على صحتها بالواقع المعيش وأقوال العلماء.[٣]

وما ميز حديثه عن الإعجاز التشريعي: عقد مقارنة في زمن النبي عليه السلام، والأحكام السائدة في ذلك العصر، وما قرره الإسلام من احكام،[٤] وما حققته كلٌّ من هذه التشريعات من عدالة ونظام تطالب به البشرية على مر العصور، وقد برهن التشريع الإسلامي على أحقيته، ثم مثّل لذلك بأمثلة عملية حول تطبيق التشريع وما يتبعها من فائدة وعدل وتكافل.

---

[١] عباس، فضل حسن،إعجاز القرآن، ص٢٩٢-٢٩٣
[٢] نفسه، ص٢٩٠-٢٩١
[٣] نفسه، ص٢٩٦-٢٩٨
[٤] نفسه، ص ٣٠٦-٣٠٩

قام بالرد على الشبهات التي وردت على التشريع الإسلامي،[1] وقد سار في الرد على المنهج النقدي وهذا مما تميز به في جميع ما كتب: الأسلوب النقدي في دراسته الشرعية.

وقد جاء بنماذج تطبيقية للإعجاز التشريعي في القرآن الكريم، ونلحظ أنه اختار بعض النماذج التي لاقت رواجاً في الغرب، خصوصاً للتدليل على ظلم التشريع الإسلامي وحاشاه، مثل نظام الإرث.

ومما سبق نلحظ: الموضوعية، سهولة العبارة والجدة في الطرح، الشمول والتحدث عن أبرز وجوه الإعجاز والإلمام بتاريخها وقواعدها، وأبرز من تحدث عنها من العلماء السابقين والمحدثين، اعتماده على المنهج التأصيلي التحليلي النقدي، واعتمد فيها على القرآن وصحيح السنة والدليل العقلي والتاريخي، ومما يدخل تحت الدليل العقلي: اهتمامه الكبير في السياق والواقع، ومما ميز الكتاب الجانب التطبيقي الذي ظهر جلياً في حديثه وهذا من الإيجابيات التي تمنح الكتاب إثراء وقرباً من القارئ؛ لأنها تعمل على تسهيل الفهم وإيضاحه، ومن مميزات الكتاب هو الاجتهادات الجديدة التي أتحفنا فيها فيما يخص الإعجاز البياني والفروق الدقيقة بين الكلمات.[2]

ومما يؤخذ على الكتاب: إطالته أحياناً في حديثه عن الكتب والنماذج التطبيقية فيها،[3] وفي أحيان أخرى لا يعزو إلى الكتاب أو الصفحة، ويكتفي بذكر اسم الكتاب،[4] يذكر في حديثه عن الإعجاز القرآني أن له كتاباً آخر يتحدث فيه عن إعجاز القرآن الكريم بتوسع وتفاصيل أكثر وقد سماه (إعجاز القرآن المجيد) وقد ذكرته في الكتب التي لم يحظَ بإكمالها في حديثي عن مؤلفاته، لكنه يكثر بالإحالة إليه في حديثه عن الإعجاز ،وهو لم ينجز بعد .

وأتفق معه رحمه الله فيما ذهب إليه من رد للإعجاز العددي؛ لأنه من وجهة نظري ليس له قاعدةً معينةً ممكن أن يسير عليها الشخص لإظهار الإعجاز، ويعتمد على الاجتهاد الشخصي لكل مجتهد، إضافة إلى اتفاقي معه كذلك في اتصال الإعجاز الروحي بالإعجاز البياني .

---

[1] نفسه، ص٣١١-٣١٣

[2] عباس،فضل حسن، إعجاز القرآن، ومن الأمثلة انظر:ص١٨٠-١٨١،ص١٩٤-١٩٥

[3] نفسه ،ص٦٠-٧٨ ،كذلك في حديثه عن بنت الشاطئ

[4] نفسه، ص٢٧٧-٢٧٨

المبحث الثاني

منهجه في دراسته لمناهج المفسرين

المطلب الأول: التعريف بالكتابين[١].

المطلب الثاني: منهجه في كتابه التفسير أساسياته واتجاهاته.

المطلب الثالث: منهجه في كتابه المفسرون مدارسهم ومناهجهم.

[١] كتابه التفسير أساسياته واتجاهاته ،طبع في مكتبة دنديس،والمفسرون مدارسهم ومناهجهم ،طبع في دار النفائس ،عمان ،٢٠٠٧م وهما المكونان للسلسة الدكتور فضل عباس "اتجاهات التفسير ومناهج المفسرين في العصر الحديث"

المطلب الأول

"اتجاهات التفسير ومناهج المفسرين في العصر الحديث"

التعريف بالكتابين المكونين لسلسلة اتجاهات التفسير في العصر الحديث

تناول في كتابه التفسير أساسياته واتجاهاته التفسير بصورة تأصيلية، يمهد من خلالها للحديث عمّا وصلت إليه الحركة التفسيرية من منتجات قام بدراستها في القسم الثاني من السلسلة، والأسباب التي ذكرها لتأليف الكتاب: أولاً: أن بعض مناهج المفسرين في هذا العصر لم تُدرس دراسةً وافيةً، وبعضها لم يعرض له أحد من الباحثين، ثانياً: يوجد في بعض المناهج من الهفوات والكبوات ما يجب التنبيه إليه؛ حتى لا يُخدع به الدارسون، ثالثا: إظهار ما في بعض هذه المناهج من الإبداع والروعة الذي يوجب الإشادة.[١]

أما المنهج الذي اختاره: أولاً: الاختصار والإيجاز؛ لما لهذا الموضوع من تفرعات وامتداد لذلك فإنه اختصر قدر المستطاع.[٢]

كذلك أنه أراد من أهدافه في هذا الكتاب محاولة الرد على الشبهات وإماطتها، ويعلل ذلك بقوله: "إماطة الأذى عن الطريق صدقة".[٣]

تكون الكتاب من تمهيد وثلاثة أبواب:

التمهيد: ابتدأ فيه بالتأصيل للموضوع، وذلك بذكر أهم المؤلفات التي تحدثت عن اتجاهات ومناهج المفسرين في العصر الحديث بصورة نقدية، بين في تقديمه لهذه الكتب أبرز ما وصلت إليه وما في هذه الكتب من سلبيات.

ومن ثم انتقل في **الباب الأول: (التفسير معناه وأنواعه ومراحله)** للحديث عن تاريخ التفسير ونشأته ومعناه وأنواعه، ومراحله وأقسامه: "التفسير بالمأثور، والتفسير بالرأي"، وتحدث فيه كذلك عن الإسرائيليات، وخطرها وموقف العلماء منها، وقد تكون هذا الباب من خمسة فصول.

الباب الثاني: (أسباب اختلاف المفسرين) تحدث عن أسباب اختلاف المفسرين، وهنا نرى أنه تخصص بشكل أكبر، وبدأ في التعمق في الموضوع وتفريعاته ونتائجه، وقد أخذ منه ذلك ثلاثة فصول، ثم تحدث في الفصل الرابع عن تذوق القرآن وفهمه ولمن أراد ذلك فلا بد له من التعمق

---

[١] عباس، فضل حسن، المفسرون أساسياتهم واتجاهاتهم، بتصرف ص٥

[٢] نفسه، ص٦

[٣] نفسه، ص٦

في العربية، فأشار فيه إلى احتمال الكلمة لأكثر من معنى، وأن الاختلاف في الإعراب ناشئ عن اختلاف العلماء في فهم المعاني، ومن ثم تناول أنموذجاً تطبيقياً يبين اختلاف المفسرين، وكان النموذج آيات من (سورة الحج)، تبين ما تحدث عنه مسبقاً عن أسباب اختلاف المفسرين.

الباب الثالث: (اتجاهات التفسير) تناول فيه اتجاهات المفسرين فتحدث عن أبرز الاتجاهات التي ظهرت في هذه النهضة التفسيرية، ومن أبرزها الاتجاه البياني، والاتجاه الفقهي، والاتجاه العقدي، والاتجاه العلمي والموضوعي، ومن ثم تحدث عن التفسيرات المنحرفة.

تحدث في كل اتجاه عن معناه وخصائصه، والموضوعات المتعلقة به، وأبرز من ألف فيه، ونماذج تطبيقية منتشرة في الفصول المتحدثة عن الاتجاهات،وكان يحلّل وينقد ما وصل إليه العلماء في الاتجاهات التفسيرية المختلفة، فأصبح الكتاب دراسة شاملة لاتجاهات التفسير في العصر الحديث، ومن شموليتها حديثه عن الاتجاهات المنحرفة في التفسير، وسبب انحرافها.

وأخيرا فإن اتجاهات التفسير ما هي إلا دراسة للتفسير واستخراج ما فيها من مميزات وخصائص ميزت دراستها وفهمها، والجزئية التي تناولتها في القرآن الكريم، وهذا أعظم دليل على عظم القرآن الكريم وشموليته، وأنه كتاب لا ينضب، ولا تنتهي عجائبه وموضوعاته التي تخدم الإنسان، وتعمل على إنضاجه للقيام بوظيفته الكبرى: الخلافة و إعمار الكون، ودليل كذلك على اهتمام المسلمين بالقرآن الكريم وعظم عنايتهم به، فنرى تفاسير إنبثقت منها اتجاهات، ومن هذه الاتجاهات خرجت مدارس تفسيرية لها منهاج تقوم عليها ويميزها عن غيرها من الدراسات القرآنية المختصة بالتفسير.

كتابه المفسرون مناهجهم ومدارسهم تحدث فيه عن المفسرين، وقد درسهم من حيث مدارسهم والصبغة التي عرفت بها تفاسيرهم، وهذا ما ذكره في مقدمة كتابه[١] وقد قام بتقسيم الكتاب إلى أربع مدارس: المدرسة الأولى: المدرسة العقلية الاجتماعية (مدرسة المنار) والمؤلفة من: المؤسس محمد عبده، وتلميذه محمد رشيد رضا، ومن سار على نهجهم في التفسير من المفسرين، وذكر منهم خمسة مفسرين، وخلال عرضه لهم تحدث عن كل مفسرٍ منهم مستعرضاً جزءاً من حياتهم ومؤلفاتهم، ومنهجهم في التفسير، ونماذج تطبيقية تدلل على ما ذكره، ونلحظ أنه لم يأخذ بعين الاعتبار وجود تفسير كامل لمن تحدث عنهم من المفسرين أم لا؛ لأنه من الملاحظ أنه تحدث عن بعض العلماء الذين كان لهم تفسير لمجموعة من السور دون القرآن الكريم كله، لكن كان منهجهم متسقاً مع القواعد التي تحكم كل مدرسة من المدارس، فدخلوا تحت مظلتها، ثم

[١] عباس، فضل حسن، المفسرون مدارسهم ومناهجهم، ص٥

تحدث عن المدرسة الثانية المدرسة العلمية الكونية وهي التي اختصرها في حديثه عن الشيخ طنطاوي جوهري في تفسيره جواهر التفسير، وهنا يتبادر إلى الأذهان تساؤل يطرح نفسه وهو لماذا تحدث عن مجموعة من العلماء عند تناوله لبعض المدارس ومنهم من لم يكن له تفسير؟ والإجابة في نظري أن هذه التفاسير تميزت بميزات هذه المدراس دون غيرها .

وفي كل مرة يعرف بأصحاب المدرسة ومؤلفاتهم ونهجهم، وما تميزوا به، ويرد على بعض ما جاؤوا به، ويشيد ببعض ما تميزوا به.

كذلك تحدث عن المدرسة الثالثة المدرسة التربوية الوجدانية وتمثلت بالظلال: (في ظلال القرآن) للشهيد المفسر سيد قطب رحمه الله، وقد أطلق هذا المسمى على هذه المدرسة لما اتصفت به من اهتمامها بالإنسان بشكل أساسي، وننقل عنه رأي الأستاذ سيد قطب في القرآن: "أن مادة القرآن التي يعمل منها هي الإنسان ذاته، تصوره واعتقاده ومشاعره ومفاهيمه وسلوكه وأعماله وروابطه وعلاقاته "،[١] وعند توضيح هذه العناصركلها يتربى الإنسان تربيةً ربانيةً، مع تحريك الوجدان؛ لأن المخاطب في تفسيره هي روح الإنسان، ووجدانه المحرك للجسد والمسير له.

وقد تحدث من خلال هذه المدرسة بعد التعريف بسيد قطب، عن منهجه في التفسير وأقام نماذج على ذلك، كذلك أشار إلى خصائصه المميزة له، وقد ردّ بعض الاتهامات على التفسير وصاحبه، ومنهجه في الإشارة الى التفسير الموضوعي، والنظر إلى أن لكل سورة من سور القرآن موضوعاً خاصاً بها، وكذلك هي تشترك مع السور الأخرى بموضوع رئيس هو موضوع القرآن الكريم، وهو الإنسان وكل ما يختص به.

ثم في الفصل الرابع تحدث عن المدرسة الجمهور وهي آخر المدارس التي تكون منها التفسير في العصر الحديث في نظره، وقد قسم مدرسة الجمهور إلى أقسام ذكرها في المقدمة لكنه لم يذكرها كلها، وادخرها للقسم الثاني من الكتاب الذي وافته المنية قبل إتمامه، والمفسرون الذين أراد أن يدرس تفاسيرهم في القسم الثاني من الكتاب وقد ذكرهم في مقدمته.[٢]

أما عمن ذكرهم في هذا الكتاب فقد تحدث عن التفاسير المنهجية، وتحدث فيها عن التفسير الوسيط للطنطاوي والكومي، وفي تناوله للتفاسير التقليدية التي أخذت الشكل المطول والمختصر على هامش المصحف تفسير الأستاذ محمد فريد وجدي، والسعدي في تفسيره (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان)، للشيخ عبد الرحمن السعدي وتفسير الشيخ حسنين مخلوف، ومن

---

[١] عباس، فضل حسن،المفسرون أساسياتهم واتجاهاتهم، ص٣٧١
[٢] نفسه، ص٧- ص٨

التفاسير المطولة تحدث عن تفسير القاسمي، وتناول من التفاسير التي امتازت بالنمط الدعوي وكانت عبارة عن مقالات في الصحف كما يقول، تحدث عن تفسير ابن باديس، وتفسير الشيخ حسن البنا، والأستاذ محمد خضر حسين.

وقد ارتضى لهذه المدرسة أن تكون مدرسة الجمهور لعدم مغالاتها وتوسطها واعتدالها عما امتازت به المدارس الأخرى، فمثلاً هي استخدمت العقل لكنها لم تتمادَ في استعماله، وردت بعض الأحاديث؛ لكن ليس بالشكل الذي بان في المدارس الأخرى، واتصف بعضها ببعض صفات (ظلال القرآن) لكنها لم تتشكل بصبغته، كذلك أخذت ببعض الحقائق العلمية لكنها لم تكن العنصر الرئيس الذي قام عليه التفسير، لذلك سميت بمدرسة الجمهور،[1] ورأينا أنها أقسام، لكل قسم مميزاته الخاصة التي لم تخرجه عن الصفة الأم، وهي الصفة التي اتصفت بها مدرسة الجمهور بشكل عام.

وبهذا ينتهي الكتاب، وهو مكون من ألف صفحة تقريباً، نهج في دراسته للمدارس التفسيرية دراسة أبرز المفسرين، وما تميزوا به في دراستهم للقرآن الكريم، وقام بدراسة المنهج الذي ساروا عليه والعناصر المشتركة بينهم، ومن خلالها بين أبرز التفاسير في العصر الحديث، متحدثاً عنها بصورة شاملة، فنرى هذه الدراسة عظيمة الفائدة لطلاب علم التفسير؛ إذ إن هذه السلسلة تأتي بعد كتاب التفسير والمفسرون، وقد جاءت أشمل منها وأعمق، وكنت أتمنى لو أنجز رحمه الله القسم الثاني، لتكون هذه الدراسة هي الدارسة الأشمل لتاريخ التفسير ومناهج المفسرين في العصر الحديث، فهي أصلت لعلم التفسير، ثم ألحقتها بدراسة تطبيقية شملت أغلب التفاسير في العصر الحديث.

---

[1] نفسه، ص٦

المطلب الثاني

منهجه في كتابه التفسير أساسياته واتجاهاته

منهج الدكتور رحمه الله الذي سار عليه في هذه السلسة تمثل في الحديث عن أهم القضايا التي طرحها فيه، وتوضيح موقفه منها، وكيفية معالجته لها، ففي حديثه عن مناهج المفسرين قدم عرضاً موجزاً لأهم المؤلفات التي كتبت في اتجاهات المفسرين في العصر الحديث،عنون له بـ (جهود الكاتبين في هذا المضمار)، لكن الملفت في هذا التمهيد هو أنه بعد أن تحدث عن هذه المؤلفات التي استغرقت حوالي مئة صفحة، تناول فيها ما كتب وصفاً وتحليلاً ونقداً لما جاء فيها قال: **"وأي جهد بعد هذا الحشد "**، وهنا تتجلى **موضوعيته**، وتنبيه القارئ للهدف الذي من أجله ألف الكتاب، وهذا العنوان لا نراه كثيراً، لكن المطلع على مؤلفاته لا يعد ذلك غريباً؛ إذ هو لا يؤلف إلا إذا كانت الحاجة ملحة إلى التأليف، ولا بد من التنبيه ولفت النظر لبعض الأمور العالقة أو التي أصبحت من المسلمات كما يقول في حديثه،[١] و قد بين الأسباب التي دعته للتأليف، وسأنقل كلامه هنا، يقول: " ...ولكن هذه الكتب السابقة كان بعضها قد اقتصر فيه مؤلفه على المقدمات والمبادئ، وبعضها كان الحديث فيها مجملاً، وبعضها لم يعرض أصحابها إلى التفسير في العصر الحديث، إلا عرضاً موجزاً، وبعضها كان نهج المؤلفين فيها منهجاً وصفياً فحسب ".[٢]

ويبين أن أغلب من درس المناهج درسها من الناحية الوصفية، وذكر أن منهجه الذي سيسيرعليه في كتابه هو المنهج التحليلي، يحرص فيه على مناقشة الأقوال، شارحاً للقضايا ومفسراً لها، مبيناً لسلبياتٍ وإيجابياتٍ يجب على القارئ الانتباه إليها، وكل ذلك بدراسة موضوعية لمناهج المفسرين في العصر الحديث.[٣]

المنهج التأصيلي:

منهجه في تعامله مع المفاهيم والمصطلحات الأساسية في الموضوع ، فقد تحدث عن التفسير والتأويل والفرق بينهما، فذكر أن التأويل أدق وأخص من التفسير؛ لأن التأويل هو الفهم الدقيق وقراءة ما وراء النص، أمّا التفسير فإنه الفهم البسيط للنصوص الذي يتمحور حول الروايات الصحيحة التي قيلت في النص، وتفسير الكلمات من حيث اللغة، ونرى أنه قد عارض الألوسي فيما ذهب إليه بأنه لا فرق بين التأويل والتفسير لغةً، وإنما الفرق عرفيٌّ بما تعارف عليه

---

[١] عباس، فضل حسن، التفسير أساسياته وإتجاهاته، ص١٠٢
[٢] نفسه، ص١٠٢
[٣] نفسه، ص١٠٢

الناس، وقد ردّ عليه بأن هناك فرقاً بينهما من الناحية اللغوية، وكذلك العرفية، فإنّ المعنى في زمن الألوسي يختلف عنه في زمننا هذا، مع إظهاره الاحترام الشديد في معارضته.[١]

وفي حديثه عن قول ابن عباس الشهير في أنواع التفسير نرى بوضوح **منهجيته في دراسته للأحاديث سنداً ومتناً**، يبين أن الروايات التي قيلت فيه ضعيفة، وذلك استناداً لأقوال علماء الحديث، وهنا نرى **تقديمه لأقوال العلماء** وردودهم إن توافرت،[٢] قال الطبري: حدثنا محمد بن بشار، قال: حدثنا مؤمّل، قال: حدثنا سفيان عن أبي الزناد، قال ابن عباس: التفسير على أربعة أوجه: وجه تعرفه العرب من كلامها، وتفسير لا يُعذر أحد بجهالته، وتفسير يعلمه العلماء، وتفسير لا يعلمه إلا الله.[٣]

وقد ردّه من حيث المتن ومن حيث السند، وقال: إن هذه الرواية تتناقض مع ما وصلنا عن ابن عباس من قوله، إنّ المتشابه يعلمه الراسخون في العلم، وهذا يتناقض مع ما قاله في هذه الرواية، يقول إن الطبري وأحمد شاكر سكتوا عن هذه الرواية لصحتها بنظرهم من جهة السند، لكن الدكتور ردّها لأسباب ذكرها من حيث السند، وكذلك رفضها من حيث المتن، وقد ذكرتُ السبب وراء الردّ في السابق وهو تناقض ما جاء في المتن مع ما اشتهر عن ابن عباس.[٤]

وهنا نرى أنه ردّ روايةً مشهورٌ صحتها، وقد ردّها سنداً ومتناً، مستنِداً في ذلك إلى أدلّةٍ منطقيةٍ تؤيد ما ذهب إليه، فإذا توافرت الأدلّة فلا بدّ من الردّ حتى لو اشتهرت بين العلماء.

تحدث عن البعد التاريخي لعلم التفسير، والمراحل التي مر بها بدءاً بزمن النبي عليه السلام ، وقد قام بدراسة هذا البعد بالتحليل والنقد .

أما المحور الأول الذي طرقه وبعد حديث طويل يبيّن أن النبي عليه السلام لم يفسر القرآن كاملاً،[٥] مستدلاً على ذلك بأحداث السيرة النبوية، وروايات الصحابة واختلافهم في التفسير؛ فلو أنّ القرآن فُسّر كاملاً من النّبيّ عليه السلام لما وجدت الحاجة للاختلاف، وكذلك أدلّة منطقية وهذا ما استنتجته من كلامه ولم يقله صراحة، وهي أن النبي عليه السلام لو فسر القرآن كاملاً لما جُعل القرآن صالحاً لكل زمان ومكان، وما كان المعجزة الخالدة لأن إعجازه يكمن في أنّ معانيه متجددةٌ

---

[١] عباس، فضل حسن، التفسير أساسياته وإتجاهاته، بتصرف ص١١٠
[٢] نفسه، ص١١٣-١١٤
[٣] نفسه، ص١١٣- انظر: ابن جريرالطبري، أبي جعفر محمد بن يزيد، جامع البيان تأويل آي القرآن تفسير القرآن، مقدمة التفسير، ص٤٠
[٤] عباس، فضل حسن، التفسير أساسياته وإتجاهاته، ص١١٤-١١٥
[٥] نفسه، ص١٣٧

صالحة، وألفاظ القرآن متعددة المعاني، فلو أنّ النبي عليه السلام فسّره كان الواجب الاقتداء والالتزام بما فسر النبي عليه السلام، ولن يوجد مجال لاجتهاد، ولكان تفسيراً توقيفياً.[١]

أما المحور الثاني وهو الوسائل المعتمد عليها في التفسير، فكانت تتمحور حول اللغة، وتفسير القرآن بالقرآن،[٢] وتفسير القرآن بالسنة النبوية، وقد بيّن ذلك بسرد بعضٍ من الأمثلة التوضيحية.[٣]

وذكر أنه بعد وفاة النبي عليه السلام وانقطاع الوحي بدأ عهد الصحابة، وبدؤوا يفسرون ما لم يعرفوه من القرآن الكريم بالأدوات المتوفرة عندهم لمعرفة القرآن وأهمها الاجتهاد، واجتهادات الصحابة هي من أكبر الأدلة على أن النبي عليه السلام لم يفسّر القرآن كاملاً، والمصادر التي اعتمدوا عليها في تفسيرهم للقرآن الكريم هي كما ذكر القرآن الكريم، السنة النبوية الصحيحة، اللغة، الاجتهاد،[٤] قول الصحابة بأسباب النزول.[٥]

وقد طرح في حديثه عن التفسير في عصر الصحابة بعضاً من القضايا منها أسباب قلة الروايات عن الصحابة رضي الله عنهم، وقد أجاب عن ذلك بقوله: إنهم كانوا يفسرون عملياً حسب ما تقتضيه الوقائع والأحداث، وسلامة لغتهم وسليقتهم،[٦] وقد بين ذلك بتحقيقه للمسألة تحقيقاً علمياً، فبعد البحث والنظر في أقوال العلماء وما أورده في كتبهم من روايات، وجد أن الصحابة الذين اشتهروا بكثرة الروايات كانوا من المقلين، وقد بين ذلك بإحصائه لما جاء في أكثر الكتب التي ذكرت روايات الصحابة، وبعد الإحصاء خرج بهذه النتيجة، فهنا نرى أنه حقق في هذه المسألة بطريقة علمية موضوعية، فقد جمع وأحصى، وخرج بالنتائج من دراسته لما كتب، وهذا دليلٌ علميٌّ لما ذهب إليه، وكذلك زاد في التوضيح بإلحاق الموضوع بمثال تحدث فيه عن ابن عباس وبيّن أنه لم يرد عنه إلا مئة حديث ونيف.[٧]

بين رحمه الله أن أسباب ضعف التفسير في عصر التابعين قيام المفسرين بحذف الأسانيد، وكان من أهم نتائجها ظهور الإسرائيليات، وأول من سنّ هذه السنة (مقاتل بن سليمان) الذي ذكر الروايات بدون أسانيدها؛ مما أدى إلى عدم معرفة صحتها من عدمه، وهكذا بدأ ظهور

---

[١] عباس، فضل حسن، التفسير أساسياته واتجاهاته، بتصرف ص١٣٨-١٤٤
[٢] نفسه، ص١٢٧
[٣] نفسه، ص١٣٠
[٤] نفسه، ص١٤٥
[٥] نفسه، بتصرف ص١٥٧
[٦] نفسه، ص١٤٩
[٧] نفسه، بتصرف ص١٤٥-١٤٨

الإسرائيليات التي تمتاز بعدم ذكر الأسانيد، فنأخذها دون معرفة أصلها أو قائلها، ومن أسباب الضعف الخلافات المذهبية والذي أدى إلى ظهور (الوضع) للانتصار للمذهب.[١]

وذكر رحمه الله أنه آثر أنْ يطلق مصطلح المدارس على ما ظهر في عصر التابعين من اختلاف في طرق التفسير بينهم ، ويعلل ذلك بأنّ مصطلح (المدارس) يطلق على الاتجاه الذي انفرد بقواعد وأسس تميزه عن غيره[٢]، ويرى أنَ ما ظهر من اختلاف في طرق التفسير لم يصل لحد يتوجب علينا فيه إطلاق مصطلح المدرسة عليه في ذلك العصر.

وكذلك فإنه **ردّ على الشبهات** التي تختص بالموضوع الإسرائيليات، وأكّد على أنه في عهد الصحابة لم تكن الإسرائيليات جزءاً من مصادر التفسير،[٣] وكان السبب الرئيس وراء ذلك النهي الذي ورد عن النبي عليه السلام في الأخذ من أهل الكتاب.[٤]

والمنهج المتبع في تحقيق المسائل التي ساقها في حديثه عن التفسير في عهد الصحابة:

أولاً: ذكر أهم القضايا التي تتصل بالمسألة، والتي تحتاج إلى توضيح وتنبيه.

ثانياً: اعتماده في تحقيقه للمسائل على السنة الصحيحة والدليل العقلي.

ثالثاً: نقد بعض الروايات سنداً ومتناً، مستنِداً في ذلك على أدلة روائية وعقلية.[٥]

رابعاً: الردُّ على بعض الشبهات،حيث تراوح الردّ بين العقلي والاعتماد على واقع الصحابة رضي الله عنهم.[٦]

خامساً: الإتيان بأمثلة توضيحية تبين أشكال التفسير في عصر الصحابة.[٧]

سادساً: الموضوعية.[٨]

---

[١] نفسه، ص١٧١-١٧٢
[٢] نفسه، ص١٧٠
[٣] نفسه، ص١٥٩
[٤] عباس، فضل حسن، التفسير أساسياته ومناهجه ، ص١٥٨-١٥٩
[٥] نفسه، ص١٥١
[٦] نفسه، ص١٥٢
[٧] نفسه، ص١٦٠-١٦٧
[٨] نفسه، ص١٤٦

المنهج النقدي:

ومن الأمثلة على اتباعه المنهج النقدي حديثه عن التفسير بالمأثور ،فعرّفه على أنّه ما كان بياناً لمناسبة نزلت فيها الآية، أو توضيحاً لمعنى بيّنه النبي عليه السلام، أو قولاً أجمع عليه الصحابة ممّا كان له حكم المرفوع، ويشمل هذا أسباب النزول،[١] ويخرج ما دون ذلك من مصادر التفسير بالمأثور التي اصطلح عليها من قبل بعض العلماء.

ونرى منهج الدكتور واضحا في تحقيقه للقضايا والترجيح بينها في حديثه عن التفسير بالمأثور يقول: إن التفسير بالمأثور أُدخل فيه اجتهادات الصحابة والتابعين، وتفسير القرآن بالقرآن، وبيّن تعليقاً على هذه الأقوال: "أن خيريّة هذه القرون لا تفرض علينا أن نقبل ما كان اجتهاداً على أنه نص لا يمكن مخالفته، ويقول: إننا لا نملك دليلاً مقطوعاً على صحة إدخال هذا الكم الهائل من الروايات المتفقة حيناً والمختلفة أحياناً "،[٢] لكنه بعد عرض آراء العلماء فيه بين أن التفسير بالمأثور هو ما صح عن النبي عليه السلام، ويدخل معه اللغة والقراءات الصحيحة وغير ذلك يعتبر من التفسير بالرأي، ويبين أن المصطلح لم يكن موجوداً في القرون الأولى، وهو مصطلح درج بعد تسمية السيوطي لتفسيره "بالدر المنثور في التفسير بالمأثور"، وقال: إن الأفضل تسمية هذين النوعين من التفسير بالمنقول والمعقول وهنا نجد تحديدا أكثر من ذي قبل.

وفي حديثه عن تفسير القرآن بالقرآن اعتبره نوعاً قائماً بذاته، فإنه بحاجة إلى إعمال فكر وتأمل وتدبر، ويبين أن تفسير القرآن بالقرآن يجب أن ينحصر بتقيد مطلق أو تخصيص عام وبيان مجمل، وغيره يؤدي إلى إغفال السياق وهو من أهم دعائم التفسير، وكذلك يؤدي إلى القول بتكرار معاني القرآن الكريم، والحقيقة أنه لا وجود للتكرار، وأن السبب وراء هذا الاعتقاد عدم اكتمال الصورة، فكلّ مرة يذكر القرآن فيها الحادثة يذكرها بطريقة توضح معنىً آخر لم يذكر في الموقع الأول.[٣]

ويظهر منهجه النقدي في حديثه عن التفسير بالمأثور، والردُّ على بعض الشبهات التي أثيرت حوله، ردّ عليها بالدليل النقلي والعقلي، وقد بيَن القضية المتعلقة بعبارة الإمام أحمد بن حنبل التي تقلل من شأن التفسير وهي قوله: "ثلاثة لا أصل لها: المغازي، والملاحم، والتفسير"، وردّ على ذلك بذكر أقوال العلماء ومنها أن الإمام قصد جزئيات هذه العلوم ولم يقصد في هذا القول الحكم عليها، وكذلك ما قيل إن الذي أريد من قولته كتب بعينها في التفسير وليس العلم، ومنهم من قال:

[١] فضل عباس، التفسير أساسياته وإتجاهاته، ص١٨٣
[٢] نفسه، ص١٨٤
[٣] نفسه، بتصرف ص١٨٧-١٨٨

إن هذا يختص بالإمام أحمد، والذي عرف عنه أنه قال في بعض الأحاديث إنها مردوة وهي مقبولة، وهذا يعتبر من اجتهاداته وترجيحاته وهذا ما رجحه رحمه الله، وقد بين قبل حديثه عن معنى العبارة قوله: إننا نأخذ بهذه الأقوال في العبارة إذا صحّ نقلها عن الإمام أحمد.[١]

ومن القضايا التي طرحها في حديثه عن التفسير بالمأثور، هل لتفسير الصحابة حكم المرفوع كله أم لا؟!.

يجيب عن هذا التساؤل الخطير بقوله: إنه يجب علينا أن نتثبت من رواية الصحابي للرواية، وأن ليس لها صلة بالإسرائيليات، وأخيراً أن نتثبت أنها مما لا مجال فيها للرأي.

علينا أن نتأكد وندرس الروايات دراسة وافية من الناحية النقلية والعقلية؛ للتأكد أنها ليست من اجتهادات الصحابي، وقد ضرب مثلاً على ذلك رواية ابن عباس في قضية تنزل القرآن الكريم وروايته المشهورة التي تحدث عنها في الفصل الأول والتي وصل فيها إلى أنها من اجتهادات ابن عباس رضي الله عنه، وليست من الروايات التي لها حكم المرفوع كما اشتهر، وذلك لأسباب منها: أن القضية لم يتحدث بها النبي عليه السلام، ولا الصحابة مع أنها مسألة خطيرة تتصل بالقرآن الكريم، فكيف لا يتحدث عنها النبي عليه السلام لصحبه الكرام، ولم لا يمكن أن تكون هذه القضية من فهم ابن عباس للآية واجتهاده فيها؛ لأن من قال بإعطائها حكم المرفوع كان دليله أن هذه القضية لا مجال للرأي فيها، وهذا عكس ما فهمه رحمه الله من الرواية خصوصاً أن أدلتهم غير كافية، وهي اجتهادية ولا يوجد دليل قاطع على ذلك.

يقرر رحمه الله أن الروايات التي رويت عن الصحابة رضوان الله عليهم ليست كلها لها حكم المرفوع إلى النبي عليه السلام.[٢]

ويظهر منهجه النقدي كذلك في حديثه عن **التفسير بالرأي** وقد عبر عنه بالاجتهاد، يقول ليس كل اجتهاد مقبول؛ ففيه المقبول وغير المقبول، ولذلك تم تقسيمه إلى محمود ومذموم، فالرأي المحمود: هو الرأي الذي يستند إلى اللغة والسياق والمأثور، وبعد هذا التوضيح بين أقوال العلماء في التفسير بالرأي، وانقسموا إلى منكرٍ وموضحٍ لمعناه ومجيزٍ له.

وقد بيّن أنّ الاختلاف بين العلماء في التفسير بالرأي هو خلاف شكلي؛ لأنّ الذين يمنعون التفسير بالرأي إنما يعارضون التفسير المذموم المبني على الهوى،[٣] وأنّ ما ساقه بعض الأئمة من

---

[١] فضل عباس، التفسير أساسياته وإتجاهاته، بتصرف ص١٩١-١٩٢
[٢] نفسه، ص١٩٤-١٩٥
[٣] نفسه، ص٢٠٢-٢٠٣

أدلة تمنع الاجتهاد في تفسير الآيات ردّها، ومنها بعض الأحاديث التي ردّ عليها من حيث السند ومن حيث المتن، وبواقع الصحابة، وثبوت اجتهادهم لتفسير الآيات إذا لم يتوفر الدليل النقلي عن النبي عليه السلام.[١] ومن ثم يعرض لتقسيم آخر للتفسير: وهو باعتبار كيفية دراسته ومن هذه الأنواع: التفسير الموضوعي، وهو تفسير آيات القرآن على حسب موضوع السورة أو مجموعة آيات، وهناك التفسير التحليلي، والتفسير الإجمالي، والتفسير المقارن، والتفسير الإذاعي،[٢] وذكر أن دعائم التفسير بالرأي ثلاثة: المأثور، واللغة، والسياق.[٣]

ذكر رحمه الله ما قاله السابقون من باب الإنصاف والتحقيق العلمي الصحيح، وبين أن أسباب الاختلاف تنحصر في الاختلاف الراجع إلى اللغة والقراءات، أو الراجع إلى الرأي والاجتهاد، أما مقيدات الاختلاف فهي: السياق، وصحيح اللغة، وصحيح السنة النبوية.

وبين أن الاختلاف ظاهرة صحية، تنم عن تحريك للعقل والفكر وتنميته، والسعة في القرآن الكريم إناء للحركة التفسيرية.[٤]

ومما قاله العلماء: إنه من أسباب الاختلاف ما صح عن النبي عليه السلام، وقد رفض هذا وردّ عليه بأنه لا يمكن أن يكون تضاد بين أقوال النبي عليه السلام، وإنما هو اختلاف تنوع لا تضاد فيه،[٥] وكذلك الاختلاف الناشئ عن القراءات الصحيحة واللغة حيث لا يوجد تناقض، وقد أتبع هذه الدراسة نموذجاً يبين اختلاف المفسرين في بعض آيات سورة الحج.[٦]

ومن الأمثلة التي توضح منهجيته حديثه عن الاتجاه العلمي والرد على المانعين له فقد ربط بعض الأئمة أمية الأمة بأمية التشريع، وقد ردّ عليهم بهذه المقولة وهي كافية للرد: "فلا يشترط في أمية الأمة أمية الرسالة، وخصوصاً لما تحمله من صفة العالمية، وهي صلاحها لكل زمان ومكان، والذي أورد هذا القول استدل به لمنع التفسير العلمي، وسبب المنع أن النبي والصحابة لم يفعلوا ذلك.

---

[١] فضل عباس، التفسير أساسياته وإتجاهاته، ص٢٠٤-٢٠٥
[٢] نفسه، ص٢٠٦
[٣] نفسه، ص٢٠٧-٢١٣
[٤] نفسه، بتصرف ص٣٩٤
[٥] نفسه، ص٢٧٧
[٦] نفسه، بتصرف ص٣٧٧-٣٩١

ينسب الفضل إلى أهله؛ فقد ذكر أن مدرسة الإمام أسهمت في هذا اللون من ألوان التفسير، وأنكر على من قال إن مدرسة الإمام محمد عبده كانت من المانعين للتفسير العلمي بأمثلة توضيحية.[١]

وقد قدم أقوال السابقين في التفسير العلمي مبيناً الشروط التي وضعها لقبول التفسير العلمي منها: عدم الخروج من الحقيقة إلى التأويل إلا بالدليل، وأن لا يفسر إلا بالحقائق العلمية ويأتي بأمثلة على ذلك، ونلحظ أنه بالإضافة إلى ذكره آراء العلماء وتفنيدها وذلك بالتحليل والنقد ومن ثم الترجيح[٢]، فإنه كذلك يأتي بالنماذج ويعلق عليها ولا يكتفي بذكرها، وهذه النماذج تكون من التفسير الصحيح والمنحرف المتعلق بالتفسير العلمي.[٣]

وبعد هذا التوضيح الشامل للاتجاه العلمي جاء بنموذج يظهر التفسير العلمي للآيات الكونية للأستاذ (حنفي أحمد)،[٤] تحدث عن منهجه، ومن ثم نماذج من تفسيره للآيات الكونية، وذكر ملحوظات حول تفسيره للآيات العلمية، وبيَن أخيراً أن الكتاب محاولة جديدة في عصر العلم والتقدم المادي، وقد أراد منه أن يقرب معاني القرآن لذوي الثقافة الحديثة.[٥]

ويبن رأيه في التفسير العلمي فيقول: "إن التفسير العلمي ضرورة تتطلبها هذه الفترة الزمنية التي نعيشها ...إن القول بأن التفسير العلمي فيه غض من قدر الصحابة لا أخاله متفقاً مع منطق الواقع ومسلمات العقل، إن القرآن ليس ديوان شعر ...وإنما القرآن كتاب الله ما دامت الإنسانية".

وقد جاء بنماذج مقبولة، وأخرى غير مقبولة لم تأخذ بشروط التفسير العلمي المتفق عليها من قبل جمهور العلماء .[٦]

ومن الأمثلة التي تظهر طريقته في الترجيح حديثه عن معنى الاتجاه الموضوعي، وذلك بعرض ما قاله العلماء فيه، وخلاصة ما قالوا تكمن في أنه هو البحث في مجموعة من الآيات ذات الموضوع الواحد وتفسيرها وفق هذا الموضوع الجامع لها.

وفي الحديث عن أشكاله بيَن أن هناك ثلاثة أشكال وهي: **الموضوع القرآني:** يكمن في تجميع آيات قرآنية في موضوع معين، **والسورة القرآنية:** أن تحمل السورة الواحدة موضوعاً واحداً يجمع فيما بينها من آيات، ومن رفضوا هذا النوع بدعوى التكلف قالوا: إن السورة القرآنية وحدة

---

[١] نفسه، بتصرف ص٥٨٢-٥٨٥
[٢] نفسه، ص٥٨٧-٥٩٤
[٣] نفسه، بتصرف ص٦١٠-٦١٥
[٤] نفسه، ص٥٩٥-٦٢٢
[٥] نفسه، بتصرف ص٦٢٢
[٦] نفسه، ص ٦٢٧-٦٤٢

عضوية، بمعنى أن فيها موضوعات وقضايا يتمم بعضها بعضا لكن هناك بعض السور فيها وحدة موضوعية لكن لا نعمم حتى لا نقع بالتكلف وهذا ما رجحه،[١] أو **المصطلح القرآني أو اللفظة القرآنية** يقول فيها: "وهذا اللون ..يختص بالمصطلحات والمفردات، فالباحث يختار لفظة من ألفاظ القرآن، ويتتبعها من خلال الآيات والسور بحيث يجمع اللفظة بكل اشتقاقاتها وتصاريفها، ثم يحيط بتفسيرها مستنبطاً الدلالات واللطائف في ورود هذه اللفظة على ما وردت عليه".[٢]

وقد رجّح الشكل الأول من هذه الأشكال الذي يختص في الموضوع القرآني، يقول: "والذي أطمئن إليه أن ما يسمى تفسيراً موضوعياً هو اللون الأول، وهو أن يؤخذ الموضوع الواحد حسب آي القرآن الكريم ".[٣]

يقول في توضيح رأيه في هذا الاتجاه: "والذي ارتأيته أن يجمع بين الطريقتين في التفسير: أعني التفسير التحليلي والتفسير الموضوعي، فنُوفِيَ الموضوع حقّه من جهة، ونحلل ألفاظ الآيات من جهة أخرى، فلا يحرم القارئ من كلا الهدفين وكلاهما مفيد لا يُستغنى عنه"[٤].

وفي تناوله للتفاسير المنحرفة نرى الموضوعية في الردّ على الشبهات ذكر أن السبب وراء عدم تسمية هذا الفصل بالاتجاه أن بعض العلماء لم يقصد أن يكون الانحراف منهجه وهذه قمة الموضوعية.[٥]

وبيّن أن السبب وراء الانحراف هو المستشرقون والمستغربون، يقول: إن المستشرقين كان لهم بعض الإيجابيات عكس أبناء جلدتنا الذين يدّعون أنهم يريدون توضيح الصورة الصحيحة للقرآن وهذا زعم باطل،[٦] وقد ذكر بعضاً منهم ومما جاءوا به، ثم يذكر أن مدرسة الإمام التي لم يخلُ اتجاه من تأثيرها فيه، وكذلك كان لها أثر في الانحراف وإن لم يكن منهجها، وقد أكد على ذلك في حديثه والسبب وراء ذلك كان بسبب بعض آراء المدرسة وتفسيرها لبعض الآيات، وبعد أن يذكر أسباب الانحراف وبعض رجالاته، يأتي بأقوالهم وشبههم ويردَ عليها بالدليل النقلي والعقلي والواقعي.[٧]

---

[١] عباس، فضل حسن، التفسير أساسياته واتجاهاته، بتصرف ص٦٤٧
[٢] نفسه، ص٦٤٧
[٣] نفسه، ص٦٤٧
[٤] نفسه، ص٦٦٣
[٥] نفسه، بتصرف ص٦٦٧
[٦] نفسه، بتصرف ص٦٦٨-٦٧٢
[٧] عباس، فضل حسن، التفسير أساسياته واتجاهاته، ص٦٧٩-٦٨١

ومن أبرز القضايا التي بثوا فيها شبهاتهم: التفسير العصري للقرآن، وذلك بالقول: بأنه يجب تفسير القرآن تفسيراً تاريخياً أو اجتماعياً، وهذا ما رده وقال: إن القرآن قوة روحية لا يفسر تاريخياً أو اجتماعياً، وكذلك قضية المرأة وما يختص بها من أحكام، و القصص القرآني.[١]

ويبين أن السبب في انحرافهم: الاستناد الى آثار مروية غير صحيحة، أو تنحرف من حيث صرف المعاني عن مدلولاتها اللغوية، وحمل معاني القرآن لتوافق هوى النفس .[٢]

الجانب الأسلوبي :

يظهر في تقسيمه للموضوع إلى جانبا تأصيلي في الكتاب الأول، وتطبيقي في الكتاب الثاني المفسرون مدارسهم ومناهجهم .

تحدث عن التفسير وفق الاعتبار الزمني، ثم نظر إليه رحمه الله باعتبار مصادره، التفسير بالمأثور، والتفسير بالرأي، ثم تحدث عن التفسير وفق الاتجاهات التي ظهرت فيما بعد، وهذا مما يسهل على القارئ تلقي المعلومة.

---

[١] نفسه، بتصرف ص٦٧٨
[٢] نفسه، بتصرف ص٦٨٥

المطلب الثالث

منهجه في كتابه المفسرون مدارسهم ومناهجهم

هذا القسم الثالث من سلسلة اتجاهات المفسرين ومناهجهم في العصر الحديث، بعدما أتم الحديث في القسمين السابقين عن التأصيل للتفسير، وكان بالحديث عن نشأته، والتاريخ الذي مر به، وأنواعه وأساسياته، وشروطه وما فيها من مسائل يجب معالجتها، وبعد هذه المقدمة الطويلة بيّن الثروة التفسيرية التي نتجت من التطور الذي حصل لهذا العلم، ومن أشكال هذا التطور: ظهور اتجاهات استنبطها العلماء من خلال دراستهم للتفسيرات المختلفة، بدأ التطبيق خصوصاً في العصر الحديث وذلك من خلال السير في تفسير القرآن كاملاً، أو جزءا منه على منهج معين له صفاته ومقوماته التي تميزه عن غيره، وبعد دراسته لاتجاهات المفسرين في العصر الحديث بشكل عام انطلق للحديث عن المفسرين وتفاسيرهم، وقد بين في مقدمته أنه اختار في دراسته للمفسرين وتفاسيرهم دراستهم على حسب مدارسهم، وقد عمل على ضم التفاسير للمدارس بحسب تقيد الكاتب بأساسياتها وما يميزها عن غيرها، ويعتبر هذا القسم من السلسة هو الجزء التطبيقي لما تحدث عنه في القسم الثاني من السلسة، وتعتبر دراسة إحصائية، وصفية، تصنيفية للتفاسير التي كتبت في العصر الحديث، ولو أنه أكمل هذا القسم لكانت هذه الدراسة هي الدراسة الأشمل لعلم التفسير، وما يتعلق به في العصر الحديث، وما يؤكد هذا الاستدراكات، والإضافات التي أضافها في هذه السلسة، والتي تفوق الدراسات الأشمل في العصر الحديث، وأشهرها كتاب التفسير والمفسرون للذهبي.

منهجه يظهر في الجانب الأسلوبي :

أشار رحمه الله إلى أنه قد سار في حديثه عن التفاسير من حيث الصيغة التي عرفت بها، وأهم ما يميزها، ومن خلال الحديث عن المدرسة تحدث عن المفسرين المنتمين إليها، من حيث: أزمنتهم، وأمكنتهم، وآراؤهم، والترتيب الذي سلكوه، وهذا مما ذكره في المقدمة.[١]

وقد قسم هذه الثروة التفسيرية إلى مدارس أربعة، وهنا يظهر الجانب الأسلوبي وذلك في حسن تقسيمه للموضوعات:

أولاً: المدرسة العقلية الاجتماعية.

ثانياً: المدرسة العلمية الكونية.

---

[١] عباس، فضل حسن، المفسرون مدارسهم ومناهجهم، ص٥

ثالثاً: المدرسة التربوية الوجدانية.

رابعاً: مدرسة الجمهور.

وكان المنهج المتبع في دراسة المدارس، في الحديث عن تفاسير المدرسة، ومؤسسيها، ومن سار على منهجهم، فمثلاً في حديثه عن المدرسة العقلية الاجتماعية ذكر مؤسسها الإمام محمد عبده، وتناول حياته وتاريخه، وآراءه، وما قال فيه النقاد من علماء الدين، ومن الأدباء المفكرين، وبين آثاره العلمية، وبعد هذه المقدمات ينتقل للحديث عن منهجه في التفسير، وما تميز به من خصائص، والمدارس التي تأثر بها، وأبرز المسائل التي كان اجتهاده فيها مكانته بين العلماء فرافض ومؤيد له، ومن ثم يقوم بتقويم التفسير مبيناً سلبياته، وإيجابياته.

وهذا مسلكه مع كل مفسر من مفسري المدرسة العقلية الاجتماعية، وسائر المدارس، ويجب أن نشير إلى أبرز ما ميّز الكتاب وهو الناحية التطبيقية التمثيلة، فنرى أنه لا يذكر مسألة إلا ويذكر لها أمثلة تبين وتوضح ما قصده.

المنهج النقدي:

أولاً: تقسيمه التفاسير في العصر الحديث لمدارس تميّز كل منها بمميزات .

ثانياً: منهجه في دراسته لهذه المدارس، كان بالحديث عن أبرز التفاسير التي حملت طابعها واستخلاص صفات المدرسة من خلال دراسته لهذه التفاسير.

وذلك في أنه **يؤصل ثم يصف**، ومن ثم يبدأ بتحليل ما ورد، ويميز هذه التفاسير، ويبرز ما وصف به وميزه عن غيره من التفاسير، ثم يبدأ بالنقد للتفسير مقوماً له.

ويبين أنّ المعيار الذي من خلاله تم ضم التفاسير لمدرسة معينة هو السمة الغالبة على التفسير والمميزة له، والتي تتوافق مع مميزات المدرسة، فعند حديثه عن المدرسة العلمية ذكر تفسير الطنطاوي جوهري فقط، وذلك لأن تفسير الجواهر بشكل عام سمته الأولى الاهتمام بالقضايا العلمية وتفسيرها وفق المنهج العلمي في تفسير آي القرآن الكريم؛ لذلك جُعل هذا التفسير عَلَماً على المدرسة العلمية، ويمكن أن يكون لبعض التفاسير مسحة علمية لكنها ليست السمة البارزة فيها، لذلك لم يضمها للمدرسة، لكنه تحدث عنها في حديثه عن الاتجاه العلمي في التفسير وهي المظلة التي تدخل تحت ظلها المدارس.

ونلحظ أنه في هذه الدراسة يفصل ويتوسع في ذكر ما اتصفت به التفاسير وتميزت به، فهي دراسة شاملة ومفصلة للمدارس، وما تضمنته من تفاسير، وهنا لابد من ذكر أنه في دراسته للمدارس لم يأتِ بخصائص المدرسة بشكل عام، ثم تحدث عن أعلامها، وإنما تحدث عن المدرسة من خلال حديثه عن أعلامها وتفاسيرهم، وما تميزوا به، فعلى القارئ أن يعرف خصائص المدرسة من خلال حديثه عن تفاسيرها، والخصائص العامة لهذه التفاسير.

ويرجع السبب وراء التسمية لهذه المدارس وفق الصفة المميزة لها، والسمة الغالبة عليها، فمَن كانت اهتماماته في التفسير تنصب على المجتمع وإصلاحه سميت مدرسته بالاجتماعية، ومن لم تكن هناك سمة تميزه عن غيره وسار في منهجه وفق المنهج التقليدي دخل في مدرسة الجمهور، والتي تضم التفاسير التي لم تخرج في تفسيرها عمّا هو معهود في عرف العلماء القدامى من حيث المصادر، وكيفية تفسير الآيات وتحليلها، والفئة المستهدفة من التفسير.

استدراكاته على الأئمة مع الاحترام الشديد لهم فقد استدرك على الشيخ محمد فريد وجدي ذكره للروايات من غير تخريج لها والحكم عليها [١]،وكذلك فإنه يذكر القراءات من غير تمييز بين صحيح وشاذ [٢]،وقد قال بالتكرار[٣]، ومع هذا فإنه حرص على ذكر فضلهم وجهدهم المبارك في تفسير القرآن العظيم، وكذلك الموضوعية فيما يطرحه وذلك بذكر سلبياته وإيجابياته.

ثالثاً: ذكره لخصائص المدارس التفسيرية في العصر الحديث وفقا لما جاء في كتابه:

من أهم خصائص **المدرسة العقلية** أنها تميزت في تحكيم العقل، ومن ذلك أنها ترد بعض الأحاديث الصحيحة؛ لأنها تخالف ما وصل إليه العقل البشري في ذلك العصر، والعقل البشري محدود، والنص مرسَلٌ من الذي لا تحدّه الحدود؛ فالعقل هو مطواع للنص الصحيح وليس العكس.

المدرسة العلمية: وهي التي تميزت في تفسير آي القرآن وفقاً لما جاء في العلم الحديث، غير مراعية أحياناً للتفسير وفق حقائق علمية أم نظريات لم تثبت بعد.

المدرسة التربوية الوجدانية: التي تعنى بالدعوة إلى تحكيم القرآن الكريم في مناحي الحياة المختلفة، ومحاولة تغيير الواقع المعيش إلى الأفضل، وذلك بالسير وفق منهج القرآن.[٤]

---

[١] عباس، فضل حسن، المفسرون مدارسهم ومناهجهم ،ص٥٥٣
[٢] نفسه، ص٥٥٥
[٣] نفسه، ص٥٦٢
[٤] عباس، فضل حسن، المفسرون مدارسهم ومناهجهم، ص٤١٧-٤١٨

مدرسة الجمهور: وهي المدرسة الأكبر في العصر الحديث، وقد قسمها وفق أنماط لتميز بعضها عن بعض في الجزئيات، وهذا من باب حسن التقسيم ودقته، يقول: "ونعني بمدرسة الجمهور تلك التي لم تغالِ ولم تسترسل ....وعلى هذا فإن جُلّ التفاسير في العصر الحديث يمكن أن نصنفها من هذه المدرسة، أعني مدرسة الجمهور ....ولما كان هذا التصنيف قد يصعب لكثرة هذه التفاسير، فقد رأيت تيسيراً للأمر ومن الله التيسير، وتسهيلاً على القارئ أن نقسم التفاسير في هذه المدرسة إلى أنماط، وأن نميز كل نمط من غيره على الترتيب التالي "[١].

وهذه الأنماط هي التفاسير المنهجية: وهي التي تُدَرّس في الجامعات، التفاسير التقليدية: وهي التفاسير التي تطبع مع المصحف، ومنها التفاسير الطوال، النمط الدعوي في التفسير: وهي التي نشرت في المجلات والصحف، تفاسير ألقاها أصحابها دروساً عى أشرطة ثم فرغت، تفاسير خالف أصحابها المفسرين من حيث الترتيب، وكان ترتيبهم وفق أسباب النزول، بعض تفاسير الفرق من غير أهل السنة.

وأود الإشارة هنا إلى أنه لم يكمل حديثه عن مدرسة الجمهور، ولم يتناول في هذا القسم إلا هذه الأنماط التفاسير المنهجية، والتفاسير التقليدية، وتفسير ابن باديس، وتفسير الشيخ حسن البنا، وتفسير الشيخ محمد خضر حسين مثلاً على التفاسير التي تحمل النمط الدعوي، والأنماط الأخرى التي ذكرها في المقدمة،[٢] كانت في جزء رابع من السلسة لكنها لم ترَ النور.

نلحظ مما سبق :

أنّه رحمه الله استخدم في حديثه عن المدارس التفسيرية المنهج التحليلي النقدي، حيث إنه قسم النتاج التفسيري في العصر الحديث إلى أربع مدارس شملت هذه الثورة التفسيرية حتى مع عدم إتمامها؛ فقد درس كل مدرسة من حيث مؤسسيها، وأساسياتها التي تميزت بها وقواعدها، ونماذج تطبيقية توضح وتظهر الجوانب التي قصدها في دراسته، وقد بيّن من خلال دراسته حسنات كل مدرسة من هذه المدارس وسيئاتها، وذلك بالحديث عن التفاسير التي ضمّتها ودراستها دراسة وافية بيّنت نقاط القوة والضعف متبعاً منهجاً نقدياً يقوم على الحجة والدليل، وكذلك فإننا نرى في الكتاب بعض الاستدراكات على آراء العلماء في تفسيرهم بعض الآيات، ويبين ما تميز به كل تفسير من التفسيرات التي ذكرها، وأثرها على الحركة التفسيرية الحديثة، فكان الكتاب دراسة لمناهج المدارس التفسيرية في العصر الحديث، إبراز

---

[١] عباس، فضل حسن، المفسرون مدارسهم ومناهجهم ،ص٦-٩

[٢] نفسه، ص٩-١٠

ما فيها من حسنات وسيئات،[1] ومن ثم تصحيح ما فيها من أخطاء،[2] معتمداً على الموضوعية، [3] واحترامه العلماء، ومما تميز به رحمه الله النقد البناء المبني على الأدلة الصحيحة من القرآن، وصحيح السنة، والمنطق السليم[4] .

تتصف دراسته لمناهج المفسرين :

أولاً:حسن التصنيف والتقسيم، وجمع المادة العلمية الملاحظ في كل ما كتب.

ثانياً: المنهج النقدي والاستدراكات على بعض العلماء.

ثالثاً: الإتيان بنماذج توضيحية من التفاسير والتعليق عليها.

رابعاً: لم يشترط في دراسته للتفاسير إتمامها لتفسير القرآن الكريم كله، فهناك كثير من التفاسير لم تكتمل، وإنما هي عبارة عن مقالات أو كتب في جزء أو جزئين من القرآن أو بعض السور.

خامساً: دراسته للتفاسير في العصر الحديث وتقسيمه لها كان باعتبار المدرسة، لكنه لم يهمل الجانب التعريفي بكل مفسر وما تميز به تفسيره عن سائر التفاسير في المدرسة ذاتها،[5] والرد على الافتراءات التي ألصقت ببعض التفاسير، واعتبارات أخرى تم ذكرها سابقاً.

سادساً: أنها من أكثر الدراسات شمولاً في العصر الحديث.

سابعاً: بحثت الدراسة في علم التفسير بشكل مفصل آخذةً بعين الاعتبار كل المعايير القائمة عليها، فبدأ بدراسته من حيث المعنى والدلالة، ومن ثم دراسته من حيث المعيار الزمني، وتطوره خلال الفترات الزمنية المتلاحقة، قسمه إلى التفسير قبل التدوين والتفسير في عهد التدوين، ودرسه كذلك من حيث أنواعه باعتبار مصادره إلى التفسير المنقول والمعقول، بحث خلاله في الإسرائيليات وأسباب اختلاف المفسرين، ومن ثم انتقل الى زاوية أخرى من زوايا التفسير، فقد درسه من حيث اتجاهاته والسمة الغالبة عليه، ومن ثم بحث فيه من حيث مدارسه، وهنا نصل إلى القمة في علم التفسير التي تمثلت في وجود مدارس لها أساسيات وقواعد، وتفاسير درست القرآن الكريم كاملاً.

---

[1] نفسه، ص٣٨٠ في الهامش
[2] عباس، فضل حسن، المفسرون مدارسهم ومناهجهم، ص٣٧٦
[3] نفسه، ص٣٣٠- ص٣٣٧- ص٣٣٩
[4] نفسه، ص٣٥١-٣٥٢
[5] نفسه، ص٤٢١-٤٣٠

ثامناً: فرق بين الاتجاهات والمدراس، فالاتجاه سمة غالبة تميز التفسير، لكن المدرسة لها أساسيات وقواعد تنتظم في كل جزئية من جزئيات التفسير.

تاسعاً: كان رحمه الله من أوائل من درس التفاسير من حيث مدارسها، وتقسيماته للمدارس وتفاسيرها كانت من القيمة العلمية المضافة لهذه السلسة ،وهذا ما لم نره في أشهر دراسة في مناهج المفسرين في العصر الحديث التفسير والمفسرون للذهبي[1] فلا نرى في دراسته الشمول والوضح الذي نراه في هذه الدراسه.

عاشراً: التطبيق العلمي الذي شمل كل الدراسة موضحاً و شارحاً لها.

---

[1] انظر:الذهبي، محمد حسين، التفسير والمفسرون: بحث تفصيليعن نشأة التفسير، وتطوره وألوانه ومذاهبه، تحقيق أحمد الزعبي، دار الأرقم، بيروت،١٩٩٧

المبحث الثالث

التعريف بكتابه القراءات القرآنية وما يتعلق بها وبيان منـهجه فيه

المطلب الأول : التعريف بالكتابه القراءات القرآنية وما يتعلق بها.

المطلب الثاني : منهجه في كتابه القراءات القرآنية وما يتعلق بها.

المطلب الأول

التعريف بكتابه القراءات القرآنية وما يتعلق بها

هذا الكتاب[١]من الكتب التي أفردها للحديث عن علم من علوم القرآن (القراءات القرآنية) يبدأ في مقدمة الكتاب بالحديث عن تعريف مختصر للكتاب، وما يحتويه من موضوعات، ثم بدأ بذكر مسيرته مع علم القراءات، وشكر شيوخه وأصحاب الفضل عليه في تلقينه وتعليمه القراءات القرآنية.

وفي التمهيد تحدث عن المنهج الواجب اتباعه لطالب القراءات، وحذره من الاكتفاء بقراءة الكتب دون التلقين والمشافهة، وبين أن كثيراً ممن يَدرس القراءات في علمه ضعف، والسبب وراء ذلك عدم التلقي عن الشيوخ، والاكتفاء بدراسة كتب هذا العلم.[٢]

ويذكر أن الهدف من هذا الكتاب جعل القارئ ذا ثقافة في موضوع القراءات لا غير.[٣]

الفصل الأول مدخل إلى دراسة القراءات القرآنية: تناول فيه الحديث عما له علاقة بالقراءات ونشأتها، وتحديداً الأحرف السبعة، وما يتعلق بها من قضايا، وقد نوّه إلى أن هذا الفصل مأخوذ عن كتابه (إتقان البرهان في علوم القرآن)، تحدث فيه عن روايات الأحرف السبعة ومتى بدأ نزولها، وهل تكرر النزول أم لا؟ وقد أكد على عدم تكرار النزول، وأنّ جبريل علمه القراءة بكيفية أخرى لا يلزم منها تكرار النزول.[٤]

ثم تحدث عن مفهوم العدد في حديث الأحرف، ورجح أن العدد غير مقصود لذاته، تماشياً مع حكمة نزول الأحرف، وهي التسهيل والتيسير على الناس وسعة فضل الله على عباده.[٥]

وبين أن معنى الأحرف السبعة سبع لغات من لغات العرب، متفقة باللفظ مختلفة في المعنى في الكلمة القرآنية، مرجحاً رأي شيخ المفسرين الطبري في معنى الأحرف، وبين أنه قام بالترجيح

---

[١] القراءات القرآنية وما يتعلق بها، يتكون الكتاب من أربعمائة وسبع صفحات وقرص مدمج فيه مادة نظرية تتعلق بالمادة،جعله في مقدمة وتمهيد وثماني فصول وملحقين فيهما متن الجزرية وتحفة الاطفال.
[٢] القراءات القرآنية وما يتعلق بها، ط ٢٠٠٨، ص١٢
[٣] نفسه، ص١٣
[٤] نفسه، ص٣٢
[٥] نفسه، ص٤٣

لأن الموضوع لا يعدو أن يكون اجتهاداً،[1] وقد ذكر آراء العلماء في معنى الأحرف وبين عدم ترجيحه لها بالأدلة النقلية، والعقلية.

ثم انتقل إلى الحديث عن القراءات القرآنية، معناها لغةً واصطلاحاً، والفرق بين القرآن والقراءات، وبعد التعريف بها وتوضيح معناها انتقل للحديث عن نشأتها، والتاريخ الذي مر عليها، والقضايا المتعلقة بها.

وفي الفصل الثالث تحدث عن القراء العشر، ورواياتهم، فقام بالتعريف بهم وما اشتهروا به، وأشهر تلاميذهم أخذاً عنهم.

أما الفصل الرابع تحدث فيه عن القراءة وما يتعلق بها، ومنه أقسامها من أصول وفرش، وكذلك أصول كل قراءة من القراءات العشر، وفرشها وما تميزت به عن غيرها.

وفي الفصل الخامس تحدث عن أقسام القراءات من متواتر وشاذ، تحدث فيه عن تقسيمات العلماء واختلافهم، والشروط التي وضعوها لقبول القراءة، وكيف جمعت القراءات واعتمدت السبعة منها لهؤلاء القراء دون غيرهم، والثلاثة المتبقية وما يتصل بهذه التقسيمات من قضايا.

وبعد التأصيل والتحقيق ومن ثم التقرير بين في الفصل السادس أشهر الكتب في علم القراءات وعلم التوجيه، وهو العلم الناشئ عن اختلاف القراءات، والهدف منه توجيه القراءات وتعليلها تعليلاً نحوياً، وبلاغياً، وصرفياً، ولغوياً، وفي هذا الفصل اكتفى بذكر أسماء أشهر الكتب ومؤلفيها.

وفي الفصل السابع تحدث عن العلوم اللازم معرفتها من قبل طالب علم القراءات، وهي علم العربية، التجويد، وعلم الرسم، والوقف والابتداء، وعلم الفواصل، وعلم الأسانيد، وعلم الابتداء والختم، وقد وضح هذه العلوم وبينها وذكر أهم موضوعاتها والقضايا المتعلقة بها.

وفي الفصل الثامن قام بالرد على شبهاتٍ ثلاثٍ تناولت علم القراءات، أثارها المستشرقون والمستغربون كما يسميهم، وقد ردّ عليهم بالحجة والمنطق السليم.

وقد ختم الكتاب بمتن الجزرية، وتحفة الأطفال للشيخ الجمزاوي، مع قرص مدمج لسماع القراءات بصوته، وهذا تطبيق للقراءات في القرآن الكريم، وقد بين في المقدمة أن من المناهج المتبعة لطلبة القراءات تعلم هذه المتون وحفظها،[1] وفي ذكرها هنا تأكيد على ذلك.

---

[1] نفسه، ص٦٤

المطلب الثاني

منهجه في كتابه القراءات القرآنية وما يتعلق بها

بيّن في أول الكتاب أن القيمة العلمية لهذا الكتاب تكمن في أنه من الكتب التي تعطي القارئ المعلومات الأساسية في علم القراءات، وما يحتاجه من ثقافة في هذا العلم.[٢]

وسأقوم بوصف منهجه بذكر أبرز المناهج التي اتبعها الدكتور رحمه الله في الكتاب .

يلحظ القارئ من خلال دراسته للكتاب وجود تحقيقات علمية، وأسلوباً نقدياً وصفياً، وذلك بسبب بعض قضايا هذا العلم المتعلقة بالأحرف السبعة وعلاقتها بالقراءات، وقد ذكر أنه استعان بما كتبه فيها بكتابه إتقان البرهان،[٣] وكذلك فقد ردّ على الشبهات المتعلقة بهذا العلم، ومن يقرأ في كتبه يرى أنه يقف مترصداً للردّ على شبهات من أراد بهذا الدين السوء، فقد تصدى لهم وردّ عليهم بالدليل والبرهان والحجة الدامغة التي جعلت منهم أضحوكة لأصحاب المنطق المنصفين ،وفي طرحه لبعض القضايا في الكتاب كان قريباً من المنهج المتبع في الكتب التي كتبت في هذا الموضوع[٤].

المنهج التأصيلي :

يؤصل للموضوع وذلك في تعريفه للقراءات لغةً واصطلاحاً، ونسوق هنا ما نقله عن ابن الجزري: "علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها معزوّاً لناقله"[٥]، ونرى هنا نقله عن العلماء السابقين والاستئناس بأقوالهم .

وفي ذكره لعلاقة القراءات بالقرآن الكريم وبين أنها جزء من القرآن، فكل قراءة صحيحة قرآن، لكن ليس كل قرآن قراءات، هي في بعض القرآن وليس كله، فالقرآن نقلاً عن الزركشي: "هو الوحي المنزل على النبي عليه السلام، أما القراءات فهي اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في كتابة الحروف أو كيفيتها ".[٦]

---

[١] عباس،فضل حسن،القراءات القرينية وما يتعلق بها ،ص٨
[٢] نفسه ،ص١٣
[٣] نفسه، ص١٥
[٤] انظر: **مقدمات في علم القراءات** ، أحمد محمد مفلح القضاة،أحمد خالد شكري،محمد خالد منصور (٢٠٠٩م)،ط٢، دار عمار :عمان .
[٥] عباس، فضل حسن، القراءات القرآنة وما يتعلق بها، ص٨٠
[٦] نفسه، ص٨٣

ومن **المنهج العلمي الدقيق،** التعريف برجال العلم وبإنجازاتهم فقد تطرق للحديث عن القراء العشرة، وتلاميذهم، وكان الحديث عنهم بمثابة تراجم لهم ولأبرز محطات حياتهم، ونرى هنا أنه لم يخالف الكتّاب في ذلك، فإن أغلب من كتب في القراءات عرّف بالقراء ورواتهم .

نرى من خلال هذا التأصيل لعلم القراءات أنه يصف ويحلل ويرجح وفي هذا كان يقدم آراء السابقين، ويتحلى بالموضوعية عند الخلاف، ويلتزم بالتحقيق العلمي عند النقد وذلك بالالتزام بالدليل النقلي والعقلي.

وقد انتهج نهج غيره ممن كتب في هذا الموضوع في ذكره لأشهر الكتب المؤلفة في علم القراءات، وعلم التوجيه، وقد قرن علم التوجيه بعلم القراءات؛ لأنه جزء من القراءات، فهو العلم الذي يعلّل القراءات في الآيات القرآنية، والتوجيه يكون إمّا نحوياً أو لغوياً، أو صرفياً، أو بلاغيا، وقد وضح هذه الأوجه مع نماذج تطبيقية توضيحة، وهذا من مميزات المنهج المتبع.[١]

وبعد حديثه عما يختص بهذا العلم من مقدمات وتأصيل له مع عدم الخوض في العلم التطبيقي للقراءات، ردّ كعادته بعض الشبهات التي ألصقت بالقراءات افتراءً ، وأغلبها كان من المستشرقين والمستغربين، وتميز منهجه في الردّ بالاستدلال بالواقع والتاريخ،[٢]والدليل النقلي،[٣]والعقلي، ويرد كذلك من الشبهة نفسها، مع الموضوعية في الرد، وقد أورد في هذا الفصل ثلاث شبهات تختص بسبب الاختلاف الحاصل في القراءات، ومنها: أن الاختلاف ناتج عن تعدد اللهجات بين القبائل العربية، والشبهة الثانية أن القرآن نزل بلغة قريش لا غير.

المنهج النقدي :

تمثّل ذلك في حديثه عن الأحرف السبعة وعلاقتها بالقراءات ، ومما بينه وقرّره في هذا الموضوع حديثه عن روايات الأحرف ومن ثم المعنى المراد منها، وقد تبع الطبري في القول بأن الاحرف السبعة هي سبع لغات من لغات العرب متفقة في المعنى مختلفة في اللفظ[٤]، وقد بيّن يحتوي على حرف واحد لا غير كما قرر الطبري،[٥] وبعد حديثه المستفيض عن الأحرف السبعة بدأ بالحديث عن القراءات وأن نشأتها كانت من الأحرف السبعة، فبعدما حرق عثمان رضي الله عنه المصاحف بعث مع كل مصحف من المصاحف العثمانية قارئاً يبين بعض الأوجه التي

---

[١] عباس، فضل حسن، القراءات القرآنية وما يتعلق بها، ص٢٥٥-٣٢٨

[٢] نفسه، ص٣٥٧

[٣] نفسه، ص٣٦٧-٣٦٨

[٤] نفسه، ص٦٤

[٥] نفسه، ص٧٥-٧٦

اشتهرت في البلد، وكانت من المتواتر المتفق عليه، وهكذا حتى ظهرت القراءات التي وجدت من بقايا الأحرف المبثوثة في البلدان، وبما أن مصحف عثمان احتوى على حرف واحد بعث رضي الله عنه مع كل مصحف مقرئاً يعلم الناس القرآن على الحرف المشتهر المعتمِد على التلقي والمشافهة المحفوظة لدى العلماء، وغير الموجودة في المصحف، لكن بعدما دخل في الإسلام كثير من الناس وبدأ الاختلاف الذي لا يعتمد على الدليل قام بعض العلماء بقبول القراءة وفق شروط، للتأكد من صحتها، وهذه الشروط هي: موافقة الرسم، وموافقة وجه من وجوه العربية، وأن تكون متواترة، وشرط موافقة رسم المصحف والعربية هو مرتبط بذلك الزمان كما يقول رحمه الله، **ويقرر** أن شرط القراءة الصحيحة هو التواتر، وكذلك من مبررات هذا الرأي أن بعض القراءات الصحيحة مخالفة للرسم.[١]

وفي **ترجيحه** لرأي الطبري نرى تفسيراً لمقولة عثمان لكتّاب المصحف: إنْ اختلفتم أنتم وزيد فردّوه إلى لغة قريش، فالاختلاف هنا اختلاف بالأحرف؛ لأن عثمان كتب المصحف على حرف واحد، والاختلاف يقع في الكلمات التي ليست على حرف قريش، فيجب ردّها إلى لغة قريش ويتبادر هنا التساؤل: إن مصحف أبي بكر كتب بلغة قريش فلماذا الاختلاف إذا كان مجرد نسخ منه؟ وقد ذكر رحمه الله أن مصحف أبي بكر لم يتضمن الأحرف، وفي هذا السياق بين أن هناك تساؤلات كثيرة تختص بهذا العلم تحتاج إلى إجابة، وقد أجاب على بعضها.[٢]

وقد بين **نقلاً عن العلماء السابقين** أن اختيار القراءات العشر كان انتقائياً بانتقاء أفضل القراء، بالنسبة إلى شهرتهم وحفظهم وضبطهم للقراءات، وكلها ثبتت صحتها، وتحتوي على أغلب ما أُثر عن النبي عليه السلام، فأصلها مما جاء به المقرئون المبعوثون من قبل عثمان رضي الله عنه، والقراءات جزء من الأحرف السبعة التي تم تلقيها بالمشافهة، وقد استوعب المصحف بعضها وذلك لاحتمال الخط لها.[٣]

وأبرزُ ردٍّ عليها: الرواية التي تبين الخلاف الذي حصل بين عمر بن الخطاب وهشام بن حكيم القرشيّيْن، فلو أن الاختلاف يعود إلى اللهجات لما اختلفا،[٤] وتصديق النبي عليه السلام لما ورد عن عن الصحابيّيْن من كيفية القراءة تؤكد أنه لم ينزل بلغة قريش فقط.

---

[١] عباس،فضل حسن، القراءات القرآنية وما يتعلق بها، ص٢١٩-٢٢٣
[٢] نفسه، ص١٢٧
[٣] نفسه، ص٢٠٥
[٤] نفسه، ص٣٥٨

ويؤكد أن الشرط الأول والأهم بالنسبة للقراءات هو تواترها، وليس لموافقتها العربية والرسم إلا للاستئناس، وأما من قام بأخذ قراءة وإسقاط أخرى صحيحة لتعليل نحوي أو لغوي أو غيره من التعليلات فغير جائز، وهذا من الأسباب التي فتحت الباب للمستشرقين وأتباعهم لإلصاق بعض الشبهات بهذا العلم، لكن عند الإيقان بأن القراءات العشر متواترة عن النبي عليه السلام وثبتت قرآنيتها والاختلاف بينها ليس على نسق واحد، فهناك اختلاف في المعنى وهناك اختلاف في الإمالة أو المد وغيرها من الاختلافات التي تتعلق بأصول القراءة وفروشها، وتؤخذ هذه التعليلات للاستئناس ولإثراء المعنى؛ لأن القراءات تضيف على المعنى، وكذلك تبين بعض الزوايا التي لم تظهر في القراءة الأخرى، لكن دون تناقض بينها وإنما تنوع.[١]

واذا أردنا أن نصف منهجه في كتابه القراءات نخرج بأنه :

أولاً: أصّل لعلم القراءات، وذلك بذكر مصطلحاته، وأهم قواعده القائم عليها.

ثانياً: الأمثلة التطبيقية المنتشرة في الكتاب[٢] وهذا من مميزاته، وقد ألحقه بقرص مدمج وملحق يذكر فيه كلاً من متن الجزرية، ومتن تحفة الأطفال[٣]، وهذا لم نره في الكتب الأخرى التي تعرف بالعلم.

ثالثاً: تقديمه لآراء السابقين،[٤] والاستدراك عليهم في بعض الأحيان ومخالفتهم في أخرى[٥].

رابعاً: تحقيق بعض القضايا كما رأينا في الأحرف السبعة ،وشروط قبول القراءة ،ويكون ذلك بالترجيح والردّ وفقا للأدلة النقلية والعقلية الصحيحة[٦].

خامساً: يرجح ويذكر سبب الترجيح وسبب اختياره بعد عرض الآراء ومناقشتها[٧].

سادساً: يذكر أبرز مصطلحات هذا العلم، و رجالاته، وأهم العلوم المتصلة به .

سابعاً: ردّ بعض الشبهات[٨]، وهذا ملاحظ في كل كتبه، محاربته لمخرجي الشبهات الواردة على القرآن الكريم وعلومه.

---

[١] نفسه، ص٣٧٩-٣٨٢

[٢] نفسه، في حديثه عن الخلاف الجائز في القراءة، ص١١٩

[٣] نفسه، ص٣٨٣-٤٠٢

[٤] نفسه، ص٢٢٦-٢٢٧

[٥] نفسه، ص٢٤٠-٢٤١،ص٢١٥-٢١٦

[٦] نفسه، ص ٢٢٧-٢٢٨،ص٢٢٣-٢٣٠

[٧] نفسه، ص٦٣-٧٦،ص٢١٩-٢٢٣

[٨]نفسه،ص٣٥٥-٣٨٢

المبحث الرابع

القصص القرآني وبيان منهجه فيه

المطلب الأول : التعريف بالكتابين.

المطلب الثاني : منهجه في القصص القرآني.

المطلب الأول

التعريف بالكتابين

" القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته، وكتابه القصص القرآني صدق حدث، سمو هدف"

يقول في مقدمة **القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته:** "فهذه محاولة نرجو أن تكون مفيدة مأجورة مع القصص القرآني، توَخّينا فيها جدة العرض، ويسر الأسلوب، واستيعاب الأهداف، وردّ الشبهات، كما توخينا أن نجمع بين طريقتين: التحليلية والموضوعية "[1].

تحدث في هذا الكتاب عن جانبين مهمين لدارس القصة القرآنية: **الجانب التأصيلي للقصة،** وفيها تحدث عن مفهومها وخصائصها وأهدافها ونفي بعض القضايا العالقة بها وأبرزها الإسرائيليات، وقضية التكرار لأهميتهما، ثم عرض **للجانب التطبيقي** تحدث فيه عن القصص وترتيبها في السور، ثم درس كل قصة من القصص حسب ورودها في السور بطريقة تحليلية نقدية.[2]

عرض موجز لموضوعات الكتاب:

يتكون الكتاب من مبحثين: المبحث الأول: مقدمات ضرورية تناول فيه الحديث عن أهمية القصة القرآنية، ومفهومها، وهل يوجد في القرآن تكرارٌ؟وكانت الإجابة عدم وجود تكرار في القرآن الكريم، **المبحث الثاني:** تحدث فيه عن ترتيب القصص في السور حسب ترتيبها في المصحف، يقول واصفاً لهذا المبحث: "بحيث يكون كالكشّاف؛ ليسهل على الدارس معرفة القصة التي يريدها في أي سورة من كتاب الله ".[3]

ثم تحدث عن قصص الأنبياء كلٌّ في مبحث خاص، حيث درسها على حسب وجودها في السور، ومن ثم يعقب عليها، وقد أفرد قصص الأنبياء التي لم تذكر إلا مرة واحدة في مبحث خاص منها: قصة إلياس عليه السلام، وقصة يوسف، وتعقيب عليها، وبعدها أخذ ثلاثة نماذج من القصص التي لا تختص بالأنبياء، وقام بدراستها دراسة تحليلية قامت بذكر أهداف القصة والعبرة والعظة المؤخوذة منها.

وبعدها ردّ على الشبهات التي أثيرت حول القصة القرآنية، بأسلوبه المعتمد على الأدلة العقلية والنقلية.

---

[1] عباس ،فضل حسن،القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته ،ص٥
[2] نفسه،ص٥
[3]نفسه ، ص٥

"القصص القرآني صدق حدث، سمو هدف":

هو طبعة مزيدة ومنقحة للكتاب الأول فيها إضافات كثيرة من حيث القصص والقضايا المعالجة فيه، فقد حاول استيعاب جميع القصص الواردة في القرآن الكريم، وأكثر ما يميز هذا الكتاب تحقيقه للقضايا الشائكة في القصص القرآني، والاستدراكات التي أوردها على بعض كتّاب القصة القرآنية، والردّ الواسع على الشبهات التي أثيرت على القصص القرآني، لفت الأنظار إلى بعض قضايا الإعجاز الكامنة في القصص القرآني، وقام بعرض أبرز الكتب التي كتبت في هذا المجال، وبيّن مجال تميزها وعدمه، ومن ثم يقوم باستدراكاته على هذه الكتب.

موضوعات الكتاب:

يتكون الكتاب من بابين، يقول: "وقد اقتضت طبيعة البحث في هذا الكتاب أن يقع في بابين اثنين، **الباب الأول**: وهو دراسات حول القصة القرآنية، وينتظم خمسة فصول، **الباب الثاني:** عرض وتحليل للقصة القرآنية ويقع في عشرين فصلاً "[١].

الباب الأول: تكون من خمسة فصول، أولها: عن أبرز من كتب في القصص القرآني بصورة نقدية حيث بيّن من خلال الدراسة السلبيات والإيجابيات لكل منها، وهذا مما ميزه في جميع ما كتب، فهو يحصي من كتب قبله في الموضوع وهل أشبع الموضوع بحثاً أم لا؟ وهذا الأساس الأول الذي يعتمد عليه في كتاباته، في الفصل الثاني من هذا الباب تناول الحديث عن القصة القرآنية أهدافها وخصائصها، فهو يؤصل للموضوع وبعد التأصيل يقوم بالردّ على الشبهات التي أثيرت حول الموضوع، ومن ثم يفرد شبهة التكرار بالبحث لما أخذته هذه القضية من مساحة في المؤلفات التي ألفت في القصص، ومن ثم يتحدث عن الطريقة المثلى لدراسة القصص لتجنب الوقوع في التكرار وإصدار الأحكام الخاطئه، وفي الفصل الخامس من الباب الأول تحدث عن ترتيب القصص في السور القرآنية بطريقة وصفية تحليلية وهو نقلٌ عن الكتاب الأول.

الباب الثاني: انتقل فيه إلى الجانب التطبيقي بعد أن أعطى لمحة تاريخية عن التأليف في القصص، ومن ثم الجانب التأصيلي، ومن ثم انتقل إلى الجانب العملي الذي أخذ الجانب الأكبر من الدراسة؛ لأن القصة القرآنية قد أخذت الربع من حجم القرآن الكريم، والجانب التطبيقي للقصص القرآني هو الأهم في دراسته.

---

[١] عباس، فضل حسن، القصص القرآني صدق حدث، وسمو هدف، ص١٠

تحدث في هذا الباب (القصص القرآني عرض وتحليل) الذي احتوى على عشرين فصلاً عن قصص الأنبياء في القرآن الكريم، بطريقة تحليلة موضوعية كما هو ظاهر في العنوان، وتعتبر هذه الدراسة دراسة شاملة تناولت كل الأنبياء المذكورين في القرآن الكريم، تحدث في كل فصل عن القصة في السور القرآنية وحقق بعض القضايا التي اتصلت بالموضوع، وفي نهاية كل قصة يعقب عليها كما في الكتاب الأول.

وقد تحدث في الفصل العشرين عن القصص القصيرة في القرآن الكريم بالطريقة التحليلية لاستخراج سبب ذكر القصة، وأهدافها، والعبرة والعظة المستخرجة منها.

وقد بين أن الإختلاف بين الكتابين يبرز في الإضافات التي أضافها على الكتاب الثاني؛ فالأول لم يفِ بالغرض، وكان هناك بعض الأخطاء المطبعية التي صححت في هذا الكتاب في شكله الجديد، وسأنقل الإضافات التي من أجلها ألف الكتاب الثاني، يقول:[١]

أولاً: تصحيح بعض الأخطاء التي كنت أتمنى تصحيحها من قبل، وجُلُّ هذه الأخطاء طباعية، وبعضها كان نتيجة السهو...، وبعضها الآخر كان رأياً ظهر لي فيما بعد أن غيره خير منه.

ثانياً: الزيادات الكثيرة في هذا الكتاب.

ثالثاً: امتاز هذا الكتاب بتحقيق كثير من القضايا التي اختلفت فيها آراء الباحثين، منها بعض أخبار آدم، وطوفان نوح.

رابعاً: التوسع في الرد على الشبهات، وردّ بعض الشبهات كالنظريات التي افتتن بها بعض الكاتبين؛ ومنها تطبيق نظرية دارون على خلق آدم عليه السلام.

خامساً: التنبيه كلما سنحت الفرصة على بعض قضايا الإعجاز في القصة القرآنية؛ ليجمع القارئ بين متعة النفس والروح ومتعة الفكر.

سادساً: تفسير الكلمات والعبارات التي تحتاج إلى تفسير.

سابعاً: التنبيه على الربط بين القصة القرآنية وواقعنا المعيش؛ لاستنباط الدروس العملية من القصص القرآني.

---

[١] عباس، فضل حسن، القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته، ص٧-٩

المطلب الثاني

منهجه في القصص القرآني

استند في دراسته للقصص القرآني على معالجة الأمور الآتية، وقد درسها بالطريقة التحليلية الموضوعية النقدية :

أولاً: قام بمسح تاريخي للمؤلفات التي ألفت في القصة القرآنية،[١] وإبراز ما فيها وما هي إضافاته عليها، مثل: الشمول، وردّ الشبهات، واستخراج الدروس والعبر، وتحقيق بعض القضايا.

ثانياً: إبراز أهداف القصة القرآنية والتأكيد على أنها وحي إلهي يهدف إلى تثبيت الفكرة وتقريبها من الواقع المعاش؛ لحصول الإقناع العقلي والتأثير الوجداني، ومن ثم ذكر الخصائص الذاتية كما يسميها والفنية للقصة القرآنية، وهذا كفيلٌ للردّ على الشبهات، وكذلك فإنه يذكر مميزات القصة مما يعطي للدراسة تأصيلاً لا بد منه للقارئ عن القصة القرآنية، وما يميزها عن القصة الأدبية.[٢]

ثالثاً: الردّ على الشبهات التي أثيرت حول القصة القرآنية بالأدلة النقلية والعقلية.

رابعاً: نفي وجود الإسرائيليات في القصص القرآني.

خامساً: الاستدراك على العلماء.

سادساً: إبراز الناحية التطبيقية في القصص القرآني بالنسبة لوجودها في السور ودراستها وفقاً لترتيب النزول.

سابعاً: التأكيد على وجود التصوير الفني في القصص القرآني،[٣] وأنه صورة من صور الإعجاز.

ثامناً: احترام العلماء السابقين وتقديم آرائهم، والترجيح بينها.

تاسعاً: الترجيحات المنتشرة في الكتاب خصوصا فيما يتعلق بالقصص القرآني وأحداثه، من ذلك تفسيره لقول الله تعالى:﴿ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢ ﴾ الفجر: ٢ ، بالأيام العشر من منتصف الشهر الذي يكون فيها القمر أكثر سطوعاً، ويعلل ذلك بأنها جاءت نكرة، وفي قوله تعالى: ﴿ ٱلَّتِي لَمْ يُخْلَقْ

---

[١] عباس، فضل حسن، القصص القرآني صدق حدث، وسمو هدف،ص١٥-٤٢
[٢] نفسه، ص٤٣-٥١
[٣] نفسه، ص٤٧-٤٩

مِثۡلُهَا فِي ٱلۡبِلَٰدِ ﴿٨﴾ ﴾ الفجر: ٨ ، فقد رجح أن الأفضلية تعود لقوم عاد وليس للمدينة لأن الوصف جاء لإرم، وإرم هو الأب الذي ينتسبون إليه[١]، وفي قصة نوح عليه السلام ذكرأنه أول الرسل المبعوثين لبني البشر لأنه أول من لاقى العنت والمشقة من قومه ،ورجح أنه مبعوث لقومه خاص وليس لجميع أهل الأرض[٢] .

يظهر منهجه رحمه الله في كتابيه بالنظر للجانب النظري والجانب التطبيقي، وفي الجانبين برز منهجه في النقد والتحليل ،وردّ الشبهات :

الجانب النظري :

أولا :يظهر منهجه في تأصيله للقصة القرآنية في كتابيه ذلك بذكر عناصر القصة، والفرق بين القصة القرآنية والقصة الأدبية، وأهم القضايا المتعلق بها، فالذي قاله في الكتاب الأول نقله في الكتاب الثاني، لكن الاختلاف كان من حيث طريقة العرض والمعالجة، و الزيادات، وقد بيّن الفرق بين الكتابين من حيث المعالجة، وتم ذكره في المطلب الأول من هذا المبحث.

ثانيا: لم يكتف بالسرد القصصي كما فعل بعض كُتّاب القصة؛ وإنما قام بالتحليل وربط أجزاء القصة ببعضها البعض، ومن ثم استخراج الدروس المستفادة منها لواقعنا المعيش، وهذا من مميزات الكتِاب، ربط القصص بالواقع فالقصص لم تأت إلا لتربية الأفراد والمجتمعات، ويبين أن قصص الأنبياء عامة جاءت لتوضح ما حصل بينهم وبين أقوامهم، والهدف الرئيس من سردها هو تربية الدعاة على المنهج الرباني في الدعوة إلى الله ولتثبيت القلوب، أما ما جاء منها أو من القصص القرآني بشكل عام إنما جاء لإصلاح الأفراد، والمجتمعات، والحث على الأخلاق الحميدة، ويظهر لنا بعد هذا الحديث أنه قسّم أشكال القصة حسب ورودها في القرآن الكريم إلى مجملة ومفصلة، أو أنها ذُكرت مرة واحدة أو أكثر.[٣]

ثالثاً: اتّبع في الردّ على الشبهات المنهج التحليلي النقدي؛ فقام بذكر السبب الذي أدّى إلى ظهور شبهة التكرار، وأبرز أسبابه فساد الذوق العربي وضعف اللغة، وكان ذلك في عصور متأخرة لكثرة الحاقدين.[٤]

---

[١] عباس، فضل حسن، القصص القرآني صدق حدث، وسمو هدف، ص٢١٠-٢١١
[٢] نفسه، ص١٧٥
[٣] نفسه، ص٧٥-٨٠
[٤] نفسه، ص٦٥

رابعا: يأتي بأقوال العلماء قديماً وحديثاً في هذه المسألة ويعقب على كلامهم، ويستدرك ومن ثم يرجح[١]،ومن الأمثلة على ذلك ترجيحاته في قصة آدم عليه السلام فقد رجح أن الأرض التي نزل عليها آدم عليه السلام ليست الجنة التي وعد المتقون ،وأنها جنة خاصة بآدم[٢] ،وكذلك لم يخض في نوع الشجرة واكتفى بما ذكره القرآن مبتعدا عن الإسرائيليات[٣] ،بين أن الإغواء الذي حصل لآدم لم يكن مصدره حواء، وإنما إبليس وأن المسؤل عن المعصية هو آدم عليه السلام،وذلك وفق ما بينته الآيات القرآنية،[٤]رجح أن آدم عليه السلام هو أول البشر ولم يوجد بشر قبله[٥] ،قرر أن آدم عليه السلام هو أب البشر جميعا ورد على من قال بغير ذلك بأنها من الأمور البدهية المجمع على ثبوتها.[٦]

في ردّه على من قال بشبهة التكرار يرفض ما ذهبوا إليه، ويبين أن المعنى المراد فيما ذكر أكثر من مرة في القصص القرآني للتشابه هو ذكر الموضوع لإضافة معنىً جديد، في سياق جديد، أما التكرار المذموم، أو المرفوض، فهو ما كُرّرَ لفظاً ومعنىً بنفس السياق، وهذا لا وجود له في القرآن الكريم.[٧]

يؤكد أن نفي التكرار لا يؤدي إلى قطع الصّلات بين السور؛ بل على العكس من ذلك فإن دراسة القصة على حسب نزولها، تفتح للدارسين أبواباً للتأمل والاستنتاج والمقارنة؛ ليدركوا سرّ القصة والإعجاز المكنون في هذا الكتاب العظيم.[٨]

ومما أكد عليه وأشار إليه كتاب (القصص القرآني لمحمد خلف الله) الذي كان أنموذجاً على الانحراف في دراسة القصص، وقد ردّ عليه وخصوصاً قوله: إن القصص هي أساطير ليست حقيقية، وبهذا القول يناقض القرآن الذي وصفه الله تعالى أنه الحق ولا ريب فيه، وقد نقل بيان الأزهر الذي كفّر الكاتب والمجيزين له، ولأسباب تم ذكرها،[٩] وهذا يعد من التأصيل لموضوع القصة، يعقب فيذكر الطريقة المثلى لدراسة القصة حيث تكون دراستها: [١٠]

أولاً: من حيث ترتيب النزول.

---

[١] نفسه، ص٦٨-٧١
[٢] نفسه، ص١٤٠-١٤٢
[٣] نفسه، ص١٤٢
[٤] عباس، فضل حسن، القصص القرآني صدق حدث، وسمو هدف، ص١٣٧
[٥] نفسه، ص١٤٢-١٤٤
[٦] نفسه، ص١٤٤-١٤٦
[٧] نفسه، ص٧١
[٨] نفسه، ص٨١
[٩] نفسه، بتصريف ص٦٣-٦٤
[١٠]نفسه، ص٧٨-٧٩

ثانياً: من حيث الألفاظ والتراكيب.

ثالثاً: من حيث الموضوعات وجزئيات المشاهد الواردة في القصة القرآنية.

رابعاً: من حيث اختصاص كل سورة بما جاء فيها من المواقف، والمشاهد.

وقد انتهج المنهج الوصفي في ذكر ترتيب القصص في السور، ومن فوائد هذه الدراسة تقديم مسحٍ للقصص المذكورة في السور القرآنية، حيث تعتبر دراسة إحصائية يصحبها بعض التحليل[١].

الجانب التطبيقي:[٢]

وبان ذلك بتطبيق ما قاله على قصص القرآن الكريم، وقد اتصفت دراسته بالشمول من حيث تضمينها أغلب القصص المذكورة في القرآن الكريم، وقد اتبع الدراسة التطبيقية للقصص فرتبها بذكر الأنبياء من آدم عليه السلام، ومن بعده حسب الترتيب الزمني، ويذكر في كل قصة الإشارات التي ذكرت عنها في السور، ثم يتحدث عن القصة في السور فيذكر موضوعات القصة الموجودة في السور حسب زمن نزولها، ويؤكد أن السورة القرآنية لا تفقد شخصيتها وموضوعها بسبب ذكر القصة، فالقصة تدعم موضوع السورة وتؤكده.[٣]

وفي ذكره لأجزاء القصة المذكورة في السور القرآنية نجد المنهج التحليلي يظهر في تناوله للمشاهد، وآراء العلماء فيها، وذكر تفسير بعض الألفاظ والتراكيب والإحالة إلى التفاسير،[٤] وبعد عرض القصة حسب ذكرها في السورة القرآنية مراعياً زمن النزول، يظهر المنهج النقدي في ردّ بعض الشبهات التي ذكرت على القصة، ومن أهم ما رد عليه وأكد على نبذه الإسرائيليات،[٥] وفي رده على الشبهات يأتي بالأدلة النقلية والعقلية التي تتناسب مع اللغة والسياق القرآني، وعصمة الأنبياء، يعرض لآراء العلماء وبعد مناقشة آرائهم يرجح بين الآراء،[٦] ونراه حتى مع استدراكه

---

[١] عباس، فضل حسن، القصص القرآني صدق حدث، وسمو هدف، ص٨٣-٩٦

[٢] ملاحظة: الأمثلة مؤخوذة من كتاب قصص القرآن الكريم صدق حدث، وسمو هدف لاحتوائه على كل ما ذكر في كتاب القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته كما ذكرنا سابقاً.

[٣] نفسه، ص١١٧-١١٨

[٤] نفسه، ص٧١٨

[٥] نفسه، ص٦٥٣،ص٧١٨

[٦] نفسه، ص٦٥٣-٦٦٢

على بعض العلماء ومعارضته لرأيهم يظهر فائق الاحترام لهم ولجهدهم المبذول في خدمة القرآن الكريم.[١]

وبعد عرض القصة وتحليلها وردَ الشبهات يأتي بالتعقيب على القصة، يذكر فيها الدروس والعبر وما يميز القصة عن غيرها، وكذلك يذكر بعض القضايا التي تحتاج إلى التعليق والمعالجة ويخضعها للتحقيق العلمي، ويظهر منهجه في التحقيق بدراسته للأحاديث التي قيلت في المسألة سنداً ومتناً كما حدث في قصة سليمان عليه السلام وفتنته، فبعد ذكره الحديث الذي ورد في صحيح البخاري يرده ويذكر أن راوي الحديث له غرائب، ويذكر ما قاله العلماء فيه، ويبين أن البخاري لم يذكر الحديث في تفسيره للآية، وانما ذكرها في قصص الأنبياء وهذا دليل آخر على عدم قبول تفسير الآية بالرواية[٢] التي تقول " عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي عليه السلام، قال: لأطوفن الليلة على سبعين إمراة، تحمل كلّ امرأة فارساًيجاهد في سبيل الله، فقال لصاحبه: إن شاء الله، فلم يقل، ولم تحمل شيئاً إلا واحداً ساقطاً أحد شقيه، فقال النبي عليه السلام، لو قالها لجاهدوا في سبيل الله" .[٣]

يرجح بعض الآراء مثل ترجيحه بأن الذي عنده علم من الكتاب في قصة سليمان عليه السلام على أنه هو، وقد ذكر ذلك بأدلة، وأنا لا أوافقه في ذلك لأن الله تعالى في ذكره سليمان عليه السلام لا يذكره إلا باسمه وكذلك الأنبياء بشكل عام، فلماذا لا يذكره هنا؟ كذلك السياق، فإنه يدل على أنه شخص آخر غير سليمان عليه السلام ويظهر ذلك من التعقيب[٤]،وفي قصة موسى عليه السلام في مدين رجح أن الشيخ المذكور في القصة ليس شعيب عليه السلام ،لإن القرآن لم يشر ذلك كما قال[٥]، وفي عرضه للقصص القرآني يبرز الاتساق بين القصص القرآني يقول: "... حيث تبدأ السورة بإشارات موجزة، ثم يأتي دور التفصيل ثم يأتي الدور الثالث وهو دور الإيجاز خلاصة موجزة للقصة ".[٦]

يبرز رحمه الله صور الإعجاز الموجودة في القصة القرآنية مثل الإعجاز البياني وذلك في ألفاظه وتراكيبه.[٧]

---

[١] نفسه، ص٦٥٤-٦٥٦
[٢] عباس، فضل حسن، القصص القرآني صدق حدث، وسمو هدف، بتصرف ص٦٥٣-٦٥٥
[٣] نفسه، ص٦٥٣
[٤] نفسه، ص٦٦١-٦٦٢
[٥] نفسه، ص٤٩٧
[٦] نفسه، ص١٩٧
[٧] نفسه، ص١٨٤-١٨٥

يذكر في كل فرصة تتاح له الدروس والعبر المؤخوذة من القصة على الناحية النفسية، وكذلك تأثيرها على الفرد والمجتمع.[١]

في حديثه عن القصص القصيرة في القرآن الكريم انتهج نفس النهج فدرسها دراسة تحليلية نقدية يتخللها الردّ على الشبهات الواردة ونفي الإسرائيليات كذلك، والتأكيد على أن العبرة من ذكر هذه القصص في رأيه تربية الإنسان من النواحي كافة، فمنها ما يعطيك منهجاً للحياة والذي مثلته سورة الكهف وقصصها، وكذلك تربية الإنسان على الاجتماعيات وما يرتبط بها من أخلاق يجب على المسلم الاتصاف بها، أما قصص الأنبياء فقد ركزت في أغلبها على الدعوة وأساليبها لكنها لا تخلو من التربية في ثناياها.[٢]

ومن الأمثلة حديثه عن ذي القرنين :

يقول" هذه القصة الثالثة في سورة الكهف .....أكثر الناسُ الحديث عن ذي القرنين، فأكثروا الحديث عن اسمه ونسبه، واعماله ، ومنهجنا كما علمتم أن نكتفي بما ذكره القرآن الكريم، باذلين الجهد في استخراج ما ترشد إليه الآيات الكريمة من حكم، وما توجه إليه من قيم في مجالات الحياة الكثيرة، وأحب أن أبادر القول هنا بأن ذا القرنين ليس هو " الاسكندر المقدوني " على الرغم من أن هذا قد اشتهر بين الناس، وحاول كثيرون أن يثبتوه، وأصح ما قيل فيه، إنه أحد ملوك الحميريّين الذين كانوا يعرفون بهذا اللقب......وقال آخرون إنه " قورش " الفارسي والذي يعنينا نحن ما عناه القرآن ......ولما كانت هذه القصة في سورة الكهف، تمثل عنصر الجهاد، حيث جاءت بعدما تحدثت عن عنصري العقيدة والعلم ".[٣]

نرى الدكتور يتحدث عن منهجيته ويؤكد عليها في قصة ذي القرنين وما يتصل بها من اجتهادات للعلماء لمعرفة هذه الشخصية التي ذكرت في القرآن، ولم يرجح بين الآراء، وقال والذي يعنينا ما ذكره القرآن وقد ركز القرآن على فعل هذا الرجل والهدف الذي من أجله ذكرت القصة وهي الحث على الجهاد .

وفي ذكره لما يتعلق بيأجوج ومأجوج يقول " وهنا دقيقة قرآنية يجب أن نقف عندها متدبرين، يظهر أن القوم لم يكونوا على مبلغ من العلم ولم يكن لهم قسط من الحصافة والحكمة لكن القوم لم يكن ينقصهم المال ولقد ذكرت، وأنا أقرأ الآية الكريمة، أمّتنا التي تملك المال الكثير لكنها لا تملك

---

[١] نفسه، ص١٨٢
[٢] نفسه، ص ٧٥-٧٨
[٣] نفسه، ص٧٥٠

السياسة والحكمة والتدبير لكي نستثمر هذا المال فيما يعود عليها بالخير، بل قد تنفقه فيما لا يزيدها إلا عناءً وبلاءً ووباءً " [١] نرى هنا الدكتور يربط بين قصص القرآن والواقع المعاش .

اتبع في منهجه في الجانب التطبيقي في كتابه القصص القرآني على :

اولاً: ذكره لتفاصيل القصة بما يتناسب مع ما جاء في القرآن الكريم، ودراستها دراسة تحليلية بما يتناسب مع ترتيب النزول.

ثانياً: يذكر آراء العلماء في المسائل المتعلقة بها ويرجح .

ثالثاً: يربط بين أحداث القصة والواقع المعاش، ويذكر بالدروس والعبر المستفادة منها[٢].

من مميزات هذه الدراسة سهولة العبارة ووضوحها وجدة العرض والأسلوب الشيق في دراسة القصة القرآنية، فلا يجد القارئ صعوبة في فهم العبارة، وهذا ما لا نجده في كثير من الكتب المتخصصة بشكل عام.

---

[١] نفسه، ص٧٥٢
[٢] نفسه، ص٧٥٣

المبحث الخامس

منهجه في الدفاع عن القرآن الكريم ورد الشبهات

المطلب الأول: شبهات الأقدمين.

المطلب الثاني: الرد على المستشرقين والحداثيين.

المبحث الخامس

منهجه في الدفاع عن القرآن الكريم ورد الشبهات

اتبع الدكتور فضل في الردّ على الشبهات ومعالجتها أسلوباً منطقياً بعيداً عن الهوى، ففي الرد اعتمد على المنهج الجدلي. وقد تحدث عن نشأة الشبهات والسبب وراء هذا الحقد من قبل المستشرقين على المسلمين مبيناً ذلك، ومن ثم تاريخ الشبهات وأصلها والمراحل التي مرت بها، وأبرز المتكلمين في القرآن ومظهري الشبهات، ومن ثم بدأ بالتحليل والنقد لهذه الشبهات وقائليها.

تحدث بشكل موسع عن الشبهات التي تختص بالقرآن الكريم وعلومه في كل من كتاب: (إتقان البرهان في علوم القرآن) و(قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية، نقد مطاعن، وردّ شبهات)، وهنا سأوضح المنهجية التي اتبعها في كلا الكتابين، واعتماداً على ما كتب في توضيحه للمنهجية المتبعة في (إتقان البرهان في علوم القرآن) قسم الشبهات من حيث الفئة التي أوردت الشبهة، وكانت ثلاثة أنماط كما يسميها، النمط الأول: الروايات التي تشكك بالقرآن، النمط الثاني: نمط المستشرقين، والنمط الثالث نمط الحداثيين، وقد تحدث عن كل منهم بما يميزه، وفي الكلام عن الحداثيين ذكر أبرز شخصياتهم وساق لنا جزءاً من كتاباتهم ورد عليهم بالحجة.

كتاب (قضايا قرآنية)، تحدث فيه عن السبب الذي من أجله ألف الكتاب، وتاريخ الشبهات التي أوردت من قبل المستشرقين، وقد قسم كتابه على أساس الموضوعات التي طرحت في الموسوعة البريطانية فيما يختص بالقرآن الكريم، وكانت عن سبعة فصول، وفصل ذكر فيه الترجمة الحرفية لما جاء في الموسوعة، وسأكتفي في طرح بعض الأمثلة التي تدلل على المنهج.

معالم منهجه في رد الشبهات تظهر في :

١. تقسيمه الشبهات إلى أنماط على حسب موردها.
٢. اختلف الرد على الشبهات على حسب موردها ففي حديثه عن الشبهات حول الروايات كان السبب فيها الروايات الموضوعة على الصحابة، كان ذلك بدراسة أسانيد الروايات وردها، وتبرئة الصحابة مما ألصق بهم.
٣. لم يختلف منهجه في الرد على شبهات المستشرقين والحداثيين في جميع ما كتب، ونلحظ أنه لا يخلو كتاب من كتبه من ذكر للشبهات والرد عليها.
٤. يورد الشبهة، ثم يبدأ بالرد ويكون الرد بالأدلة القرآنية، والسنة النبوية، والدليل العقلي، ويستأنس بأقوال العلماء.

من أبرز ما اتصف به منهج الدكتور في دفاعه عن القرآن:

أولاً: اهتمامه بالحديث عن التطور التاريخي للمسألة والأسباب وراء ظهور الشبهات[١].
ثانياً: الموضوعية في طرح الشبهات.[٢]
ثالثاً: يوضح في كتابه إتقان البرهان أن كثيراً من الأقوال التي جاءوا بها لا تحتاج إلى رد، ويظهر للقارئ الرد بدون عناء[٣].
رابعاً: الأدلة التي يعتمد عليها في الرد متنوعة بين الدليل القرآني، والسنة الصحيحة، والوقائع التاريخية، والأدلة العقلية، وأقوال العلماء[٤].
خامساً: اللهجة المستخدمة تختلف حسب مورد الشبهة، وتختلف كذلك بين الكتابين[٥].
سادساً: القسوة والحدة في الرد على الفئة التي اعتبرها الدكتور من الخصوم[٦].
سابعاً: اعتماده على المنهج النقدي في نقد الشبهة من ذاتها[٧].
ثامناً: اعتماده على المقارنة بين ما ذهبوا إليه من شبهات على القرآن الكريم، ومعتقداتهم لإظهار الحقيقة[٨].
تاسعاً: اعتماده في كثير من الأحيان على الواقع لرد الشبهة.[٩]
عاشراً: اختلاف أسلوب الرد بين كتابه قضايا قرآنية، وكتبه الأخرى، فكان الرد في كتاب قضايا قرآنية يتميز بالتخصصية والتوسع في طرح القضايا التي تتعلق بالمستشرقين ودقة الإجابة، وعدم التوسع أكثر في كتبه الأخرى. [١٠]
الحادي عشر: في كلامه عن الحداثيين ذكر أبرز شخصياتهم والمنهج المتبع عندهم من خلال كتبهم.
الثاني عشر: في كتابه قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية كان منهجه في أخذ الموضوع كاملاً كما جاء في الموسوعة، مثلاً تحت عنوان القرآن أو التفسير، ثم يعمل على تقسيم الموضوع إلى قضايا والرد عليها.
الثالث عشر: في بعض الأحيان لا يوثق ما نقل من عبارات قالها بعض الأشخاص. [١]

---

[١] عباس،فضل حسن، قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية ، ص ١١-٢١
[٢] نفسه ، ص١٣ ، وانظر : ص١٩٩
[٣] نفسه ، ص٤٠٢
[٤] نفسه ، ص٢٠١-٢٠٢
[٥] انظر: فضل عباس، إتقان البرهان ،ج٢ ص٣١٩-٤٢٧
[٦] انظر: فضل عباس، قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية، ص ٣٨٦
[٧] عباس، فضل حسن، قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية، ص ٣٥٤-٣٥٥
[٨] نفسه، ص٣٥٣
[٩] نفسه، ص٤٠٣
[١٠] إتقان البرهان في علوم القرآن، قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية

المطلب الأول: شبهات الأقدمين

وهي الشبهات التي تتعلق بالروايات التي قيلت على لسان أعلام الصحابة رضوان الله عليهم، وبعض التابعين وهم منها براء، والتي تحمل في طياتها التشكيك في تواتر القرآن الكريم، وقد ذكر الروايات التي نسبت كل من عائشة، ابن عباس، عثمان بن عفان، ابن مسعود، وابن مجاهد رضي الله عنهم أجمعين.

اتبع ما يلي في الرد عليها ونقضها:

أولاً: الرد الإجمالي، والذي أعلن فيه أن هذه الروايات جميعها لا تمت للصحابة بصلة ولم تثبت صحتها وهذا باتباع المنهج العلمي السليم.[٢]

ثانياً: الرد التفصيلي، وكان بالرد على هذه الروايات من حيث إنه يذكر الرواية وقائليها، ثم يورد الشبهة[٣].

ثالثاً: يقوم بدراسة الأسانيد وقد أحالها إلى دراسة الدكتور جمال أبو حسان التي بحثت في صحة هذه الأسانيد، وتبين عدم ثبات الصحة لهذه الروايات.[٤]

- نقض متن الروايات بالقرآن والسنة وأقوال العلماء.[٥]

والأمثلة التي ذكرها لتوضيح المنهجية الصحيحة في رد هذه الشبهات ودحض بعض الآراء التي ما زالت متمسكة بصحة هذه الروايات وذكْرها في كتب علوم القرآن على أنها مما يستدل به[٦]، وسأكتفي بذكر بعض الأمثلة للتدليل[٧].

ومن الأمثلة الرواية عن مجاهد رضي الله عنه: ذكر الطبري في تفسيره عن مجاهد في قوله ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ آل عمران: ٨١ قال: هي خطأ من الكاتب، وهي في قراءة ابن مسعود {وإذ أخذ الله ميثاق الذين أتوا الكتاب}.[١]

---

[١] عباس، فضل حسن، إتقان البرهان في علوم القرآن، ج٢ ص٤١٠-٤١٤

[٢] نفسه، ج٢ ص٣١٩

[٣] نفسه، ج٢ص٣١٩-٣٢٠

[٤] نفسه، ج٢ص٣١٩

[٥] نفسه، ج٢ ص٣٣٥-٣٤١

[٦] نفسه، ج٢ ص٣٢٥

[٧] ملاحظة : أوردت بعض الأمثلة من هذه الروايات في مبحث منهجه في تعامله مع الروايات .

أولاً: ضعفها من حيث الإسناد، وقال: إن الرواية التي ذكرت عن ابن عباس غير هذا، ولم يذكرها، وقال إن مجاهداً من أخص تلاميذ ابن عباس.[٢]

ثانياً: بين أن موضوع الآية الأولى مختلف عن موضوع الآية الثانية يذكر أنه في سورة آل عمران وردت هذه الصيغة لكن ليس في هذه الآية وإنما في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْاْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾ ﴾ آل عمران: ١٨٧ ، يقول: "إن الموضوعين مختلفين، ولا يصلح أن يوضع أحدهما مكان الآخر"[٣].

ثالثاً: ذكر توجيهات العلماء لهذه الآية وما المقصود من الميثاق، وهو الميثاق الذي أخذه النبيون على أتباعهم أن يتبعوا ما جاؤوا به، أما الميثاق الذي أخذ من أهل الكتاب فهو عليهم ليبلغوا الأمانة.[٤]

الإسرائيليات والرد عليها فهي من القضايا العالقة التي ما فتئ العلماء ذكرها في مواضيع التفسير ونرى في العصر الحديث حملة على (الإسرائيليات وخطرها)، وعلى الرغم من ذلك نجد أن كثيراً من الدارسين ما زالوا يذكرون الإسرائيليات في كتبهم، وقد اهتم الدكتور في الردّ على هذه القضية ويظهر ذلك في طرحه في موضوع الإسرائيليات، فبعد مقدمة توضح من هم بنو إسرائيل، والهوية التعريفية بهم من القرآن الكريم.

يشير رحمه الله إلى أن ابن عباس رضي الله عنه لم يرو شيئا عن أهل الكتاب، واستدل على ذلك بالواقع، وحديث البخاري، وقد خالف بذلك الشيخ الذهبي إذ إنه لم يأخذ إلا القليل المقبول، ومن الذين يقولون بأخذه عن أهل الكتاب إبراهيم خليفة.[٥]

وظهر منهجه في إزالة التعارض الموهوم الذي يمكن أن يفهم من حديثي بني اسرائيل، الحديث الأول: والذي جاء فيه أخبار لم ترد في القرآن أصلاً، وأمرنا الرسول عليه السلام أن لا نصدقها،

---

[١] الطبري، أبو جعفر محمد بن عبد الله(٢٠٠١م)، **جامع البيان في تأويل آي القرآن**، ضبط وتحقيق محمود شاكر ،دار إحياء التراث:بيروت، ط١،ج٣ص٢٣٦
[٢] عباس، فضل حسن، إتقان البرهان، بتصرف ج٢ص٣٣٣
[٣] نفسه، ص٣٣٣
[٤] عباس، فضل حسن، إتقان البرهان ،ج٢ ص٣٣٣ -٣٣٤
[٥] عباس، فضل حسن، التفسير أساسياته واتجاهاته، ص٢٣٣

ولا نكذبها، أما الحديث الثاني: من باب الاستئناس بما يقبل، وبهذا يزول التعارض المتوهم حدوثه من الحديثين[1].

وكذلك فإنه ردّ الشبهات التي صدرت من جولد زيهر، فيما قاله عن ابن عباس، ورد عليه بالدليل الروائي، وما ثبت عن ابن عباس رضي الله عنه.[2]

وقد رد الدكتور على الروايات التي أكدت أن ابن عباس رضي الله عنه أخذه عن أهل الكتاب من حيث السند والمتن.[3]

وفي حديثه عن الإسرائيليات نرى أنه اعتمد فيه على المنهج النقدي فقد عرض رحمه الله لآراء العلماء في الإسرائيليات ، كوسيلة من وسائل تفسير القرآن الكريم، ذكر منهم: الشيخ ابن كثير، إذ يقول: إن الإسرائيليات إما موافقة للقرآن وهذه لا نحتاجها، أو مخالفة له، أو مسكوت عنها، وهو ما لا مانع من ذكره مع التنبيه عليه، ثم ذكر قول الشيخ البقاعي المخالف لابن كثير، يقول: إن الإسرائيليات يجوز نقلها للاستئناس، ويقسمها إلى ثلاثة أقسام: الضعيف، والموضوع، وغير ذلك، أما الضعيف: فننقلها للاستئناس، والموضوع: ننقله للتنبيه عليه، وغير ذلك نذكرها كدليل وحجة، وهذا ما رفضه من البقاعي، ويوضح أن البقاعي نظر إليها من حيث السند[4]، وابن كثير نظر إليها من حيث المنقول والمنقول إليه[5]، ثم ينقل رأي ابن حجر فيها يقول: ينبغي أن لا يطلع عليها إلا من كان متمكناً في دينه متضلعاً في معرفة الأحكام حتى لا ينزلق فيها، وهذا الرأي الذي ارتضاه ورجحه.[6]

ويبين رحمه الله السبب وراء رفض الإسرائيليات، وذلك أنها تجاوزت القصص لتدخل في العقيدة، وتأخذ حيزاً منها خصوصاً فيما يخص تفسير القرآن، ومن أخطر القضايا التي نتجت عن الإسرائيليات: ظهور ما يسمى بظاهر القرآن وباطنه، وقد ظهر ذلك نتيجة تأثر المسلمين بالإسرائيليات، وذلك لأن من معتقدات اليهود أن للتوراة ظاهراً وباطناً، وبين أن كثيراً من الأئمة ذكروا الرواية التي تتحدث عن أن للقرآن ظاهراً وباطناً دون أي تعليق أو تنبيه، وهذا ما يشير إليه قائلاً: كتاب التفسير والمفسرون للذهبي الذي يعد من المراجع في مناهج المفسرين ذكرها على أنها

---

[1] نفسه، بتصرف ص٢٢٦-٢٢٧

[2] نفسه، ص٢٢٧-٢٣٦

[3] نفسه، ص٢٣٤

[4] البقاعي، برهان الدين أبي الحسن ابراهيم بن عمر(٢٠٠٣م)، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**،دار الكتب العلمية: بيروت، ط٢،ص٤-٥

[5] الصابوني، محمد علي(١٩٨١م)، مختصر تفسير ابن كثير، دار القرآن الكريم، بيروت،ج١ص١٢

[6] عباس، فضل حسن ،التفسير أساسياته واتجاهاته، ص٢٣٦-٢٣٨

من الإسرائيليات، وقد استدرك الدكتورعليه ذلك وأقر الذهبي بما قاله، ويعتبر هذا مما جدده رحمه الله، ثم ذكر أن الروايات التي قيلت تؤكد هذه المعلومة، وبين منهجه في تحقيق هذه الروايات، حيث: أوردها ثم ناقشها من حيث السند ثم المتن؛ ليبين أن هذه الروايات موضوعة، واستند إلى أقوال العلماء في التشكيك في هذه الروايات.[١]

المطلب الثاني :شبهات المستشرقين والحداثيين

سكيون الحديث عن كل من الشبهات التي ذكرت في كتابه قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية، وكتابه إتقان البرهان، وكتابه القراءات القرآنية وما يتعلق بها.

منهجه في الردّ:

أولاً: يعرف بهذه الأنماط، ويبين خطورتها.

ثانياً: قام بعرض نماذج تبين هذه الأنماط .

ثالثاً: بيان لصفاتهم، واهم القضايا التي أجمعوا عليها، ومنهجهم في إثارة الشبهات.

رابعاً: يورد الشبهات ،ويرد عليها من الناحية النقلية بالقرآن والسنة النبوية، الدليل العقلي، وأقوال العلماء.

ومن النماذج، يقول: "ادعى المستشرق (فنسنك) أن رسالة النبي عليه السلام كانت للعرب وحدهم، واستدل ببعض الآيات التي تصف القرآن بأنه عربي وببعض الآيات التي تخص الإنذار بعشيرته، وقال (أي فنسنك): إن ما في القرآن من آيات تبين عموم الرسالة، ترد إلى الآيات التي تبين خصوصية الدعوة، وزعم أن ما جاء في السنة من إرسال النبي عليه السلام الكتب إلى كسرى وقيصر وغيرهما ليس صحيحا، بل هو من وضع الخلفاء ليسوغوا فتوحاتهم لهذه البلاد. [٢]

ردّ على هذه الشبهة من القرآن والسنة الصحيحة، وكما قال: من الشبهة نفسها، وتفاصيل الرد كانت كالآتي: من القرآن: أن الآيات التي تحدثت عن إرسال الرسالة لعامة الناس كثيرة في القرآن الكريم، والآيات التي ذكرت أن الإنذار يختص بالأقربين قليلة، ومن البديهيات أن الأمور في بداياتها تعتمد على التدرج في الفكرة لإيصالها للمتلقي؛ فكانت الدعوة في أولها تختص بالأقربين ثم انتقلت لتصبح عالمية، والقرآن والسنة النبوية يؤكدان ذلك.

---

[١] نفسه، بتصرف ص٢٣٩-٢٤٥

[٢] نفسه، إتقان البرهان، ج٢ ص ٣٥٤-٣٥٥

ثم يقول مخاطبا المستشرق: أنك إذا كنت تقر برسالة النبي عليه السلام فإن ذلك يوجب تصديقه؛ لأن النبوة والكذب لا يجتمعان.[١]

بعض الشبهات من كتابه قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية:

قصة يوسف عليه السلام: جاء في دائرة المعارف (إن أطول هذه السور التي يتحدث عن موضوع واحد هي سورة (١٢) والتي تسرد قصة يوسف، وهي تضيف إلى المعلومات التي وردت في الكتب الدينية تفصيلات خرافية معظمها جاءت من مصادر يهودية).[٢]

رد على هذه الشبهة لكنه قبل الرد وضح المنهجية التي اتبعها، يقول : "أحب أن أؤكد هنا أمرين اثنين أشرت إليهما من قبل:

الأمر الأول: أننا نسير في بحثنا هذا على منهج علمي نزيه، مجرد بعيد عن كل المؤثرات، اللهم إلا ما يحتمه حماس لفطرة سليمة، أو انتصار لحق ظاهر، أو رد فرية ظاهرة البطلان".[٣]

وأكتفي بالأمر الأول الذي وضح المسلك الذي سلكه بشكل عام عند طرحه للشبهات:

أولا :قام بتحليل الشبهة، وذلك بالحديث عن الأحداث المذكورة في القصة في كل من التوراة والقرآن، والاختلاف الحاصل في سرد الأحداث في كل منهما.[٤]

ثانيا:قام بالمقارنة بين القرآن والتوراة فيما يخص قصة يوسف عليه السلام، وتوضيح الفرق بين كل من الروايتين[٥].

ثالثا:عرّج على الوقائع التاريخية في تلك الحقبة التاريخية لدحض بعض المغالطات التي جاءت في التوراة[٦].

رابعا:بعد المقارنة، ذكر ما تفرد فيه القرآن من أحداث، والتي جاء في الموسوعة أنها عبارة خرافات، فنقض ذلك بالتدليل على أن الذي ذكر في القرآن يحمل في طياته الكثير من القيم التربوية التي يفيد منها الفرد والمجتمع[٧].

---

[١] نفسه، بتصرف ج٢ ص٣٥٥
[٢] عباس، فضل حسن، قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية، ص٦٥
[٣] نفسه ، ص٦٥
[٤] نفسه، ص ٦٦
[٥] نفسه، ص٦٦-٦٧
[٦] نفسه، ص٦٩
[٧] نفسه، ص٧٠-٧٤

خامسا:استعان في الرد على ما جاء في كتاب الظاهرة القرآنية لمالك بن نبي .

من الأمثلة على ما ذكرته في النقطة الرابعة يقول: "وأول ما يقابلنا في سورة يوسف درس تربوي للأجيال جميعاً، وهو ما ينتج عن تفضيل الآباء بعض أبنائهم على بعض، وهي قضية عالجتها السنة المطهرة، وقد بينت سورة يوسف ما لذلك من أثر يمكن أن تعاني منه الأسرة فماذا في ذلك من خرافة يا ترى؟!

جاء في الموسوعة: "إن السور الأولى للقرآن تركز على أن الله هو خالق هذا الكون، وأن نعمه على الجنس البشري تستحق منهم الثناء والحمد، وأن الله يجازي أو يعاقب الناس على حسب موقفهم نحوه، كما أن هناك وصفاً لحساب الناس حيث إن بعضهم ينال نعيم الجنة وآخرين يعذبون في نار جهنم ".[١]

أولاً: رد على هذه الشبهة من القرآن نفسه وذلك بسرد مجموعة من الآيات المكية التي تتحدث عن اقتران الإيمان بالعمل.

ثانياً: استدل كذلك بالقرآن على أن القضية ليست لإثبات وجود الخالق؛ لأن هذه القضية معروفة والعرب كانوا يؤمنون بوجود الخالق، لكن يشركون به لعل هذه الآلة تقربهم إليه، لكن القضية الكبرى كانت بإثبات التوحيد وعدم الشرك.

ثالثاً: قارن بين دعوة النبي ودعوة الأنبياء السابقين للتدليل على ما ذهب إليه في الرد، وأن الأنبياء كذلك دعوا إلى الوحدانية والعمل من أجل الثواب[٢].

رابعاً: الاستدلال بالمناهج التربوية التي تستعين بالترهيب والترغيب لتربية الأفراد، ليدلل على صحة الأسلوب المتبع في القرآن الكريم[٣].

خامساً: ذكر صلات لابد منها للوصول للإيمان الحق[٤]:

أ. صلة الإنسان بربه وخالقه.

ب. تهذيبه لنفسه .

ج. صلته بالناس يحب لهم ما يحب لنفسه والعكس.

جاء في الموسوعة: "إن طريقة نزول القرآن على محمد قد ذكرت في القرآن فمنها: أن الله خاطب محمداً بشكل إيحائي ومن وراء حجاب، أو بواسطة مراسل على صورة ملك، ولهذا جاءت كلمة وحي لتدل على إيحاء من الله لرسوله على غرار الأنبياء الذين أوحي إليهم، كما أن القرآن

---

[١] نفسه، ص١٠٨

[٢] نفسه، ص١٠٩

[٣] نفسه، ص١١٣

[٤] نفسه، ص١١٤

يستعمل اصطلاحاً بأن القرآن نزل على الرسول، فهذه الطريقة تدل على نوع من الخيال دون أن يكون هنالك صورة مرافقة لتوصيل هذا الخيال"،[١] وقد عنون لهذه الشبهة (بأنواع الوحي).

وهنا يذكر المشكلة في هذا الكلام: وهي أنهم بينوا أن نزول القرآن الكريم يكون بثلاثة طرق: إما بالإيحاء، أومن وراء حجاب، أو بواسطة ملك، فرد على ذلك أنه ليس للقرآن إلا طريقة واحدة للنزول وهي بواسطة الروح الأمين جبريل عليه السلام، ويرجع السبب وراء هذا الاعتقاد لديهم أنهم لم يفهموا الآية في قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾ ﴾ الشورى: ٥١ بالطريقة الصحيحة، فالآية تتحدث عن طريقة إرسال الوحي بالنسبة لجميع الرسل، ولا تختص بالنبي عليه السلام، وأن النبي كان يوحى إليه بطريقة الإلهام لكن لم يكن قرآناً، والآيات الكريمة[٢] تدل على أن إنزال القرآن كان بواسطة جبريل لا غير، والشبهة الأخرى أنهم قالوا: "إن مصطلح نزول القرآن، والتعبير فيه عن النزول نوع من الخيال"، وقد رد على ذلك بأن الإنزال هنا بمعنى الإعلام، و ليس كما فسروه بطريقة حرفية، والشبهة الثالثة أنهم قالوا عن الطريقة الثالثة للإنزال أنها بواسطة ملك ولم يذكروا اسم جبريل عليه السلام، مع وجود آيات كثيرة تصرح بذلك.[٣]

ثانياً: شبهات المحدثين في عرضه لشبهات الحداثيين بين أن هذا الفريق يختلف عن سابقيه؛ لأنهم كما ذكرنا سابقا هم يدعون الإسلام والحرص عليه فهم ليسوا أعداءنا وإنما أبناؤنا، لذلك كان خطرهم أعظم والحديث عن منهجهم في غاية الأهمية، بدأ بالتدليل على منهجهم بأمثلة مما قالوا على القرآن، ثم رد على ذلك رداً إجمالياً يقضي بعدم صحة شيء مما قالوا، ثم تحدث عن أبرز شخصياتهم ومنهجهم المتبع في إظهار الشبهات، فقد بدأ بالتعريف بهم، وبكتبهم ومنهجهم في أبرز مؤلفاتهم، ومن ثم أهم الشبهات التي جاءوا بها، والرد كان مختصراً في معظم الأحيان، ومما يتصف به منهجه رحمه الله في الرد عليهم أنه استعان بالدليل القرآني، السنة المطهرة، والواقع، والأدلة العقلية واللغوية.

وصفُ منهجهم ومما اتصفوا به:

---

[١] نفسه، ص١٧٢

[٢] البقرة :٩٧ ،النحل :١٠١

[٣] عباس، فضل حسن ، قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية، ص١٧٢-١٧٥

أولاً: اعتمادهم على الرواية الضعيفة أو الموضوعة؛ ليبنوا عليها أموراً باطلة مزيفة، ويأتي بأمثلة من كتبهم.[١]

ثانياً: تأثرهم الكبير بالمستشرقين، ويظهر ذلك من خلال كتبهم والاستشهاد على ما ذهبوا إليه بكلامهم.

ثالثاً: الإساءة للعلماء والسلف الصالح، وذلك بإنكار بعض الروايات الصحيحة، والاستدلال بالروايات الضعيفة بهدف التشكيك والتجريح.

رابعاً: تسعى محاولاتهم إلى نزع الثقة بالأئمة الذين حملوا هذا القرآن بكل أمانة، وحاولوا اقتحام قدسية القرآن والسنة الشريفة، ومحاولة إلغاء القواعد والأسس التي قررها العلماء لتكون أصلاً لفهم كتاب الله وتفسيره.

خامساً: الضعف العلمي العام وضحالة ما يذهبون إليه لأنهم لا يلتزمون بالمنهج العلمي الصحيح.[٢]

سادساً: يدعي بعض الحداثيين أن اعتمادهم في الترجيح يعتمد على القرآن، واللغة والفرضيات العلمية والعقل، وقد رد على هذا بأن الاعتماد على القرآن كان بتحميله ما لا يحتمل، وتفسير الآيات وفق الهوى، أما السنة فلم يعتمد عليها وإنما اعتبرها منهجاً خاصاً بالرسول عليه السلام، والاعتماد على اللغة فإنه يفتقر للمنهج العلمي في الأخذ بالدليل، كذلك فإنهم في التدليل بالعقل كانوا يفتقرون للمنهج العلمي.[٣]

سابعاً: ينزلون الله عز وجل منزلة البشر، ولا يتأدبون في حديثهم عن رسول الله عليه الصلاة والسلام والصحابة رضوان الله عليهم .[٤]

ردّه في مجمله كان يعتمد على بيان خطرهم، والتعريف بهم وبصفاتهم وأهم القضايا التي أجمعوا عليها، ومنهجهم في إثارة شبهاتهم، ومن ثم يبدأ بذكر الرد بالأدلة من:

أولاً: القرآن الكريم .

ثانياً: صحيح المأثور.

ثالثاً: السياق.

رابعاً: اللغة.

خامساً: الدليل العقلي.

---

[١] عباس، فضل حسن، إتقان البرهان، ج٢ ص٤٠٣

[٢] عباس، فضل حسن، إتقان البرهان، ج٢ ص٤٠٩

[٣] نفسه، بتصرف ج٢ص٤١٠

[٤] نفسه، ج٢ ص٤١٥

سادساً: الاستعانة بأقوال العلماء.

وبعد الحديث عن منهجه في تعامله مع الحداثيين نأتي ببعض الأمثلة على ذلك:

يقول رحمه الله في تعليقه على ما جاء في كتاب نصر حامد أبو زيد مفهوم النص (عصر تشكل النص وتكونه): "فهو يرى _نصر حامد أبو زيد_ أن القرآن تابع للبيئة ومتشكل فيها – كما أنه يرسم المعاني حسب فهمه بصور جدلية بيانية، حيث يرسم ويسميه: منحنى سورة الإخلاص في علاقتها بمعرفة الذات"، ويقول نصر حامد أبو زيد إن النص القرآني تشكل في الواقع والثقافة خلال فترة تزيد على عشرين عاما ، فهو نص لغوي ينتمي إلى ثقافة خاصة.[١]

يقول محمد شحرور في كتابه "إن الله ليس ديمقراطيا، لأنه لم يحاور إبليس وأخرج آدم من الجنة" يقول رحمه الله: "أسمعت هذه المقولة الفاسدة السيئة ؟ ولا أدري ما الديمقراطية وأين هي؟ وهل ستالين وخرتشوف. وغيرهم ديمقراطيين؟! وهل الذين يدين لهم الكاتب بالولاء كذلك ؟!)[٢].

يقول الدكتور فضل نقلاً عن محمد شحرور "لا يلتزم الكاتب الأدب مع رسول الله عليه السلام، فضلاً على رفضه السنة وردّه كثيراً من الأحاديث الصحيحة نزولاً عند هواه".[٣]

ومن شبهات الخوئي[٤] حول القراءات القرآنية،يقول: "إن القراءات لم يتضح كونها رواية، لتشمله هذه الأدلة - أي الأدلة القطعية- فلعلها اجتهادات من القراء، ويؤيد هذا الاحتمال ما تقدم من تصريح بعض الأعلام بذلك، بل إذا لاحظنا السبب الذي من أجله اختلف القراء في قراءاتهم - وهو خلو المصاحف المرسلة إلى الجهات من النقط والشكل – يقوى هذا الاحتمال جداً"[٥]، يرد رحمه الله بأن طرق نقل القراءة كانت طرقاً معروفة وموثقة، وهي المشافهة والسماع بسند يصل إلى النبي عليه السلام، يقول: "فالقراءة سنة متبعة، والإجماع منعقد على أن من زاد حركة أو حرفا في القرآن، أو نقص من تلقاء نفسه مصرّاً على ذلك كفر"،[٦] نقلا عن ابن الجزري في كتابه منجد المقرئين[٧].

ومن كتابه القراءات القرآنية وما يتعلق بها :

---

[١] عباس، فضل حسن، قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية ،ص٣٩٦-٣٩٧
[٢] نفسه، ص٤١٠
[٣] شحرور،محمد شحرور،**الكتاب والقرآن**، الأهلي للطباعة، دمشق، ص٥٧٢
[٤] سيد قاسم الخوئي، من مشيخة الشيعة، عالم بالرجال والتفسير والفقه، من كتبه" البيان في تفسير القرآن "
[٥] عباس، فضل حسن، قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية ،ص٤٢٣
[٦] نفسه، ص٤٢٣
[٧] ابن الجزري، شمس الدين أبي الخير محمد(١٣٥٠ هجري)، **منجد المقرئين ومرشد الطالبين**، مكتبة القدسي: القاهرة

رد على الشبهة التي أخرجها طه حسين متبعا ما قاله المستشرقين، يقول طه حسين "والحق أن ليست هذه القراءات السبع من الوحي في قليل لا كثير، وليس منكرها كافراً ولا فاسقاً ولا مغتمزاً في دينه، وإنما هي قراءات مصدرها اللهجات واختلافها....للناس أن يجادلوا فيها، وأن ينكروا بعضها ويقلبوا بعضها... وقد جادلوا فيها بالفعل وماروا، وخطأ فيها بعضهم بعضاً، ولم نعرف أن أحداً من المسلمين كفّر أحداً لشيء من هذا ...".[1]

يقول الدكتور فضل رداً على هذه الشبهة " أولاً: وأول ما نجده في هذه الشبهة ما يقرره الكاتب من أن القرآن نزل بلغة قريش، ولم يكد يتناوله القراء حتى كثرت قراءاته وتعددت اللهجات فيه ....وهذا كلام ظاهر البطلان، لأنه يدل على أن كل واحد من المسلمين كان يملك الحرية ليقرأ القرآن حسب لهجته ولسانه، ولكن الواقع التاريخي يثبت غير ذلك، فما كان لأحد أن يقرأ إلا بعد أن يتلقى مشافهة من النبي عليه السلام، أو ممن تلقوا عنه......

ثانياً: وما يدل على بطلان هذا القول: النبي عليه السلام كان يبعث القراء الذين يعلمون الناس، وهؤلاء لم تكن مهمتهم شرح معاني القرآن أو ما خفي من هذه المعاني بقدر ما كانت إقراء للناس لإتقان القراءة وكيفية النطق بها، وخبر مصعب بن عمير وابن أم مكتوم وغيرهما ممن أرسلهم النبي عليه السلام إلى المدينة، وخبر القراء الذين استشهدوا رضي الله عنهم جميعا خير دليل وصادق برهان يرد على ما ذهب إليه الكاتب.

ثالثاً: إن النبي عليه السلام كان يرضى أن يغير أصحابه بعض الكلمات في غير القرآن، كما جاء في حديث البراء بن عازب:آمنت بكتابك الذي أنزلت ورسولك الذي أرسلت، فقال النبي عيه السلام :"ونبيك الذي الذي أرسلت " فكيف يرضى أن يكون ذلك في القرآن ".[2]

وقد ردّ الدكتور على شبهة طه حسين من جميع جزئياتها ومع ذكر نماذج تطبيقية ترد على ما ادعاه.[3]

---

[1] عباس، فضل حسن، القراءت القرآنية وما يتعلق بها، ص٣٥٧
[2] عباس، فضل حسن، القراءات القرآنية وما يتعلق بها، ص٣٥٧-٣٥٩
[3] نفسه، ص٣٥٥-٣٦٦

الخاتمة

بعد هذه المحاولة في السير مع مؤلفات الدكتور فضل عباس في علوم القرآن، واستيضاح منهجه في دراساته يمكننا أن نجمل أبرز السمات التي تميز بها:

أولاً: يتصف أسلوبه بحسن العرض، ويتجلى ذلك في وضوح عبارته وسهولة فهمها على ما فيها من بلاغة وقوة معنى، ودون المساس بجزالتها اللغوية التي ظلت وارفة الظلال على كتاباته وهي ميزة لم تتأتى لكثير من كتاب العصر الذين وقعوا في شرك سهولة اللفظ على حساب ضياع المعنى.

ثانياً: مناسبة مؤلفاته لمستويات طلاب الجامعات على اختلاف مستوياتهم حيث نجد كثيراً من كتبه تصلح مناهج تعليمية، فمنها مناسب لمرحلة البكالوريوس، ومنها ما يناسب مرحلة الماجستير، ومنها ما يناسب مرحلة الدكتوراة.

ثالثاً: كثرة الدراسات وشمولها لمعظم مجالات الدراسات القرآنية.

رابعاً: اتباعه المنهج النقدي والتحقيق العلمي، وإتحاف علوم القرآن بجديد الفهم لنصوص الأحاديث الشريفة خصوصاً ما ورد في البخاري ومسلم، على غير ما فهمه السابقون دون ردّها، والجرأة في ردّ بعض الأحاديث التي اشتهرت صحتها بعد تحقيقه لها سنداً ومتناً.

خامساً: اكتمال تحقيقه في عرض آراء من سبق من العلماء ومناقشتها، وصولاً إلى ردّها المتكىء على الأسباب المقنعة، أو إقرارها، أو ترجيح بعضها على الآخر، وقد ظهر ذلك في تحقيقه الآيات الناسخة والمنسوخة، وأسباب النزول، و المكيّ والمدني.

سادساً: اعتماده في علمية التحقيق على الأدلة النقلية من قرآن وسنة صحيحة، والأدلة العقلية كالسياق لفهم المعنى، و الأدلة الواقعية والتاريخية وغيرها.

سابعاً: ملاحظة عظيم جهده في اتباع المنهج الوصفي الذي يتبعه التحليل خلال تعرضه للكتب المؤلفة في علوم القرآن، واستخلاص إيجاز وافٍ لأهم ما وصل إليه المؤلفون وأهم ما ورد في هذه المؤلفات.

ثامناً: تحلّيه بجميل أخلاق العلماء التي تظهر في تقديمه آراء السابقين من العلماء واحترامه لهم، واهتمامه بذكر آرائهم، ومناقشتها، وتصديه لمن يتعدى على جهودهم ويتهمهم بما ليس فيهم كما فعل حين عرض لكتاب التفسير البياني لبنت الشاطىء.

تاسعاً: جرأته في الردّ على الشبهات، وتصدّيه لها مدعّماً ذلك بالأدلة الثابتة دون التعرض للأشخاص.

عاشراً: الموضوعية .

الحادي عشر: تجديده في النظرة النقدية لتصحيح الفهم والاتساق مع القرآن الكريم، ويتضح ذلك في حديثه عن الشبهات، وتقسيمها حسب موردها، وإظهار أصلها، ثم ردّها، كذلك في حديثه عن الإعجاز البياني وذكره بعض الآيات وإظهار الإعجاز فيها.

الثاني عشر: حدته في رده على الحداثيين والمستشرقين.

الثالث عشر: التطبيق العملي لما كتب، فلم يخلُ كتاب من كتبه من نماذج تطبيقية توضح رأيه، ونقله نماذج أوردها العلماء الذين نقل عنهم وناقش آراءهم، وهي سمة تعطي القارىء والباحث فائدة أكبر في الحصول على المعلومة.

الرابع عشر: نظرته النقدية فيما يكتب، وتعليل تأليفه بتأكيد فكرة ما أو تحقيق مقرر أو نقد معلومة.

الخامس عشر: شمول تحليله في كل ما يكتب وعدم اكتفائه بالنقل دون التحقق من المسألة وموردها ومعناها وما يتعلق بها.

السادس عشر: الإطلاع الواسع على ما كتبه السابقون .

السابع عشر: اجتهاده وترجيحه، والإستقلالية في الرأي مع احترام العلماء .

ومن الملاحظات على الكتب، والتي لا تنجُ منها معظم الدراسات:

أولاً: الإسهاب في بعض الموضوعات خصوصاً فيما كتب في مناهج المفسرين.

ثانياً: تكراره في بعض ما كتب كما جاء في كتابيه القصص القرآني، والقراءات القرآنية؛ فإنه نقل ما كتبه في كتابه إتقان البرهان في علوم القرآن.

المصادر والمراجع

الدوريات:

أبو حسان، جمال محمد (٢٠١١م)، جبل من العلم هوى، **مجلة الفرقان**، تصدر شهرياً، العدد ١١٠، عمان، الأردن .

الكتب:

بنت الشاطىء، عائشة بنت عبد الرحمن، **الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق**، الطبعة الثالثة، القاهرة: دار المعارف.

أبو حسان، جمال محمد (٢٠١١م)، **الأستاذ الدكتور فضل عباس**، عمان: رابطة علماء الأردن.

أبو حسان، جمال محمد (٢٠٠٣م)، **دراسات اسلامية وعربية مهداة للأستاذ الدكتور فضل عباس**، الطبعة الأولى، عَمان: دار الرازي.

الدباغ، مصطفى مراد (٢٠٠٢م)، **بلادنا فلسطين**، طبعة جديدة،١٠ج، حيفا: دار الهدى.

دراز، محمد عبد الله (١٩٩٧م)، **النبأ العظيم** نظرات جديدة في القرآن الكريم، الطبعة الأولى، الرياض: دار طيبة.

الذهبي، محمد حسين (١٩٨٥م)، **التفسير والمفسرون**: بحث تفصيلي عن نشأة التفسير وتطوره وألوانه ومذاهبه، الطبعة الثانية، ٢ج، القاهرة: مكتبة وهبه.

رضا، محمد رشيد (١٩٧٣م)، **تفسير القرآن الحكيم "المنار"**، الطبعة الثانية، ١٢مج، بيروت: دار المعرفة.

الرومي، فهد بن عبد الرحمن(٢٠٠٢م)، **اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر**، الطبعة الرابعة، ٢ج، الرياض: مكتبة الرشد.

الرومي، فهد بن عبد الرحمن (١٩٩٨م)، **دراسات في علوم القرآن الكريم**، الطبعة السابعة، الرياض: مكتبة التوبة.

الزرقاني، محمد عبد العظيم(١٩٩٩م)، **مناهل العرفان في علوم القرآن**، الطبعة الأولى، بيروت: دار المعرفة.

سلامة، محمد علي، **منهج الفرقان في علوم القرآن**، الطبعة الأولى، تحقيق محمد السيد أحمد، القاهرة: دار نهضة مصر للطباعة والنشر.

شحرور، محمد شحرور، **الكتاب والقرآن**، الطبعة الثانية، دمشق: الأهالي للطباعة والنشر.

الشراب، محمد محمد (١٩٨٧م)، **معجم بلدان فلسطين**، الطبعة الأولى، دمشق: دار المأمون.

الصابوني، محمد علي (١٩٨١م)، **مختصر تفسير ابن كثير**، الطبعة السابعة،٣مج، بيروت: دار القرآن الكريم.

الصالح، صبحي (١٩٧٩م)، **مباحث في علوم القرآن**، الطبعة الحادية عشرة، بيروت: دار العلم للملايين.

عباس، فضل حسن (٢٠٠٥م)، اتجاهات التفسير ومناهج المفسرين في العصر الحديث، **المفسرون مدارسهم ومناهجهم** ،الطبعة الأولى، عمان: مكتبة دنديس.

عباس، فضل حسن(٢٠٠٥م)، إتجاهات التفسير ومناهج المفسرين في العصر الحديث، **التفسير أساسياته وإتجاهاته** ،الطبعة الأولى، عمان: مكتبة دنديس.

عباس، فضل حسن (٢٠١٠م)، **إتقان البرهان في علوم القرآن**، الطبعة الثانية، ٢ج، عمان: دار النفائس.

عباس، فضل حسن (٢٠٠٧م)، **أساليب البيان**، الطبعة الأولى، عمان: دار النفائس.

عباس، فضل حسن (٢٠٠٠م)، **الإسراء والمعراج دروس ونفحات**، الطبعة الأولى، عمان: دار الفرقان.

عباس، فضل حسن (١٩٩٧م)، **إعجاز القرآن**، الطبعة الثانية، جامعة القدس المفتوحة.

عباس، فضل حسن، سناء عباس (٢٠٠٩م)، **إعجاز القرآن الكريم**، الطبعة السابعة، عمان: دار النفائس.

عباس، فضل حسن(١٩٨٧م)، **أنوار المشكاة في أحكام الزكاة**، الطبعة الأولى، عمان: دار الفرقان.

عباس، فضل حسن (١٩٩٨م)، **البلاغة فنونها وأفنانها**، علم البيان والبديع، الطبعة الثالثة، عمان: دار الفرقان.

عباس، فضل حسن (١٩٨٩م)، **البلاغة فنونها وأفنانها**،علم المعاني، الطبعة الثالثة، عمان: دار الفرقان.

عباس، فضل حسن (١٩٩٣م)، **تلاوة وتجويد** (١)، الطبعة الأولى، جامعة القدس المفتوحة.

عباس، فضل حسن (١٩٩٣م)، **تلاوة وتجويد** (٢)، الطبعة الأولى، جامعة القدس المفتوحة.

عباس، فضل حسن (١٩٨٨م)، **التوضيح في صلاة التراويح والتسابيح**، الطبعة الأولى، عمان: دار الفرقان.

عباس، فضل حسن(٢٠١١م)، **خماسيات في تهذيب النفس الأمارة**، الطبعة الأولى، عمان: دار النفائس.

عباس، فضل حسن (٢٠٠٨م)، **فقهنا بين التوسط والتسلط**، الطبعة الأولى، عمان: دار النفائس.

عباس، فضل حسن (٢٠٠٨م)، **القراءات وما يتعلق بها،** الطبعة الأولى، عمان: دار النفائس.

عباس، فضل حسن (٢٠٠٧م)، **القصص القرآن الكريم:** صدق حدث وسمو هدف، الطبعة الثانية، عمان: دار النفائس.

عباس، فضل حسن، **القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته،** الطبعة الأولى، عمان: دار الفرقان.

عباس، فضل حسن(١٩٨٨م)، **قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية نقد مطاعن، وردّ شبهات،** الطبعة الأولى، عمان: دار البشير.

عباس، فضل حسن (١٩٩٣م)، **علوم القرآن الكريم،** الطبعة الأولى، جامعة القدس المفتوحة.

عباس، فضل حسن (٢٠٠٧م)، **غذاء الجنان بثمر علوم القرآن،** محاضرات في علوم القرآن، الطبعة الأولى، عمان: دار النفائس.

العلاونة، أحمد العلاونة (١٩٩٨م)، **ذيل الاعلام،** قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب المستغربين والمستشرقين، الطبعة الأولى،٢ج، جدة: دار المنارة للنشر.

القضاة، أحمد محمد مفلح، شكري، أحمد خالد، منصور، محمد خالد (٢٠٠٩م)، **مقدمات في علم القراءات،** الطبعة الثانية، عمان: دار عمار.

قطان، مناع القطان (٢٠٠٠م)، **مباحث في علوم القرآن،** الطبعة الثالثة، الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع.

المصادر المطبوعة:

الألوسي، شهاب الدين السيد محمود(ت١٢٧٠هـ)، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني،** الطبعة الأولى، ١١مج، دار الكتب العلمية: بيروت، ٢٠٠١م .

البخاري، محمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦هـ)، **صحيح البخاري،** الطبعة الثانية، مكتبة دار السلام: الرياض، (١٩٩٩م).

البقاعي، برهان الدين أبي الحسن ابراهيم بن عمر(ت٨٨٥هـ)، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور،** الطبعة الثانية، ٨مج، دار الكتب العلمية: بيروت، ٢٠٠٣م .

البلاذري، أبو العباس أحمد بن يحيى (ت٢٧٩هـ)، **فتوح البلادان،** الترجمة والتحقيق رضوان محمد رضوان، دار الكتب العلمية: بيروت، ١٩٩٣م .

ابن الجزري، شمس الدين أبي الخير محمد بن محمد (ت٨٣٣ هـ)، **منجد المقرئين ومرشد الطالبين**،: مكتبة القدسي: القاهرة، (١٣٥٠هـ) .

ابن الجوزي، أبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي (ت٥٩٧هـ)، **زاد المسير في علم التفسير**، الطبعة الاولى، دار ابن حزم: بيروت، (٢٠٠٢م).

حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد الشيباني (ت٢٤١هـ)، **مسند الإمام احمد بن حنبل**، الطبعة الأولى، ٦ج، شرحه وصنع فهارسه حمزة أحمد الزين، دار الحديث: القاهرة، (١٩٩٥م) .

الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله(ت٧٩٤هـ)، **البرهان في علوم القرآن**،٤مج، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، دار احياء الكتب العربية: القاهرة، (١٩٥٧م).

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (ت٩١١هـ)، **الإتقان في علوم القرآن**، الطبعة الأولى، ٢ج، تحقيق محمد متولي منصور، مكتبة دار التراث: القاهرة، ٢٠٠٧م .

الطبري، أبي جعفر محمد بن جرير (ت٣١٠هـ)، **جامع البيان في تفسير آي القرآن**، ١٦مج، الطبعة الأولى، ضبط وتحقيق محمود شاكر، دار إحياء التراث العربي: بيروت، ٢٠٠١م .

العسقلاني، شهاب الدين أبو الفضل أحمد علي الكتاني (ت٨٥٢هـ)، **فتح الباري بشرح صحيح الإمام محمد بن إسماعل البخاري**، الطبعة الثالثة، ١٥ مج، حقق عدة أجزاء منه عبد العزيز بن باز، الرياض: مكتبة دار السلام، دار الفيحاء: دمشق،٢٠٠٠ م .

العسقلاني، ابن حجر (ت٨٥٢هـ)، شهاب الدين أبو الفضل أحمد علي الكتاني، **فتح الباري بشرح صحيح الإمام محمد بن اسماعيل البخاري**، تحقيق عبد العزيز بن باز، ١٣مج، دار المعرفة: بيروت، ١٩٥٩م .

الرسائل الجامعية:

الجوراني، محمد الهبيل (٢٠١٢)، **جهود الدكتور فضل عباس في التفسير وعلوم القرآن**، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة العلوم الإسلامية العالمية، عمان، الأردن.

PROFESSOR FADIL ABBASS APPROACH TO THE STUDY OF THE QURANCES (ACRITICAL ANALYTICAL STUDY)

By

Doaa A. AL- Natour

Supervisor

Dr. Sulyman m. Dgoor

ABSTRACT

Theis focuses on studying the approach of Professor Fadel Abbas in dealing with issues of Quranic sciences in general, others are targeted in authoring, by highlighting the most important approaches and append examples of his books -may Allah have mercy upon him- and commenting through an introduction and two chapters.

I have started with an introductory chapter on his life, his significant works, and the sources in his research in the Sciences of the Qur'an.

Then, in chapter 1, I moved on to talk about his approach in his book "Mastering the Proof in the Quran Sicences", study the following aspects: first of all, compared the topics in **"Perfection"** for "Al-Suyooti", which is the primary source for those who want to write in the Quran sicences, and **"Manahel Al-Irfan"** for "Al- Zarqani"; it is the most comprehensive books

written in the Quran in the modern era, and his approach of arrangement of issues of the Quran in his book, then I spoke about his investigation, which focused on dealing with the concepts of subject and then dealing with violators, and contentious issues, and dealing with the "Hadith "Narration_and correct text_compromised of orientalists and modernists and others.

Then I moved to talk briefly about what he mentioned in details in authoring of Quran sciences, introduced the books and talked about his approach, and his books: ‘’Ijaz of Quran", "Explaination its principals and attitudes " and "Hadith explainers –their Schools and approches ,and his book"Writing Quranic readings and what is related to ,and related, his two books in“ "Quranic stories”, studying his approach in these books through mentioning, commentary, and giving examples of the books to highlight style in his study of the Quran sciences, and what distinguished this approach.

And concluded that its methodology reflected in three aspects:

1- **Stylistic side: this is reflected in two ways:**

- First aspect: clear and easy method that is not without its novelty, its divisions followed by studying subjects to precise and informed his

capacity, and the ease with which it gives to the reader in understanding what he wanted.

- The second aspect: it is a subtraction method of investigation, criticism, and processing, he does not only mention issues but also investigates, thing we don’t see them in the most of the books in the Quran Sicences, the issues were raised by way of cash "critically", all matters are under investigation and constructive criticism to revise and report issues Quranic Sciences, specifically massively multiplayer which variation.

2- **The Methodological Aspect**: which is appeared in the following study curricula:

- **The fundamental approach side**: which is rooting for this science and its terminology and concepts, and talk about their history with the most important vases, and the most important works and what highlights were put in.

- **The Analytic Methodology**: analytical and that stands out in his analysis of the issues and opinions of scientists, with analysis and discussion of evidences then respond to it.

3- **Critical Method** : curriculum and appears in the response, and produce evidence for it is provided through response and supporting by mental and logic evidenced, his respond is characterized as scientific; he does not Evidences or respond without considering the proper evidences Narrative evidences ,and these proper evidences are always approved with evidences to the raised issues, and shows as well as the critical method in response to suspicions in the Quran sciences , seeing defense which are not free from any of the details of these sciences, the defense is strong and substantive and purely scientific response that people are not considered as much as a ideas.

3- The Applied Side: which appears in his books, it is the most prominent features of his approach, he -may Allah have mercy on him- does not come with a case without the explanatory models, as well as in the scientists as he comes with examples of their books endorsed by, as well as in his response.